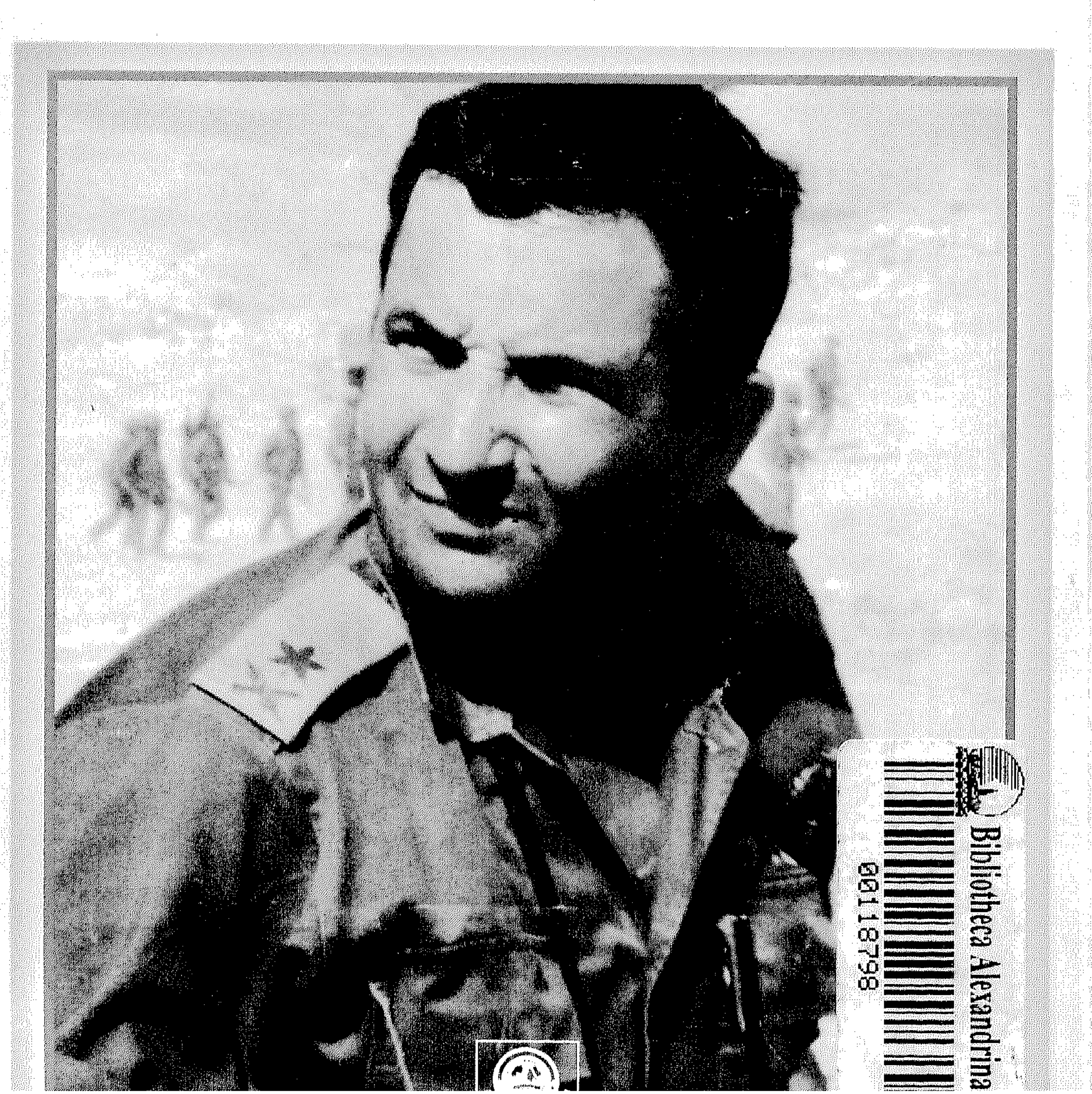
بن كسبيت • ايلان كفير

أيهود براك .. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

ترجمة
بدر العقيلي و نور البواطلة



ايهود براك.. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

رقـــم التـصنيـــف : ٩٢٠,٠٤٠٢

المؤلف ومن هو في حكمه : بن كسبيت ، إيلان كفير
ترجمة بدر العقيلي ، نور البواطلة

عنـــوان الكتـــاب : "ايهود براك" الجندي الأول رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

المـــوضـــوع الـــرئيسي : ١ - التاريخ والجغرافيا
٢ - التراجم
٣ - الإسرائيليون
٤ - السياسيون

رقـــم الإيـــداع : ١٩٩٨/١٢/٢٠٨٢

بيـــانـــات الـــنشر : عمان : دار الجليل

* - تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل : ١٩٩/١٢/١٧٣٩

الطبعة الأولى
١٩٩٩

دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية - عمان
هاتف : ٥١٥٧٦٢٧-٥١٥٥٦٢٧
فاكس : ٥١٥٣٦٦٨
ص . ب ٨٩٧٢- رمز بريدي ١١١٢١
البريد الالكتروني E - Mail : Darjalil @ go. com. jo

تصميم الغلاف : أزمنة

الطبـــاعـــة : شركة الشرق الأوسط للطباعة

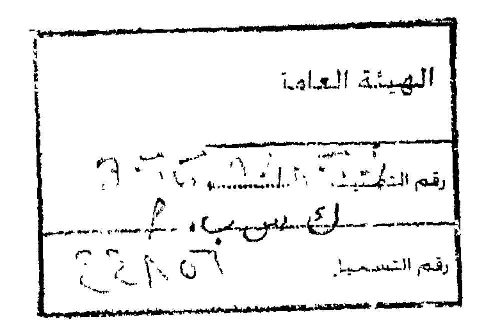
بن كسبيت وايلان كفير

أيهود براك .. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

ترجمة

بدر العقيلي و نور البواطلة







إصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية

الفهرس

تقديم:

عندما أصدرت هذه الدار كتاب" مكان تحت الشمس" لـ"بنيامين نتنياهو"، كان الرجل وحزبه الليكود، يجلسان في مقاعد المعارضة، وإذ كانت الظروف حينئذ تسير في قنوات حزب العمل واليسار الحاكم في أحايين كثيرة، فإن تساقط الأوراق، واحدة تلو الأخرى، آذن بخريف مبكر، وأفول نجم حزب العمل، الذي ظن لوهلة، أن النصر حليفه، كتحصيل حاصل، وأن الانتخابات ليست سوى" روتين" ليس الا.

في ذلك الوقت، اكتسح اليمين الإسرائيلي الشارع بأيديولوجيته المنادية بـ"ارض إسرائيل الكاملة"، التي سلبتها اتفاقيات أوسلو والقدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية التي يسعى بيرس الى إعادة تقسيمها حتى إذا ما انطلقت رصاصات الحقد القومي-الديني ضد رابين، انتقل اليمين من موقع الهجوم الى موقع الدفاع، وانتظار الآتي، الذي أعاد الكرة إلى ملعب حزب العمل، وخاصة إثر اغتيال عياش وما تبعها من عمليات.

نقول، نبوءتنا تحققت، حيث توقعنا أن يكون نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم، فقد تفحصنا آنذاك أوراق الأحزاب، والرأي العام الذي يتسم، في العادة بعدم الاستقرار، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمنه الشخصي حتى لكأنه يبحث عن النجاة من خلال التعلق بأهداب هذا الحزب او ذاك، وتحديدا أصحاب الأصوات العائمة.

نسوق هذا المدخل، ونحن نقدم لكتاب يتحدث عن زعيم حزب العمل، ايهود براك، الذي قد يكون رئيس وزراء إسرائيل القادم، وهو يشكل مقدمة للتساؤل عن فرص الرجل في الوصول إلى سدة الحكم.

لسنا في وضع يسمح لنا بالتأكيد أو النفي، بيد أننا لا نستبعد تغير الأحوال بين عشية وضحاها، ذلك أن "لكل إسرائيليين اثنين، ثلاثة آراء" كما يقال، على الرغم من الثغرات العميقة القائمة في حزب العمل، وعدم نضوج زعيمه براك سياسيا، الأمر الذي يستلزم جهودا تقترب من الثورة.

على أن المجتمع الإسرائيلي، يقدس زعماءه العسكريين، وبخاصة، اولئك الذين بلغوا قمة الهرم، في رئاسة الأركان، وايهود براك، رئيس الأركان الأسبق، يجمع بين لوط وأوسمة الشجاعة، والأداء العسكري المتميز، وهو رصيده الذي يباهي به.

وإذ لا ننكر قدرة براك الفذة، في المجال العسكري، فإننا لا نروج له، بل نسرد حقائق موضوعية ينبني عليها أسلوب العمل العربي المستقبلي، ذلك أن التعامل مع الزعيم الإسرائيلي الآتي من رئاسة الأركان، يعني معادلة طرفاها عسكري وسياسي.

ايهود براك، لم يؤلف الكتاب، لكننا لا نحتاج إلى كبير عناء، للاستنتاج بأن براك طرح ملفه وفرد أوراقه أمام المؤلفين ليقدماه إلى الناخب الإسرائيلي زاهيا ملمعا.

نقرأ في ثنايا الكتاب، أحداثا وعمليات، معظمها ما زال عالقا في ذهن معاصريها، أو متابعي الصراع العربي-الإسرائيلي، وإذ نظن بعضها عاديا، والآخر تحقق بفضل الامداد اللوجستي الخارجي، فإن الكتاب افرد مساحات شاسعة ليظهر براك في صورة "الرامبو" الإسرائيلي، القادر على مواجهة فرقة بكاملها، والخروج منتصرا، تجسيدا لمقولات من مثل" العقل اليهودي المتميز"، و"شعب الله المختار"، و"الجندي النوعي" وغيرها.

الجديد في العمليات التي ساقها الكتاب، ونسب بطولاتها إلى براك، يتعلق بالتفاصيل التي ظلت مخبأة في " قاصات" الأسرار، وربما بقي المزيد منها طي الكتمان، وفي اعتقادنا أن هذا الكتاب يحقق هدفين أحدهما عسكري والآخر سياسي:

أما العسكري فيتلخص في إظهار قدرة الجيش الإسرائيلي على عمل المعجزات، بما يعنيه ذلك من التخويف والردع.

أما السياسي: فهو إلقاء الضوء الساطع على شخصية الرجل الذي قد يكون رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم، وهو بذلك يجمع بين العسكري والسياسي، الذي يوفر الامن والامان لبني إسرائيل، وايهود براك مؤهل لذلك.

كتاب: أيهود براك .." الجندي الاول .. رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل"، وعلى الرغم، من أنه ترجمة حال لرجل قال عنه اسحق رابين" انه خليفتي"، فهو رصد لعمليات رافقت مسيرة عمل براك في الجيش الإسرائيلي، تجعل منه" صقرا"، وإن كان زعيما لحزب العمل" الأقل تطرفا"، الأمر الذي ينبغي أن يرسم صورة المستقبل، ذلك أننا نحن العرب، أدمنا الاصطفاف في طابور الانتظار كل أربع سنوات، لنتعرف على شخصية من اختاره شعب إسرائيل، ضارعين إلى الله، أن يكون "الأقل سوءا".

مترجما الكتاب، بدر عقيلي، نور البواطلة، جعلا من الحس الوطني مدخلا إلى الأمانة العلمية في الترجمة، فبدا الكتاب أكثر سلاسة، يشد القارئ نحو النهاية.

"أسرة دار الجليل"

الفصل الأول

طفولة تميزت بالفضول والعناد
برع في تفكيك الساعات وفتح الأقفال

شـــاءت الأقدار أن نبدأ قصة حيـــاة ايـــهود بـــراك الشـــــخصية -والـــذي قضى عمره في القتال- بالدم. ولا زال والده "يســـرائيل بـــــروج" يتذكـــر ذلـــك جيـــدا حتى اليـوم.

حدث ذلك في عالم آخر، بعيد كل البعد عـــن حقـــول الكيبوتـــس فـــي الســـهل الأوسط، والذي قضى فيه جل أيامه. ولـــد يســـرائيل عـــام ١٩١٠ فـــي قريـــة بوشـــيلط في لتوانيا، و كانت آنذاك جزءا مـــن روســـيا البيضـــاء، التـــي كـــانت تمـــر بـــأحداث جسام. ورغم رياح الثورة البلشفية العاتية التي بدأت تـــهب علـــى روســـيا، إلا أن هـــذه الرياح لم تعكس آثارا كبيرة على حياة الجاليـــة اليهوديـــة الكبـــيرة فـــي القريـــة والتـــي بدأت تتذوق بداية الرفاه الاقتصادي. وقد كان من بيـــن ســـــكان القريـــة مـــن توفـــر لديهم المال الكـــافي لشـــــراء قطعـــة ارض صغـــيرة، أو شـــراء حصـــان أو بقـــرة والعمل في الزراعـــة.

وعلى بعد عـــدة كيلومـــترات مـــن بوشـــيلط كـــانت تقـــوم عاصمـــة اللـــواء (بونيبز)، وهي مدينة حاخامات معروفـــة، وقـــد انطلـــق منـــها بعـــد ســـنوات معـــدودة رؤســـاء الطائفـــة (الحراديـــة) - المتدينـــون الورعـــون-وهـــم الذيـــن أقـــاموا فـــي إسرائيل تباشير الطائفة الحراديـــة، والمدرســـة الدينيـــة الكبـــيرة، ذات التـــأثير الواســـع "بونيبز" والتي يترأسها الحاخام اليعـــازر شـــاخ.

كان والد يسرائيل - روبن بروج- من وجـــهاء القريـــة وهـــو رجـــل متديـــن وحاخام، وعالم. ولم يكتف، روبن، على عكس غالبيـــة أبنـــاء القريـــة مـــن الحراديـــم - بدراسة التوراة فقط، بل أنهى دراسته في كليـــة الصيدلـــة فـــي (فيلنـــا)، رغـــم أن هـــذه المهنة لم تكن، في تلك الآونة، تحظى بالشعبية فـــي أوســـاط اليـــهود.

وفي صيف عـــام ١٩١١، اجتـــاحت القريـــة كارثـــة، حيـــث اندلعـــت نـــيران شديدة فيها، وأحرقت قسما كبيرا من منازلـــها التـــي كـــانت ســـقوفها مـــن القـــش كمـــا أحرقت كنيس القرية اليـــهودي.

شك رؤساء الجالية اليهودية في القرية بـــأن جيرانـــهم -مـــن غـــير اليـــهود- هم الذين دبروا الحريـــق فتقدمـــوا بشـــكوى إلـــى الســـلطات الروســـية، بيـــد أن هـــذه

السلطات ردتهم وسخرت منهم. ووجد يهود القرية صعوبة في جمع الأموال اللازمة لترميم المنازل التي أكلتها النيران.

وصلت أنباء الحريق إلى حي ايست اند وهو حي المهاجرين اليهود في نيويورك فهبوا لجمع التبرعات فورا لمساعدة سكان بوشليط وكان من الطبيعي أن يرسلوها إلى الصيدلي المثقف روبن، الذي وافق واستعان بالوجهاء لتوزيع الأموال على المتضررين.

وفي أعقاب استكمال ترميم المنازل وصلتهم مساعدة جديدة لإعادة ترميم الكنيس، بيد أن هذا المبلغ اسهم في انقسام السكان على أنفسهم، حيث طالب بعضهم ببناء الكنيس، في حين طالب الآخر بتوزيع المبلغ على السكان اليهود، لكن روبن عارض الطرح الأخير، وقال: يجب علينا أن نحترم رغبة المتبرعين من نيويورك. وحظي بتأييد حاخام القرية.

وخلال فترة الانتظار، حتى بدء البناء، أخفى روبن المبلغ في مكان سرّي في منزله، بيد أن السر تسرب، وسادت شائعة في القرية تقول: أن الصيدلي روبن يخفي في منزله مبلغا كبيرا جدا من المال. ولا شك أن الشائعات التي تتعلق بالمال، تنتشر بسرعة النار في الهشيم، وتصل إلى الآذان المصغية بلهفة.

وهكذا وصلت الشائعة إلى آذان اثنين من غير اليهود، واللذين قاما ليلة عيد العرش، عام ١٩١٢ باقتحام منزل روبن وزوجته فريده، فحطما رأسيهما بهراوة كانت معهما، ثم توجها إلى السرير الصغير، الذي كان قريبا من سريرهما، وكالا ضربة شديدة إلى جمجمة ماتير بروج ابن الرابعة والنصف، وغادرا المكان حاملين معهما صندوق المال، دون أن يعرفا أن هناك طفلا عمره سنتان ونصف السنة ينام في الغرفة الأخرى.

وفي ساعات الظهر، وصل رسول عاجل من قرية بوشليط إلى بلدة (كيدن) القريبة من (بونييز)، حيث كانت تقيم الجدة ايتسلع -٨٠ سنة والدة روبن بروج. وما كادت الجدة تسمع بالنبأ، حتى سارعت إلى عربتها، وأطلقت العنان

للحصان الذي يجرها. وحينما وصلت إلى المنزل المنكوب، لم تتوجه لرؤية الجثث، ولم تذرف دمعة واحدة، بل سارعت إلى مائير وحملته، وطارت به إلى الطبيب، الذي ما كاد يراه، حتى قال لها: الوضع يائس. والأمل الوحيد هو أن تصلي به بسرعة إلى المستشفى في (دورفت) الواقعة على بعد خمس عشرة ساعة سفر بالقطار.

لم تتردد الجدة للحظة، فأبقت يسرائيل الصغير لدى إحدى بنات العائلة، وطلبت من فتاتين تعملان لديها، أن تصاحباها في الرحلة الطويلة، كي تمسكا رأس مائير، حتى لا تتفاقم الإصابة. وهناك قالوا لها: إن الأمل ضعيف جدا، لكن قد تحدث المعجزة.

وحدثت المعجزة، وبعد ثمانية اشهر، عاد مائير إلى منزل جدته، ولم يبق من الإصابة القاتلة سوى آثار جرح عميق يقسم رأسه إلى نصفين. كانت الجدة قوية، وأشهر القصص على صلابتها تتمثل في إنقاذها لابنها روبن عندما أخذوه للتجنيد.

فعندما ناهز روبن الثامنة عشرة ألقى موظفو التجنيد القبض عليه، وأرسلوه لأداء الخدمة لمدة خمس وعشرين سنة وهي ظاهرة لم تكن غريبة أو مستهجنة.

كان اليهود، آنذاك، يتهربون من الخدمة العسكرية باتباع العديد من الأساليب والطرق، كأن يقطع سبابته، أو أن يحتسي الشاي فترة طويلة كي يرفع ضغط دمه. بيد أن روبن رفض عمل ذلك، وأرسل إلى جبال القوقاز لأداء الخدمة، على بعد آلاف الكيلومترات من (كيدن).

لم تكن الأم الأرملة على استعداد للتسليم بأخذ ابنها، لذا جمعت المال لمدة ثلاث سنوات حتى بلغ كما كبيرا، وخبأته على جسمها بعناية، ثم اتجهت إلى القوقاز لتخليص ابنها به.

وبعد ثلاثة أشهر، عادت الجدة ايتسلع ومعـــها روبـــن إلـــى (كيـــدن). ورغـــم أنها وروبن لم يتحدثا أبدا عما حدث خلال تلك الأشهر، الا أنـــها كـــانت تحمـــل بطاقـــة تؤكد أن روبن معفى من التجنيـــد.

وهكذا نجا روبن من الخدمة طيلة عشـــرين ســـنة، ليقـــع بعـــد عشـــرين ســـنة ضحية لهراوة اللصـــوص.

وفي صبيحة أحـــد أيـــام آب ١٩١٤ أيقظـــت حفيديـــها وقـــالت لـــهما: ارتديـــا ملابسكما بسرعة نحن مسافرون إلى بوشيلط، لقـــد اندلعـــت الحـــرب. وعلـــى الجـــدران كان الجيش الروسي قد علـــق منشـــورات تطـــالب اليـــهود بمغـــادرة المنطقـــة، التـــي سرعان ما تحولت إلى ميدان اقتتال لأكـــبر جيشـــين فـــي أوروبـــا :الجيـــش الألمـــاني والروسي. وقد تم تجميع اليهود، وإرســـالهم بالقطار إلـــى بلـــدة مليطوفـــول الواقعـــة جنوب أوكرانيـــا.

وقد احتل الألمان، بعد ســـنتين، البلـــدة، وبقـــوا فيـــها حتـــى ورثـــهم الجيـــش الروسي الأحمـــر، فـــي أعقـــاب انـــدلاع الثـــورة الســـوفيتية عـــام ١٩١٧، وبعـــد أن وضعت الحرب أوزارها، عادت الجدة بالحفيدين إسرائيل ومـــائير- إلـــى (بونيـــبز).

عندما بلغ يســـرائيل الســـن المناســـبة، تـــم تســـجيله فـــي المدرســـة الثانويـــة العبرية، في بلدة (كوبانه) القريبـــة، وهنـــاك اكتشـــف الصـــراع الثقـــافي الدائـــر بيـــن المحافظين على التقـــاليد، الذيـــن رغبـــوا فـــي إبقـــاء لغـــة (الايـــدش) كلغـــة للشـــعب اليهودي، وبين أولئك الذين يؤيدون اللغة الجديدة التـــي دخلـــت حديثـــا إلـــى المدرســـة، والشارع اليهودي وهي اللغة العبريـــة.

كانت تلك بداية اليقظـــة فـــي الجاليـــة اليهوديـــة هنـــاك، حيـــث أخـــذ رســـل الحركة الصهيونية: بوعلـــي تســـيون، بوعلـــي تســـيون سـمول، ليـــبرالين، صهاينـــة عامون، بيتار، هشـــومير هتســـعير- يبذلـــون قصـــارى جـــهدهم، لكســـب الشـــبيبة اليهودية في أوروبا الشـــرقية بمـــا فيـــها كوبانـــا. وقـــد تعـــرض الأخـــوان للتـــأثيرات الجديدة على الشارع اليـــهودي.

وفي عام ١٩٢٣، بدأ مـــائير يتحـدث عــن الــهجرة إلــى إســرائيل، وبعـد سنتين حزم حقائبه وانطلق في طريقه، في حين بقـــي يســرائيل بصحبــة الجــدة يعتنـــي بها، رغم أن قواها بــدأت تخــور إلــى أن توفيــت عــام ١٩٢٧. وفـــي عـــام ١٩٣٠، حصل على تصريح من حكومـــة الانتــداب، لدخــول فلســطين لإكمــال تعليمـــه فـــي الجامعة العبرية. وقد ساعده في ذلك، شــقيقه مـــائير، الــذي كـــان قـــد اصبـــح عـــاملا دائما في محطة الكهرباء (روتنبيرج) فـــي منطقــة البــاقورة، وقــد تــم تســجيله فـــي الجامعة العبرية في كلية الآداب، وتخصص فـــي الشـــعر والأدب العـــبري.

ومن ضمن الشخصيات التي انطبعت فـــي ذاكــرة يســرائيل شـــخص طويـــل القامة يدعى بن تسيون ميليكوبسكي، والذي أصبح فيما بعـــد يدعـــى نتنيـــاهو.

ولا زال بروج يتذكر المحاولات التي كـــان ميليكوبســكي يقــوم بـــها لإشـــاعة نظرية جابوتنســـكي حول قضيــة "ضفتـــان لنـــهر الأردن هـــذه لنـــا وتلـــك أيضـــا". وكان ميليكوبســـكي يحمل معـــه صندوقـــا صغـــيرا، يضعـــه فـــي باحــة الجامعـــة، ويلقي من فوقه الكلمات الحماســـية.

ولم يكن الاثنـــان يدركـــان أن التـــاريخ ســيجعل طريقيــهما تتصالبــان بعـــد خمـــس وســـتين ســـنة عندما يتصـــارع ابناهمـــا الواحـــد فـــي مواجهـــة الآخـــر، حول رئاسة الحكومــة.

كانت هنـــاك جماعـــة تدعـــى "مشـــمار"، وتتـــألف بغالبيتـــها مـــن مـــهاجري لتوانيا، الذين سكنوا بداية في هرتسليا، وعملوا في شـــق الطـــرق والزراعـــة.

وفـــي عـــام ١٩٣٣، تحدثـــت جماعـــة (مشـــمار) مـــع أعضـــــاء حركـــة (جورديونيه الشابة)، الذين استوطنوا اثر هجرتهم مـــن بولنـــدا، بـــالقرب مـــن ريشـــون لتسيون، وبنوا أول منازل في الكيبوتس الجديـــد (مشـــمار هشـــارون). وقـــد انضـــم يســـرائيل إلى هذه المجموعة في اليـــوم الأول لبنـــاء المنـــازل.

كان مـــن بيـــن الأعضـــاء اللاتـــي انضممـــن، فيمـــا بعـــد، إلـــى عضويـــة "جورديونيه الشـــابة" اســـترجودين، وهـــي شـــابة شـــديدة التحمـــس ومليئـــة بالحياة والحيوية، وســـليطة اللسان، عنـــد النقـــاش.

وقد تواصلت الرواية الغرامية التي بدأت بينها وبين يسرائيل، اربع سنوات، في أعقاب قدومها إلى الكيبوتس، وفي عام ١٩٤٠، تزوجها. وفي الثاني عشر من شباط ١٩٤٢، ولد ايهود بروج الابن البكر وفي صبيحة نفس اليوم، قتل في تل أبيب، يائير شتيرن زعيم (ليحي) على أيدي المباحث البريطانية، وقد اختار له والده اسم ايهود تيمنا باسم البطل العسكري التوراتي (ايهود بن جرا). وقد جاء شتاء ذلك العام، من اشد فصول الشتاء التي عرفتها البلاد، ولم تكن غرفة الأطفال في الكيبوتس دافئة بما فيه الكفاية، بيد أن المشكلة الأساسية كانت تتمثل في انه وعلى بعد عدة مئات الكيلومترات من هناك، كانت دبابات الجنرال الألماني رومل، تندفع في الصحراء الغربية مهددة باكتساح مصر، في طريقها إلى قناة السويس وفلسطين.

وبدا لأول وهلة، أنه لا يوجد هناك من هو قادر على وقف اندفاع الدبابات الألمانية، وان المسألة ليست سوى مسألة وقت حتى تصل إلى تل أبيب والقدس.

وبدأ الاستيطان، اليهودي يعد العدة لمواجهة المعركة الأخيرة مع الألمان وبدأ أولئك المطلعون يتحدثون عن (متسادة) جديدة، يتم خلالها تجميع الرجال المقاتلين في جبال الكرمل. وأجريت تدريبات على السلاح في جميع أنحاء البلاد داخل الكيبوتس – وفي نفس الوقت أخذت تتدفق على البلاد أنباء حول المجازر التي ينفذها النازيون ضد يهود أوروبا، وبدا واضحا للجميع، بأنه إذا ما تمكن الجيش الألماني من التغلب على العوائق الأخيرة في الوصول إلى البلاد، فإن نهاية الاستيطان اليهودي ستكون محتومة، وسيؤول إلى ما آل إليه الاستيطان اليهودي في أوروبا.

وفي تشرين الثاني ١٩٤٢، وقعت المعركة الحاسمة في الصحراء الغربية. وكانت الغرفة الثامنة البريطانية بقيادة الجنرال مونتجمري تواجه قوات رومل، وقد جرت المعركة على بعد عدة عشرات الكيلومترات من الحدود المصرية. وقد أدرك الجميع، أن هزيمة قوات مونتجمري تعني اندفاع الدبابات

الألمانية نحو قناة السويس، دون أيـــة عوائـق. بيـد أن المعجـزة وقعـت وانتصـرت قوات مونتجمري ودمرت قوات رومل في إشـارة واضحـة إلـى أنـها بدايـة النهايـة للحرب العالمية الثانيـة.

وحينما تناهت هذه الأنباء إلى البلاد، احتفل اليهود فـي جميـع الأنحـاء.

- ايهود الطفل الفضولي -

كان ايهود أحد أوائل الأولاد الذين ولـدوا فـي الكيبوتـس، وكـان فضوليـا، يحب سماع الروايات. وعندما ناهز الثالثة، عام ١٩٤٥ ولـد شـقيقه (ابينوعـم). وفـي الوقت الذي كان فيه ايهود ضعيـف البنيـة، ورقيقـا فـي طفولتـه، جـاء (ابينوعـم) ضخما وقويا. ومنذ الصغر، نشأت بينهما علاقـة تكـامل: ايـهود الـهادئ والمنطـوي على نفسه، وابينوعم المشـاغب المشـاكس.

كان هناك في مشمار هشارون - مثلـه مثـل الكيبوتسـات الأخـرى، مخـزن أسلحة كبير للهجناة وقد انكشـف هـذا السـر، أمـام أطفـال روضـة أطفـال ايـهود بالصدفة، فبينما كانوا يلعبون ذات مـرة فـي زريبـة الأبقـار، ضغـط أحدهـم علـى مفتاح ماء، ولدهشة الأطفال فتح باب كان مغلقـا ومموهـا بمخلفـات الأبقـار، واكتشـف الأولاد الأسلحة، بيد أنهم كانوا يدركون، فـي ظـل ظـروف تلـك الآونـة، أن الامـر يتعلق بسر كبير لا يجوز التحدث عنه، ومنذ ذلك الحين لم يتوجـهوا للعـب فـي نفـس المكان. بيد أن المظليين البريطانيين الذين اقتحموا الكيبوتس المـرة تلـو الأخـرى، لـم ينجحوا في كشف هذا السـر.

وفي إحدى هذه الهجمات، حـاول أحـد ضبـاط المظلييـن إغـواء الصغـار على البوح بالسر، فقال: الذي سيكتشـف لـي مكـان القنـابل سـأمنحه جـائزة- ومـن الجدير بالذكر أن كلمة قنبلة باللغة العبرية هي نفس كلمـة رمانـة- وقـد ذعـر كبـار رجال الكيبوتس، عندما قال ايهود بحماس بالغ : أنا سأكشـف لـك أيـن هـي القنـابل، وقاد الضابط إلى شجرة رمان، وقال : هـاهي. فـانفجر الضـابط بـالضحك، وانتـهت الأزمـة.

ورغم أن ايهود كان في السادسة من عمره، الا أن هناك حدثا لا زال منقوشا في ذاكرته، وهو ذلك الحدث الذي وقع ليلة الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧. كان جميع سكان الكيبوتس يجلسون إلى جوار الراديو وهم يصغون باهتمام بالغ. وعندما انتهى التصويت في الأمم المتحدة خرجوا جميعا إلى باحة الكيبوتس في فرحة عارمة، وظلوا يرقصون حتى الفجر، فقد شهدوا بداية قيام إسرائيل.

كان (مشمار هشارون)، آنذاك، يتكون من عدة عشرات من الأصحاب فقط. ولم يكن في مجموعة "درور" التي تضم ايهود سوى اثني عشر ولدا، وكان ايهود أصغرهم. ويختلف عنهم بكونه منطويا على نفسه وشديد الخجل وكان اقرب الأولاد إليه هو (افز هليفي)، الذي صاحبه فيما بعد، وشاركه في الكثير من أعماله. وقد كان هليفي أقوى ولد في المجموعة وفي العديد من المرات، قام بالدفاع عن ايهود في الشجار الذي كان يقع بينه وبين صبية آخرين.

أقيم مدرج لهبوط الطائرات المقاتلة إبان حرب ١٩٤٨ بالقرب من الكيبوتس، لاستخدام طائرات سلاح الجو، وكانت طائرات (مسرشميدت) تهبط فيه وتقلع منه في طيران منخفض محلقة على ارتفاع عدة عشرات الأمتار فوق كيبوتس مشمار هشارون. وكان ايهود يجلس ساعات طويلة على مدخل منزله، يراقب الطائرات المحلقة، ويلوح لطياريها بيديه. وبدأ، منذ ذلك الحين، يحلم بأن يكون طيارا- وقد رافقه هذا الحلم حتى التحاقه بالجيش- فقرأ كل ما نشر عن الطيران، وحفظ عن ظهر قلب الأوصاف التقنية لمبنى الطائرة والتي نشرها في تلك الآونة (اينجر ديفيد ابير) وهو مهندس وخبير طيران.

وعندما كان في الصف الثاني، حل لغزا نشرته جريدة "شيء للأولاد"، وتلقى من الجريدة إشعارا بأنه فاز بالجائزة الأولى، والمتمثلة بالقيام بجولة في سماء البلاد، بطائرة تابعة لشركة (اركيع) بيد أنه لم يتلق الجائزة حتى اليوم.

ورويدا رويدا، اكتسب ايهود لنفسه مكانة خاصة بين الأولاد، كطفل ذكي، متفتح، وفي نفس الوقت عنيد جدا، لقد لاحظ ذووه عناده، منذ الصف

الأول، ورفضه تقديم أي تنازلات للأولاد الآخرين. ولربمــا لــهذا الســبب، فضــل فــي العديد من الاحيان، أن يبقى وحده، ويبني مبانٍ مــن المكعبــات أو الحديــد.

تم اختيار ايجال برنر – والذي كان فــي الصــف الثــامن آنــذاك – كمــدرب ومرشد لايهود، وقد تطورت بيــن الاثنيــن علاقــة جيــدة، تواصلــت ودامــت زمنــا طويلا. وكان ايهود يرى في ايجال بطــلا لطفولتــه.

قرر الكيبوتس، شراء بيانو لحجــرة الطعــام،وقــد احبــه ايــهود حبــا جمــا. وكان يختلس اللحظات التي لا يكون هناك من يجلس فــي غرفــة الطعــام، كــي يمــرر أصابعه على مفاتيحــه.

وذات يوم، جــاء مــدرس موســيقى، وأراد أن يختــبر الأولاد فــي العــزف على الناي، بيد أن ايهود أصر على العزف على البيــانو، فــأذهل المعلــم هــو وأربعــة أولاد آخرين، وقد تم اختيارهم جميعاً لمواصلة التعلم على البيــانو. وكــان يــأتي معلــم مرة واحدة أسبوعياً لإعطائهم الــدروس اللازمــة.

وفي الصف السادس، بدأ طابع ايــهود فــي التبلــور، كــان فيــه خليــط مــن الإنسان الحــالم، الفضولــي، المشــاكس والقــائد، وســرعان مــا اكتشــف الأولاد، إن ايهود قادر على اتخاذ القرار عند الحاجة، حتى ولو كــان ذلــك القــرار يتعلــق بقطــع الجسر القائم علــى وادي الكســندر المــائج وتنفيــذ قــراره. وهكــذا تقبلــوا زعامتــه بصورة طبيعيــة.

هواية تفكيك الساعات

وفتح الأقفال

وفي هذه السنة، اكتسب مهارة فائقة في مجال تفكيك الساعات، وفتح الأقفال. وقد تمكن من ذلك بفضل فضوله لمعرفة السبب في تحريك عقارب الساعة بهذه الصورة المنتظمة، والسبب في إغلاق لسان القفل، وعدم فتحه الا بالمفتاح المخصص. كان يجيد فك الساعات وتركيبها بعد إصلاحها، في زمن قياسي، وكذلك فتح الأقفال.

وكانت تجري منافسات بينه وبين أولاد اكبر منه سنا من كيبوتسات أخرى، بيد أن ايهود كان دائما الأول وكان يعكف على الساعة يفككها بسرعة عجيبة، ويضع أجزائها المفككة بصورة منظمة ثم يعيد تركيبها، ولا يرفع عينيه إلى الحضور، الا عندما ينجز الهدف، وكان دائما يبتسم ابتسامة فوز لأن أيا من الأولاد، لم يكن يضاهيه في مهارته.

بدأت زعامة أولئك الصبية تتبلور في تلك الآونة، وكانت (تريتسه جل) تقود الفتيات، بينما افز هليفي، يقود الأولاد. أما ايهود الذي كان اصغر منهم بكثير فقد كان في مكانة مستشار دائما.

ولم يكن ايهود بارزا في الدراسة وكانت لديه كراسة واحدة، اعتاد أن يكتب فيها أفكاره إضافة إلى بعض الدروس، وحينما كان المعلمون يطلبون منه الإجابة عن أحد أسئلة الواجبات المنزلية من كراسته، كان يفتحها ويجيب من عقله، بيد أن هذه الطريقة انكشفت حينما أصر أحد المعلمين ليس على سماع الإجابة فقط، بل أيضا على رؤية ما كتب ايهود.

وفي سن البلوغ، أصبح ايهود قائدا لمجموعة الأولاد (درور). وذات ليلة، قرر الأولاد أن يطهوا طعاما في الخلاء، فقام ايهود بفتح قفل مخزن المؤن في غرفة الطعام بسهولة. وقام هو وزملاؤه بملء دلو ببيض الاوز والبطاطا دون أن يلحظ أحد شيئا.

- الأسلحة والديناميت -

وعندما اصبحوا في الثالثة عشرة أبدى الأولاد اهتماما بالأسلحة، وعثروا مصادفة، على كمية من الديناميت، منذ عهد البريطانيين، ولم يدر أعضاء الكيبوتس، ما هو سر الانفجارات التي كانت تهز، في الليل، زجاج النوافذ. بيد أن ايهود أصيب ذات مرة، بحروق في يديه الامر الذي حدا بالمجموعة، للكف عن العبث بالديناميت.

وذات مرة، جر ايهود الأولاد، وفتح قفل مخزن الأسلحة في (مشمار هشارون)، والذي كان في عهدة (عامي بورر)-ضابط في سلاح التسليح وأخذوا منه بندقية تلسكوبية ومسدسا، وتوجهوا إلى بيارة قريبة لإطلاق النار والتدرب. ثم نظفوا البندقية والمسدس، وأعادوهما إلى مكانهما.

وذات مرة، سرقوا مسدسا اخر من المخزن، وحشوه بعيارات غير مناسبة، مما أدى إلى كسر الزناد، وقد حاول ايهود إصلاحه، بيد أنه لم يفلح في ذلك، فقرر إعطاءه إلى مصلح أسلحة في الخضيرة، بيد أن المسدس لم يعد إلى مكانه حتى الآن.

وذات ليلة، قام ايهود بفتح القفل الذي يقي الدراجة النارية الخاصة بأحد أعضاء الكيبوتس وتجول فيها هو والأولاد طيلة الليل، وقبل الفجر، أعادوها، إلى مكانها دون أن يدري صاحبها بما حدث.

لقد فوجئ أعضاء المجموعة، اكثر من مرة، بقدرة ايهود على التحدث عن أماكن وأحداث لم يشهدها. وذات مرة تحدث بحماس بالغ عن فيلم كان يعرض في تل أبيب، فثارت ثائرة صديقته (نافاجولدبيرج) وقالت له: لكنك لم تشاهد هذا الفيلم، فأشار لها بيده، ثم قال لها فيما بعد: إذا ما قرأت بصورة جيدة عن الفيلم، فسوف يمكنك التحدث عنه وكأنك شاهدته.

وفي سن السادسة عشرة، قرر ايهود أن يسجل نفسه في جوالة كتائب الشبيبة (الجدناع)، وهناك، ظهرت مواهبه الفذة، في أعمال الملاحة. فلم يكن بحاجة إلى وقت طويل كي يفهم ما هو مرسوم على الخارطة، لقد كانت الخطوط

المتشـــــابكة، تبدو له بوضوح في صورة جبـــال ووديـــان وآبـــار ميـــاه لـــذا تحولـــت مجموعة بروج إلى إحدى المجموعات المطلوبة بيـــن مجموعـــات الجوالـــة. كـــان فـــي هذه الآونة قد اصبح له ثلاثة اخوة، هم: ابينوعـــم، ومولـــي وروبـــي.

كان ايهود في السابعة عشرة، حينما تلقى اكبر ضــــرة فـــي حياتـــه. فقـــد تـــم توزيع أبناء صفه الذين كانوا، حتى ذلك الحين، يدرســـون فـــي فصـــل واحـــد، فأرســـل الذين يدرسون في القسم الأدبي إلى مدرســـة (بـــرال) لقضـــاء عـــام التخـــرج الأخـــير، في حين أرسل البقية ممن يدرسون في القسم العلمـــــي – وهـــو معـــهم- إلـــى مدرســـة روفين. وقبل فترة وجيزة من الالتحاق بالمدرســـة، اتضـــح أن المديـــر يرفـــض رفضـــا باتا قبوله، فقد تناهت إليه أعمال الشغب، التي كـــــان يقـــوم بـــها، مـــن ســـرقة أســـلحة وفتح أقفال وغير ذلك ولم ينفعه في ذلك المنافسة التـــي جـــرت فـــي مدرســـة (روفيـــن) لفتح الأقفال، والتي فاز فيها بالمركز الأول. وكان حـــادث آخـــر، وقـــع فـــي الكيبوتـــس بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير بالنســـبة لقبـــول المديـــر، فقـــد انفجـــرت عاصفـــة عاتية في الكيبوتس، حيث اتضح أن شباناً قاموا بســـرقة أجـــزاء بندقيـــة رشاشـــة مـــن طراز عوزي رويدا رويـــدا، مـــن معـــرض الجيـــش الإســـرائيلي فـــي (بيـــت دجـــن) وتمكنوا من تجميع بندقية عوزي منـــــها.

وشاء حسن طالع ايهود أن يكون في تلـــك الليلـــة فـــي تـــل أبيـــب لحضـــور درس موسيقى، وقد أعلمه زملاؤه فـــي مجموعـــة (درور) بـــالأحداث العاصفـــة: بـــأن إحدى المدربات قد اكتشفت صندوقا ثقيلا تحـــت ســـرير أحـــد الشـــبان، وعـــثرت فيـــه على بندقية (عوزي)، فيما أنكر الشاب أي صلـــة لـــه بالبندقيـــة.

وقد حاول بعض أعضاء الكيبوتس معرفـــة الحقيقـــة مـــن الأولاد بـــالقوة، بيـــد أن الضرب لم يفد شيئا، ولم يعترف أي منهم علـــى ايـــهود، رغـــم أنـــه كـــان واضحـــا لهم، أن ايهود هو العقل المدبـــر للحـــادث.

وفي نهاية المطاف، طرح المدير اقتراحـــا غريبـــا، فقـــال: لـــن اقبـــل ايـــهود في المدرسة، بيد أنني سأمنحه فـــي نهايـــة العـــام، شـــهادة تخـــرج مثلـــه مثـــل بـــاقي زملائه، المهم هو ألا يشوش عمل زملائه ودراستهم أثنـــاء العـــام الدراســـي.

- الأسلحة والديناميت -

وعندما اصبحوا في الثالثة عشرة أبدى الأولاد اهتماما بالأسلحة، وعثروا مصادفة، على كمية من الديناميت، منذ عهد البريطانيين، ولم يدر أعضاء الكيبوتس، ما هو سر الانفجارات التي كانت تهز، في الليل، زجاج النوافذ. بيد أن ايهود أصيب ذات مرة، بحروق في يديه الامر الذي حدا بالمجموعة، للكف عن العبث بالديناميت.

وذات مرة، جر ايهود الأولاد، وفتح قفل مخزن الأسلحة في (مشمار هشارون)، والذي كان في عهدة (عامي بورر)-ضابط في سلاح التسليح وأخذوا منه بندقية تلسكوبية ومسدسا، وتوجهوا إلى بيارة قريبة لإطلاق النار والتدرب. ثم نظفوا البندقية والمسدس، وأعادوهما إلى مكانهما.

وذات مرة، سرقوا مسدسا اخر من المخزن، وحشوه بعيارات غير مناسبة، مما أدى إلى كسر الزناد، وقد حاول ايهود إصلاحه، بيد أنه لم يفلح في ذلك، فقرر إعطاءه إلى مصلح أسلحة في الخضيرة، بيد أن المسدس لم يعد إلى مكانه حتى الآن.

وذات ليلة، قام ايهود بفتح القفل الذي يقي الدراجة النارية الخاصة بأحد أعضاء الكيبوتس وتجول فيها هو والأولاد طيلة الليل، وقبل الفجر، أعادوها، إلى مكانها دون أن يدري صاحبها بما حدث.

لقد فوجئ أعضاء المجموعة، اكثر من مرة، بقدرة ايهود على التحدث عن أماكن وأحداث لم يشهدها. وذات مرة تحدث بحماس بالغ عن فيلم كان يعرض في تل أبيب، فثارت ثائرة صديقته (نافاجولدبيرج) وقالت له: لكنك لم تشاهد هذا الفيلم، فأشار لها بيده، ثم قال لها فيما بعد: إذا ما قرأت بصورة جيدة عن الفيلم، فسوف يمكنك التحدث عنه وكأنك شاهدته.

وفي سن السادسة عشرة، قرر ايهود أن يسجل نفسه في جوالة كتائب الشبيبة (الجدناع)، وهناك، ظهرت مواهبه الفذة، في أعمال الملاحة. فلم يكن بحاجة إلى وقت طويل كي يفهم ما هو مرسوم على الخارطة، لقد كانت الخطوط

المتشـــــابكة، تبدو له بوضوح في صورة جبـــال ووديـــان وآبـــار ميـــاه لـــذا تحولـــت مجموعة بروج إلى إحدى المجموعات المطلوبة بيـــن مجموعـــات الجوالـــة. كـــان فـــي هذه الآونة قد اصبح له ثلاثة اخوة، هم: ابينوعـــم، ومولـــي وروبـــي.

كان ايهود في السابعة عشرة، حينما تلقى اكبر ضـــــرة فـــي حياتـــه. فقـــد تـــم توزيع أبناء صفه الذين كانوا، حتى ذلك الحين، يدرســـون فـــي فصـــل واحـــد، فأرســـل الذين يدرسون في القسم الأدبي إلى مدرســـة (بـــرال) لقضـــاء عـــام التخـــرج الأخـــير، في حين أرسل البقية ممن يدرسون في القسم العلمـــــي – وهـــو معـــهم– إلـــى مدرســـة روفين. وقبل فترة وجيزة من الالتحاق بالمدرســـة، اتضـــح أن المديـــر يرفـــض رفضـــا باتا قبوله، فقد تناهت إليه أعمال الشغب، التي كـــان يقـــوم بـــها، مـــن ســـرقة أســـلحة وفتح أقفال وغير ذلك ولم ينفعه في ذلك المنافسة التـــي جـــرت فـــي مدرســـة (روفيـــن) لفتح الأقفال، والتي فاز فيها بالمركز الأول. وكان حـــادث آخـــر، وقـــع فـــي الكيبوتـــس بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير بالنســـبة لقبـــول المديـــر، فقـــد انفجـــرت عاصفـــة عاتية في الكيبوتس، حيث اتضح أن شباناً قاموا بســـرقة أجـــزاء بندقيـــة رشاشـــة مـــن طراز عوزي رويدا رويـــدا، مـــن معـــرض الجيـــش الإســـرائيلي فـــي (بيـــت دجـــن) وتمكنوا من تجميع بندقية عوزي منـــــها.

وشاء حسن طالع ايهود أن يكون في تلـــك الليلـــة فـــي تـــل أبيـــب لحضـــور درس موسيقى، وقد أعلمه زملاؤه فـــي مجموعـــة (درور) بـــالأحداث العاصفـــة: بـــأن إحدى المدربات قد اكتشفت صندوقا ثقيلا تحـــت ســـرير أحـــد الشـــبان، وعـــثرت فيـــه على بندقية (عوزي)، فيما أنكر الشاب أي صلـــة لـــه بالبندقيـــة.

وقد حاول بعض أعضاء الكيبوتس معرفـــة الحقيقـــة مـــن الأولاد بـــالقوة، بيـــد أن الضرب لم يفد شيئا، ولم يعترف أي منهم علـــى ايـــهود، رغـــم أنـــه كـــان واضحـــا لهم، أن ايهود هو العقل المدبـــر للحـــادث.

وفي نهاية المطاف، طرح المدير اقتراحـــا غريبـــا، فقـــال: لـــن اقبـــل ايـــهود في المدرسة، بيد أنني سأمنحه فـــي نهايـــة العـــام، شـــهادة تخـــرج مثلـــه مثـــل بـــاقي زملائه، المهم هو ألا يشوش عمل زملائه ودراستهم أثنـــاء العـــام الدراســـي.

لم يكن لدى ايهود أي مشكلة في قبول الاقـــتراح، فالدراســة لــم تكــن تشــده بشكل خاص، ومستوى المعلمين كان متدنيـــا فـــي عينيــه، بيــد أن المشــكلة الوحيــدة تمثلت في كيفية تلقي ذويه للنبأ؟؟ وقد ساق إليهم النبأ رويـــدا رويــدا وبأســلوبه، وقــال لهم: أن القرار ليس شيئا، وبمقدوره إكمال التعليم خـــارج إطــار المدرســة.

بيد أن والدته (استر بروج)، لم تستطع هضم الوضـــع، أمــا والــده، فلــم يبــد الكثير من التأثر، إذ كان يدرك تماما طبيعة كفاءات ابنـــه. بيــد أنــه اقــترح عليــه ألا يبقى في الكيبوتس خلال العـــام الدراســي، وأن ينضــم إلـــى صديقــه ايجــال جربـــر، الذي يعمل على جرار زراعي في النقب. لقـــد اســتهواه النقــب، أكــثر ممــا اســتهواه الصف الدراسي الثاني عشـــر.

- يقود تراكتوراً زراعيا -

وفـــي الأول مـــن أيلــول ١٩٥٨، عندمـــا التحـــق جميـــع زملائــه بمدرســة روفين، كان هو يعتلي تراكتوراً، ويحرث في حقـــول (موشـــاف بطيــش) وهـــي قريــة زراعية لمهاجرين من شمال إفريقيـــا.

كان أعضاء هـــذا الموشـــاف لا يزالـــون يخطـــون خطواتـــهم الأولـــى، فـــي الزراعة، واعتادت الكيبوتسات القديمة استئجار أراض منـــهم، وقــد اســتأجر كيبوتــس مشمار هشارون، ثلاثمائة دونم، من اراضيـــهم، وأرســـل إليـــها ايجــال جربـــر الـــذي أنهى خدمته العسكرية لتوه، ومناحم تحشون، وايـــهود بـــروج.

الفصل الثانـي

غر في سلاح المشاة المدرع
ثم عضوا في دورية الأركان

حلم ايهود بأن يصبح طيارا، كانت فكـرة إقـلاع الطـائرة تسـتهويه، وتعبـث بخياله، كيف يتمكن هذا الجسم الفولاذي الـهائل مـن التحليـق فـي الفضـاء؟؟ وكـان قائد سلاح الطيران آنذاك هو (عيزر وايزمن) وقد وضـع شـعارا يقـول: "المتمـيزون لسلاح الطيران". وكان ايهود يعتقد أنه من المتميزين. ولم يكـن لديـه أدنـى شـك فـي انه سيجتاز اختبار السلاح رغم أنه كـان أقصـر مـن أبنـاء جيلـه، وأضعـف منـهم جسديا. كانت المشكلة الوحيدة التي تثير قلقه، هي وزنـه القليـل نسـبيا، بيـد أنـها لـم تكن تمس بثقته بنفسه في أنه سيقبل فـي السـلاح.

وبعكس أبناء الكيبوتس الآخرين، لم يكن يرغـب فـي أن يغـدو جنديـا فـي سلاح المظليين، لقد كان كيبوتسه يقع علـى بعـد قليـل مـن قـاعدة تدريـب أغـرار المظليين، وكان يراهم ايهود، بيـن الفينـة والأخـرى، وهـم يعـبرون الحقـول التـي حرثها، وهم يقفزون من فوق التلال، ويحملـون النقـالات علـى أكتفـاهم، وأجسـادهم ترشح عرقا، ولم يكن يرغب في أن يؤدي خدمته العسكرية علـى هـذا النحـو.

والبديل الثاني الذي كـان ايـهود يتطلـع إليـه بعـد الطـيران، هـو سـلاح المدرعات. كانت فترة ما بعد حرب عـام ١٩٥٦، التـي بـدت فيـها مزايـا الدبابـات، وقد جذبته قوة المدرعات، والتكنولوجيا والمحركات هائلـة القـوة. شـريطة أن تكـون الأولوية للطـيران.

وفي يوم التجنيـد الموافـق ١٠-١١-١٩٥٩، توجـه مباشـرة إلـى جنـاح سلاح الجو. وقد نزع جميع الضباط الموجوديـن فـي الجنـاح -وجميعـهم طيـارون- إلى رفض هذا الصبي الذي يرتدي ملابس عسكرية، ويطلب التطـوع. بيـد انـه نجـح بعد الحديث القصير الذي أجـراه مـع ضبـاط التصنيـف، فـي إقناعـهم، بنقلـه إلـى المرحلة الثانية، وهي مرحلة الفحـوص الطبيـة.

اعتقد الطبيب الفـاحص أيضـا، أن هنـاك خطـأ مـا، وان الصبـي المـاثل أمامه جاء قبل سنتين من موعـد التحاقـه بـالجيش، بيـد أن الـوزن لـم يكـن هـو المشكلة، فقد اتضح من الفحص، أن لديه التـهابا مزمنـا فـي الحلـق، وبالتـالي، فإنـه غير صالح للطيران، وهو التشخيص الذي ثبت فيما بعد انه لـم يكـن صحيحـا.

توجه ايهود إلى جناح المدرعات، وهو يشــعر بخيبــة أمــل عميقــة، وطلــب أن يتم تجنيده في سلاح المدرعات فقبلوه، على أن يحول إلـــى ســـلاح المشــاة المــدرع الكتيبة التاســعة.

لم يكن ايهود جنديا متميزا في الوحدة، لكنه أيضا، لــم يكــن ســيئا، والكفــاءة الجسمانية لم تكن إحـــدى مميزاتــه، كمــا أن فــترة الأغــرار كــانت مــن الفــترات الصعبة للغاية بالنسبة لـــه.

لم يكن قادة الأغرار - على وجه الخصــوص، قــائد الحظــيرة (يشــاي ليفــي) يتهاونون مع الأغرار وسرعان ما أصبح ايهود، ومعـــه جنــدي آخــر يدعــي ايتســيك جيل، هدفا من أهداف القـــائد.

ويقول ايتسيك جيلا كان يشاي ليفي يحب التنكيــل بايــهود - نظــرا لانــه اقــل الجنود حجما - والتنكيل بي، لأنني كنت صلفـــا، وفـــي إحــدى ليــالي الشــتاء البــاردة، أخرجنا، نحن الاثنين، تحت الشتاء، إلـــى ســاحة التدريبــات، ونحــن نحمــل ســريرينا على ظهرينا، ووقف تحت مظلة، وأمرنا بالركض والتحـــرك طيلــة الليــل. وقــد كــاد ايهود ينهار، بيد أنه عض على نواجذه وواصل الحركة، وفـــي نهايــة المطــاف، ســئم يشاي ذلك وأراد العودة إلى الخيمة، فنظر إليـــه ايــهود، وقــال لــه بنصــف ابتســامة: هل من الممكن أن نواصـــل الركــض دورة أخــرى؟؟ فقــال يشــاي: أضجرتنــي .. اذهب إلى سريرك. وكان يبدو غاضبـــا.

تواصلت الصداقة بين الاثنين في دورية هيئـــة الأركــان، فقــد أوصـــى ايلــي جيل - عم ايتســـيك جيـــل - قــائد دوريـــة الأركـــان، أبراهـــام ارنــان، بــأن يقبــل ايتســيك في الدورية. وقبل ايهود أيضاً فـــي الدوريـــة.

كـــان الرقيـــب (يشـــاي ليفـــي) ينكــل بـــالأغرار، ويجعلـــهم يزحفـــون بيـــن الأشواك، ويرسلهم في رحـــلات والأســـرة علـــى ظـــهورهم. وتحولـــت لياليـــهم إلـــى نهار، وكان النوم ٣-٤ ساعات، هو بمثابة كماليات، ممـــا حـــدا بايـــهود للنـــوم بكـــامل ملابسه، وسكينه وشوكته وملعقته إلى جانبه، استعدادا للاســـتجابة لنـــداء القـــادة.

وفي إجازاته القصيرة، كان يقول لأصدقائه أنه لم يكن يتخيل أبدا أن الخدمة العسكرية، على هذا النحو، فهي لا تثير أي اهتمام لديه، ولا تضع أمامه أي محفزات، لقد تركت الخدمة بالكتيبة التاسعة، في نفس ايهود ندبا ومشاعر. بيد أنها لم تترك في خاطره ذكريات مثيرة للخيال مثلما كان يعتقد.

- التغيير -

ولم يمض سوى نصف سنة، حتى تغيرت مكانة هذا الجندي تغييرا عجيبا. فقد تم الإعلان عن حالة الاستعداد القصوى في الجيش الإسرائيلي في أيار ١٩٦٠، فقد دخلت قوات مصرية إلى سيناء، دون أن تلاحظ الاستخبارات العسكرية ذلك، ودون أن يتخذ الجيش المصري استعداداته لذلك. وتلقت وحدات الجيش النظامي أمرا بالتحرك جنوبا باتجاه الحدود مع مصر.

وفي إحدى الليالي، تم إعداد قافلة ذخائر في الوحدة التاسعة، واخذ القائد يبحث عن جندي قادر على قراءة الخرائط وقيادة القافلة إلى وجهتها في الليل. وقد فاجأ ايهود قادته وتطوع للمهمة. وقد جاء الرد الأول على هذا التطوع بالاستهزاء، فلم يكن أي من القادة يعتقد أن اصغر جنود الكتيبة قادر على القيادة وتوجيه القافلة.

أصر ايهود على موقفه، وطلب تزويده بخارطة والاعتماد عليه. وفي ساعات الليل الأخيرة، انطلقت القافلة إلى وجهتها، وقد تمكن ايهود من قيادتها، بالضبط، إلى نقطة اللقاء. وعندما عاد إلى الكتيبة كان قد اصبح ايهود آخر، فقد استدعاه قائد الفصيل بنفسه، كي يشكر الجندي الذي أنقذ شرف الكتيبة وهيبتها.

ومنذ تلك اللحظة، تغيرت معاملته، بل إن قائد الحظيرة (يشاي ليفي) أخذ يتعامل معه باحترام خاص.

- إلى دورية الأركان -

وفي إحدى الإجازات العادية، قابل ايهود صديق طفولته أبراهام امون، والذي سأله عن الوضع في الكتيبة؟؟ فقال بروج: صعب ولا يثير اهتمامه.

- امون : "لو اقترحوا عليك الانتقال إلى الدورية هل تقبل"؟؟

- ايهود: "أي دورية"؟؟ وما الذي يفعلونـــه هنــاك؟؟
- امون: "دورية ما"، وهناك يقومون بأعمال الملاحـــة، ويجـــرون تدريبــات مثــيرة.

ثار خيال ايهود، وأراد معرفة المزيد عن الدوريـــة، بيـــد أن امـــون لـــم يكـــن على استعداد للكشف عن ذلك، وقال : "سنرى مـــا الـــذي ســيحدث؟؟".

وبعد عدة أسابيع، شعر ايهود أن هناك توتـــرا خاصـــا حولـــه، فقـــد اســـتدعاه قادته، وسألوه: من الذي يهتم بأمره؟؟ ولماذا يرغب فـــي الانتقـــال مـــن الكتيبـــة؟؟ لـــم يدر ايهود ما الأمر، ولم يدر أن امون قد نقل اسمه إلـــى (ســـامي نحميـــاس) المســـئول عن تجنيد الأشخاص الجدد لدورية هيئة الأركـــان، وقـــال لـــه: أن ايـــهود قـــادر علـــى القيام بأعمال الملاحـــة علـــى الخرائـــط كبـــدوي فـــي الصحـــراء، وأنـــه أحـــد أكفـــأ الأشخاص في تفكيك وتركيب الساعات، وفي فتـــح الأقفـــال، وروى لـــه كيـــف تمكـــن ايهود في المنافسة على فتح الأقفال من فتح مائـــة قفـــل وهـــو معصـــوب العينيـــن فـــي غضون ســـاعة.

سارع نحمياس لحمل الروايـــة إلـــى أبراهـــام ارنـــان قـــائد الوحـــدة. وبـــدت الرواية له خيالية إلى حد ما، لكنه قال لنفسه: إذا كان قســـم منـــها صحيحـــا، فـــلا شـــك أن هذا الجندي هو أحد الجنود الذين يطمح إلـــى ضمـــهم لوحدتـــه.

استدعي ارنان سامي نحمياس، وايلي جيل، وقال لـــهما: احصلـــوا لـــي علـــى جميع المعلومات حول هذا الجندي، من الكيبوتس، مـــن المدرســـة ومـــن كـــل مكـــان، فإذا ما اتضح أن ما يقال عنه صحيح فلست أرغب فـــي أن يســـرقوه منـــا.

عاد الاثنان إلى أرنان بعد أسبوع وقالا له: كل ما قيـــل صحيـــح، فـــهو بطـــل في فتح الأقفال، وملاح لا يشق له غبـــار، وذكـــي ... لكـــن...

سال ارنان: لكن ماذا؟؟ فقال الاثنـــان: لقـــد قـــال لنـــا ضـــابط أفـــراد الكتيبـــة التاسعة: انسوا هذا الامر تماما، وقال شيئا عن قيام ايـــهود بقيـــادة وتوجيـــه قافلـــة فـــي الليل بالاعتماد على الخرائـــط.

لم يكن ارنان على استعداد للتخلـــي عـــن الاكتشـــاف، فتوجـــه إلـــى صديقـــه ديفيد اليعزر، الذي كان آنذاك يشغل منصب قائد ســـلاح المدرعـــات، وقـــال لـــه: "أنتـــم تستطيعون العمل بدونه، أما أنـــا فأحتاجـــه".

وذات صبـــاح، قـــدم نحميـــاس وجيـــل إلـــى مكتـــب ضـــابط أفـــراد الكتيبـــة التاسعة، وتم استدعاء ايهود. سأله الاثنـــان عمـــا إذا كـــان حقـــا يجيـــد فتـــح الأقفـــال، ويجيد أعمال الملاحة ليلا؟؟ فأكد ذلك، وقال إذا أردتـــم أســـتطيع أن اقـــدم لكمـــا الدليـــل الآن. فقال له نحمياس: يوم الســـبت عليـــك الذهـــاب إلـــى شـــارع ســـبيون-٥ وهنـــاك سيراك ابراهام ارنـــان.

وصبيحة يوم السبت توجه ايهود إلى منزل ارنان. الـــذي دهـــش تمامـــا وهـــو يرى أمامه صبيا يبدو في الأول ثـــانوي، بيـــد انـــه ادخلـــه، وفـــرش أمامـــه خارطـــة، واشار إلى جبال القدس، وقال: أنت هنـــا، وتريـــد الذهـــاب إلـــى هـــذا المكـــان، كيـــف ستصل؟؟ اخذ ايهود يتجول فوق الخارطة واصفـــا المنحـــدرات والتـــلال، وآبـــار الميـــاه بصورة مذهلة أثارت إعجاب ارنان. الذي قال له: حســـنا ســـتتلقى أخطـــارا.

عندما عاد ايهود إلى الكتيبة فـــي اليـــوم التـــالي، قـــال لـــه ضـــابط الأفـــراد: ســـتنتقل إلى وحدة أخرى. وفي نفس اليوم، توجـــه إلـــى قـــاعدة الوحـــدة حيـــث تـــم توجيهه إلى شـــعبة الأفراد، فوجـــد بانتظـــاره (بنـــي كوهيـــن) وهـــو يحمـــل اختبـــار القبول للوحـــدة:

- كوهين: اصعد إلى ســـطح المبنـــى، وقـــم بعمليـــة مراقبـــة للمنطقـــة، وســـجل كل ما تـــراه.

صعد ايهود إلى السطح وسجل كـــل شـــيء فعـــلا، بـــل لقـــد ســـجل مـــرور طائرة مسافرين من فوق المكان في تلـــك الآونـــة.

تواصل الامتحان، فطلب منه (بني كوهين) أن يصعـــد إلـــى ناقلـــة الجنـــود، وأن يقـــف على الجناح، والانطلاق على الأســـفلت:

-كوهين: هل كنت في سلاح المشـــاة المـــدرع؟؟

-ايهود: نعم سيدي القـــائد.

-كوهين: هل قفزت من سيارة مدرعة وهـــي منطلقـــة؟؟

-ايهود: نعم، فقط من الباب الخلفـــي.

-كوهين: هل تجيد القفز والدحرجـــة علـى الأرض؟؟

-ايهود: نعـم.

-كوهين: هذا ما ستفعله، انزل إلى الدرجة الأولى، وعندمــــا أقـول لــك اقفــز، عليــك أن تقفــز.

زاد كوهين من سرعة الناقلة، وراقـب ايـهود عقـرب السـاعة وهـو ينتقـل من ٥٠-٦٠، إلى ٧٠ كيلومترا في الساعة. وشعر بيــد كوهيــن قريبــة مــن حزامــه، وقال له: استعد للقفز. نظر ايهود إلى الأرض فشاهد العجــلات تنهبــها نــهبا، بيــد انــه دفع إحدى قدميه في الهواء استعدادا للقفز، لكن كوهيــن امسـك بــه بقـوة، وضحــك، وقال للضباط الجالسين معه: هذا الجندي على مـــا يــرام.

عاد ايهود إلى الكيبوتــس وهــو لا يعـرف بعـد مـا معنـى دوريــة هيئــة الأركان، فقرر أن يسأل أحد الرقباء في سلاح المظليين من معارفــه، والـذي قــال لــه بحماس: "هذه هي اكثر الوحدات العسكرية التي يتمتــع عملـها بالسـرية التامــة. انــهم يتسللون في الليل إلى غزة ويعودون ومعهم تذاكر ســينما مــن هنــاك.

وأضاف الرقيب، ذات مرة كنا في جولـــة عســكرية فــي الصحــراء، وفجـأة نزل نحونا قطيع من الأغنام من تلال الخليل، فأرســلنا مجموعــة مــن الجنــود لإلقــاء القبض على الراعي. وعندما عــادوا بــه، لــم اصــدق مــا أرى، لقــد كــان الراعــي (زخاريا). الذي كان معنا في الوحـــدة.

ورغم أن زخاريا لم يقل لنا مـــاذا يفعـل فــي هيئــة راعــي. إلا أن الجميــع كانوا يدركون. أن كل ما يقال حول دورية هيئــة الأركــان صحيــح".

الفصل الثالث

-ايهود "حبيب قلب" قائد الدورية-

مزايا الجندي المتميز لدى ايهود أثارت اهتمام قائد دورية الأركان

ولد أبراهام ارنان (هرلينج) في القدس عام ١٩٣٠، وفي السابعة عشرة التحق بمنظمة (البلماح) وشارك في معارك اقتحام القدس. وكان قائد اللواء في تلك الآونة العقيد اسحق رابين.

وحال انتهاء معارك ١٩٤٨ انتقل ارنان إلى شعبة استخبارات هيئة الأركان، وتمثلت وظيفته في تفعيل العملاء. وقد كانت إنجازاته محدودة بسبب طابع العملاء.

كانت لدى ارنان مخططات أخرى تتمثل في تشكيل وحدة تجمع بين القدرة التنفيذية للكوماندو، والعمل الاستخباري، واضعا نصب عينيه ديفيد سترلينج كقدوة، وهو ضابط مخابرات بريطاني كان يقود وحدة خاصة اسمها "وحدة الأشباح".

لقد حفظ ارنان كتاب سيرة حياة سترلينج عن ظهر قلب حول وحدته، التي كثيرا ما فاجأت الجيش الألماني القوي، في جبهة الصحراء الغربية. وكانت قوة سترلينج، تعمل في وحدات صغيرة وبجرأة بالغة على بعد مئات الكيلومترات خلف خطوط العدو.

وفي إحدى العمليات، دخل سترلينج على رأس خلية من وحدته إلى قاعدة التموين الألمانية كانوا يرتدون ملابس خاصة بسلاح المدرعات الألماني – وقاد سترلينج أعضاء خليته بخطى نازية واضحة، نحو مخازن الوقود، وقام بتفجيرها، ونجح هو ورجاله بالعودة إلى قاعدتهم بسلام ودون خسائر. كان ارنان على قناعة تامة، بأن الجيش الإسرائيلي في اشد الحاجة إلى مثل هذه الوحدة، والتي ستركز عملها في المجال الاستخباري والعمليات التنفيذية الخاصة. ولم يكن في أوساط القادة من يفكر بنفس هذا النمط، في أعقاب حرب سيناء ١٩٥٦، فرئيس الأركان الذي خلف موشيه ديان– الفريق حاييم لسكوف– كان يعتقد أن مهمته تتمثل في إعداد أطر عسكرية كبيرة لمواجهة الحرب المستقبلية. وهكذا لم ينجح ارنان في إقناعه بأهمية وضرورة الوحدة.

كان لسكوف يؤمن بأنه لا يجوز بـذل جـهود وإضاعـة مـوارد ماليـة، فـي فترات الهدوء النسبي على الحدود، والسـماح للجنـود بـالتجوال أثنـاء الليـل، داخـل أراضي العـدو.

وفي محاولة إقناع أخيرة، قام ارنـان بمنـاورة فأرسـل ايلـي جيـل – أحـد أعضاء وحدة تفعيل العملاء– وهو يرتدي ملابـس عربـي، إلـى الحـدود الشـمالية، حاملا معه أوراقا ووثائقا اسـتخبارية سـرية.

اعتقل حرس الحدود الإسرائيلي (الجاسـوس العربـي)، وحققـوا معـه طيلـة أسبوع – ولم يكن التحقيق لطيفا– بيد أنه لـم يعـترف بسـره. ولـم يكـن يعلـم بـهذا السر سوى ثلاثة أشخاص هم ارنان، ورئيس الأركان لسـكوف، وجيـل نفسـه –الـذي كانوا يطلقون عليه اسـم (داود). وإزاء نجاحـه فـي المهمـة، ضغـط ارنـان علـى لسـكوف لتشـكيل وحـدة تضـع قدوتـها (داود). فوافـق، وإن كـانت موافقتـه دون حماس.

تم تشكيل الوحدة، مطلع عام ١٩٥٨، كوحدة صغـيرة، بـلا مـوارد، بـل لـم يكن هناك من يؤمن بأهميتها، سوى حفنة صغـيرة مـن الأشـخاص.

اختار ارنان جنود وحدته الصغـيرة بعنايـة بالغـة، علـى غـرار مـا فعـل سترلينج. ومن الجائز أن هذه الوحدة، ما كانت سـتنجح، لـولا المسـاعدات التـي كـان يقدمها لهم نائب قائد المدرعات العقيد ديفيد بن اليعـزر. وكـان أول مـن التحـق بـهذه الوحدة ايلي جيل ، وسامي نحميـاس.

تم بناء الوحدة على نفس الأسس التي تم اتباعـها فـي بنـاء الشـعبة القريبـة للبلمـاح. وتـم تشـكيل نواتـها التأسيسـية، مـن خريجـي الوحـدة (١٥٤) التابعـة للاستخبارات والعاملة في مجال تفعيل العمـلاء. وفـي منتصـف عـام ١٩٥٨، وعلـى أرضية الصعوبات التي واجهها ارنان، في تشـكيل الوحـدة، قـرر ضـم نـواة قدامـى الوحدة (١٠١) إليها، رغم أن أولئك الأشخاص، كـانوا قـد غـادروا الجيـش وشـرعوا في بناء حياتهم خارجه وكان أول الذين تم استدعاؤهم، اسـحق جيبلـي، الـذي اشـتهر

لدى سقوطه في أسر الأردنيين عـــام ١٩٥٤، وقيــل لـــه، أنـــه هنـــاك شـــخصا يدعـــى ارنان يفتش عنـــه.

ويقول جيبلي: لقد عرفت ارنان منذ عـــهد الوحـــدة (١٠١)، وقـــد قـــال لـــي: أريدك وأريد باقي الزملاء، سوف أنشئ وحـــدة شـــبيهة بـــالوحدة (١٠١)، انظـــر مـــن يمكنك أن تجنده من الأصدقاء القدامى، وسأتحدث أنا مـــع مـــاثير هارتســـيون.

بدأ جيبلي يجري اتصالاته الهاتفيـــة، فجـــاء إليـــه (كوبـــي يتســـيف)، و(أبشـــه ادموفيتش)، و(ماثير هارتسيون). وفي عام ١٩٥٨، الحق بـــالوحدة أيضـــا العديـــد مـــن الأشخاص، ومن ضمنهم (شبتاي شبيط) الـــذي اصبـــح فيمـــا بعـــد رئيســـا للموســـاد و (وابراهام أمون) صديق ايهود منذ الطفولة، والـــذي أوصـــى بـــه.

كان نحمياس قد لجأ إلى تفعيل رجـــال مخـــابرات فـــي الكيبوتســـات لاختيـــار الأشخاص غير العاديين الذين كان يفتـــش عنـــهم لإلحاقـــهم بـــالوحدة. أنـــاس قـــادرين على التسلل إلى أي مكان وتنفيذ المهام والعـــودة بســـلام. وفـــي غرفـــة الطعـــام، فـــي الوحدة، كان قد وضع صـــورة لغـــلاف كتـــاب ســـترلينج "الجـــريء ســـينتصر". كـــان ارنان يحلم بتشكيل وحدة قـــادرة علـــى التســـلل فـــي ســـاعات الليـــل إلـــى المطـــارات العربية وتفجير الطائرات، كما خطط لإقامة مدرســـة للعمـــلاء الســـريين.

أثار ايهود انتبـــاه أرنـــان، واعتـــبره مزيجـــا مـــن مزايـــا الجنـــدي الميدانـــي المتميز القادر على اقتحـــام أي مكـــان وتخطـــي أي عقبـــة، مـــع قـــدرة علـــى عـــزف الموسيقى، وحل معادلات رياضيـــة معقـــدة.

لم يكن ايهود يدري أن القائد نفســـه مـــهتم بـــه شـــخصيا، ويراقـــب انخراطـــه في الوحدة. وقد تم إلحاق ايهود فـــي طـــاقم "بنـــي كوهيـــن" وهـــو ضـــابط يمينـــي ذو مظهر صلب وشـــديد.

كان ايهود أول من اجتاز في طاقمـــه، دورة (متفجـــرات) وحينمـــا عـــاد مـــن الدورة، اعتبر نفسه خبيرا كبيرا، وقد كلفه القائد بـــأن يـــدرب بـــاقي أعضـــاء الطـــاقم. ولم يحب أحد الجنود الأسلوب الذي يعلم به ايهود، فـــاطلق عليـــه اســـم نـــابليون، وهـــو الاسم الذي لم ينجح ايهود في التخلص منه طيلة المرحلة الأولـــى فـــي الوحـــدة.

وفي غضون فترة وجيزة، اصبـــح ايـــهود بـــروج حبيبـــا لنفـــس القـــائد، بـــل وكان ارنان يعد عمليات خاصة تتناسب مع لقـــــاءات بـــروج.

وفي أعقاب إثباته لنفسه ميدانيا، تـــم تجنيـــده لمـــهام لا تقـــل أهميـــة: إغنـــاء مخازن وقود الوحدة بصورة أساسية، على حســـاب وحـــدات أخـــرى.

بعد وقت قصير من وصوله إلـــى الوحـــدة، وجـــد ايـــهود نفســـه فـــي جولـــة ملاحية مرهقة جدا في جبال القدس. وقد قام (يجيـــآل امســـلم) بقيـــادة عمليـــة الملاحـــة، التي استغرقت ليلة ويومـــــا، وبعـــد أن اجتـــازوا أربعيـــن كيلومـــترا ليـــلا، وجـــدوا أن النهار شديد الحرارة، وفي مرحلة معينة اكتشـــفوا انـــهم اخطـــأوا فـــي الملاحـــة، وبـــدأ قسم من الجنود يشعر بالجفـــاف، وكـــاد ايـــهود –افضـــل مـــلاح فـــي المجموعـــة– أن يغشى عليه ولم يبق لهم سوى (مطرة) ماء واحدة لســـــاعات الطـــوارئ. وكـــان اقـــرب مصدر مياه إليهم في (نئوت هكيكار) على بعد عـــدة كيلومـــترات طلـــب (أمســـلم) مـــن (ايهود) أن يقودهـــم باتجـــاه نئـــوت هكيكـــار، بيـــد أن ايـــهود لـــم يســـتطع الإمســـاك بالخارطة وهو نصف مغمى عليه، فأعطوه جرعـــة مـــاء، ثـــم اســـترد قوتـــه، وشـــرع بالسير وباقي أعضاء الوحدة وراءه، وبعد نصف ساعة كانوا فـــي نئـــوت هكيكـــار.

وفي إطار التدريبات، تم إرسال الطاقم للعيـــش ثلاثـــة أســـابيع بصحبـــة البـــدو في النقب، فقد آمن ارنان، أن الطريق للجندية في وحدته يمر عـــبر خيـــام البـــدو. وقـــد قالوا لرئيس القبيلة أنهم طلبة من الجامعة، يجـــرون أبحاثـــا علـــى نمـــط حيـــاة البـــدو. وقد تبنى أحد البدو ويدعى جمعـــة البســـيزي ايـــهود، وعلمـــه كيـــف يركـــب الجمـــل، ويقود قافلة جمال في الصحراء. وقـــد بقيـــت العلاقـــة بيـــن ايـــهود والبـــدوي العجـــوز الذي كان أبناؤه يعملون كقصاصي اثر في الجيش، حتـــى فـــي أعقـــاب مغـــادرة الطـــاقم للخيمة. وقد قال له جمعة فيما بعد: إن القبيلـــة كلـــها كـــانت علـــى علـــم بأنـــهم ليســـوا طلبة.

وإذا ما استثنينا التدريبات والرحلات هنـــا وهنـــاك، يمكننـــا القـــول أن ارنـــان كان يشعر بالإحباط الشديد، فقـــد أدرك، أن الوحـــدة أصبحـــت ناضجـــة للقيـــام بعمـــل استخباري كبير، بيد أن القيادة كـــانت تشـــك فـــي قدرتـــها، وفـــي مطلـــع عـــام ١٩٦١

ترك ارنان الوحدة، ولا زال الشعور بخيبة الأمل يرافقه، جراء عدم إيلائه الثقة اللازمة والدعم، من هيئة الأركان، واجتاز دورة قيادة أركان. وعين بدلا منه يوسف قسطل الذي كان قائدا لدورية جولاني، وعين اهارون اشل (آرول) -أحد قادة عمليات الرد الانتقامية على العرب في الوحدة (١٠١)، نائبا له.

وفي نهاية عام ١٩٦١ عاد ارنان لقيادة الوحدة. وفي نفس الوقت توجه ايهود لاجتياز دورة ضباط سلاح مشاة.

الفصل الرابع

- خارج الحدود -

قاد بنجاح أول مهمة لجمع المعلومات الاستخبارية في هضبة الجولان

كان ايهود بروج أول جندي في تاريخ الوحـــــدة، التـي تخـرج منـها، يقـرر الالتحاق بدورة ضباط سلاح المشاة. فقـد اعتـاد خريجـو هـذه الوحـدة، حتـى ذلـك الحين، الالتحاق بدورة ضباط شعبة العمليات، التي كـانت أقصـر وأسـهل، ومـن ثـم بدورة ضباط الاستخبارات. وقد نجح ايـهود فـي إقنـاع (قسـطل) بضـرورة وجـود بنية تحتية ضباطية حربية متميزة، تجتـاز أعلـى مراحـل التـأهيل، إذا أرادت الوحـدة أن تصل إلى مستوى تنفيذي رفيع، ويبدو أن رغبته هـذه، جـاءت انطلاقـا مـن نيتـه الانخراط مستقبلا في صفـوف الجيـش الإسـرائيلي. وقـد اسـتمع (قسـطل) إلـى كلامه واقتنع بـه.

في بداية الدورة، شعر ايـهود بـالنقص أمـام شـبان آخريـن، جـاءوا مـن وحدات ميدانية. إذ لم يسبق له أن التحـق بـدورة رادار ومصطلحـات رئيسـية مثـل عدو من اليمين، عدو من اليسار، إذا اصطدمت بالعدو -تقـدم وهـاجم لـم تظـهر فـي قاموس الوحدة. كانوا هناك يتحدثون بلغة أخرى، غير تلـك التـي يتحدثـون بـها فـي الجيش الإسرائيلي. ولم يعرف طبيعة الأوامر العسكرية المتبعـة فـي الجيـش آنـذاك.

يقول ايهود: "فقط، عندما خرجت إلى الميدان، وجـدت مكـاني. لقـد تحدثـت هناك خبرتي وتجربتي فـي مجـال التوجيـه الملاحـي. فـي إحـدى الأمسـيات، جلست في غرفتي أراجع حسـاباتي. لقـد بذلـت جـهدا كبـيرا، إلـى أن وصلـت إلى دورة الضبـاط.

وتعتبر مهمة الضابط النشيط، اكـثر المـهام شـعبية فـي دورة الضبـاط. أي أن يعرف أحدهم كل شيء، ويرتبط كل شيء بالتالي به. في مثـل هـذه الحـال ينبغـي عليه أن يقوم بالتوجيه اللازم، وان يصل إلى الهدف. وسـرعان مـا اكتشـفت أن قـادة الشُعب يتصارعون فيما بينهم، للحصول عليّ كضـابط نشـط فـي المنـاورات. كـانوا واثقين من أنهم سيتمكنون، معي فقط، مـن الوصـول إلـى الـهدف، بـأقصر السـبل وفي الوقت المناسـب".

أثبت ايهود نفسه في الدورة منذ اليوم الأول، إذ أن قدرته على التوجيه الملاحي أدهشت المدربين، الذين تخرجوا جميعا من وحدات مقاتلة. ولقد عرف ايهود كيف يترجم كل ما تعلمه بدقة ووضوح.

يقول أحد المستجدين في الدورة ويدعى (أوري رانجمان)- أصبح فيما بعد أستاذا في كلية الحقوق بجامعة تل أبيب، وبعد ذلك مؤسس ومدير كلية الحقوق في هرتسليا: "لقد ألقي على عاتق ايهود مهمة الإعداد لمناورة هجوم في نهاية الدورة. ولا أظن أن أحدا ما أدّى مهمة وقدم ملخصا دقيقا لتفاصيلها، بمثل هذا النجاح. لقد اخرج جميع المدربين مذكراتهم وبدأوا بتدوين ملاحظاتهم. ولقد كان التنفيذ بمستوى جيد".

اختير ايهود كأحد المستجدين الستة المتميزين في الدورة. وقد قام نائب رئيس هيئة الأركان العامة آنذاك، اللواء اسحق رابين بالكشف عن الدرجات التي حصل عليها. تبادل معه بعض المجاملات وطلب منه معرفة المنطقة التي أتى منها. وقد اتضح فيما بعد، إن بروج لم يكن وحده الذي تذكر المقابلة، بل رابين أيضا الذي استمع إلى عبارات المديح والثناء التي كان قائد الدورة يكيلها لايهود كانت تلك المقابلة الأولى وعقبتها مقابلات أخرى عديدة.

انتهت الدورة في منتصف عام ١٩٦٢، وعاد ايهود إلى الوحدة ليشرف على طاقم تنفيذي وبوصفه قائدا للطاقم، أعد خطة تدريبات غير عادية أبداً لجنوده، مسارات حربية وغارات ليلية لأهداف مختلفة، وبفضل قدرته على التوجيه الملاحي، قادهم إلى محاور خاصة ومواقع تاريخية في تاريخ الاستيطان اليهودي ومناطق في صحراء (يهودا) جنوب الضفة الغربية. لقد كان يتمتع بقدرة قيادية فاعلة، وما زال جنوده يتذكرون حتى اليوم، أنه لم يكن يحتاج -تقريبا- إلى خرائط أو بوصلات أثناء عملية التوجيه الملاحي.

كان اللقاء الأول مع الطاقم في جولة مسافتها ١٢٠ كم من حيفا إلى تل أبيب، ومن هناك إلى معسكر الوحدة ٢٤ ساعة سير متواصل. لقد كان اختبارا

خاصا للمقاتلين الشبان وأول فرصة لقائد الطاقم كي يراهم في ظروف قاسية تستلزم الشجاعة والقوة.

في كانون الثاني ١٩٦٢، عين اللواء مائير عاميت رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية، خلفا للواء حاييم هرتسوغ. ومقابل هرتسوغ الذي أبدى تعاطفه إزاء الوحدة، وتشكك في الوقت ذاته بقدرتها التنفيذية، كان عاميت أكثر انفتاحا أمام الأفكار التنفيذية التي اقترحها ابراهام ارنان وكان مستعدا لمنح دورية هيئة الأركان صلاحيات محدودة لفترة قصيرة.

أدرك مائير عاميت أنه لن يكون رجل استخبارات جيد، دون أن يتعرض للمخاطر. وقد كان مستعدا لمواجهة جميع الأخطار، وتقديم كل ما ينبغي تقديمه. ولم ينس زملاؤه في الوحدة، موقفه هذا.

تعززت وتيرة التدريبات في تلك الفترة. وفي إحدى الأمسيات، جمع قائد الدورية قادة الأطقم في غرفة الطعام، وقد نشرت على الجدران خرائط الهضبة السورية.

كشف ابراهام ارنان النقاب عن العملية السرية التي كانت عبارة عن اختراق استخباري للمنطقة السورية. وقدم للحضور قائد العملية، الملازم ثان، ايهود بروج ولا شك في أن هذا القرار أذهل الجميع لأنهم كانوا جميعا أقدم من ايهود.

وبعد سلسلة من التدريبات، والتجارب توجه الطاقم إلى الحدود كانت المهمة، جمع معلومات استخبارية محددة في منطقة بالمواقع السورية. وقبل ذلك بثمانية أعوام، وتحديدا في كانون أول ١٩٥٤، خرجت وحدة (جولاني) إلى المنطقة، ووقعت بأيدي السوريين، كان "بروج" وأفراد الطاقم على علم بما حل بهؤلاء الجنود في تلك العملية، وكيف تم وضعهم في السجون السورية.

يقول أحد أفراد الخلية ويدعى (كوتي شرعافي): "بدأنا الصعود باتجاه المنطقة السورية. اكتشفت أن ايهود يقوم بمهمة التوجيه دون خارطة، من خلال ثغرات في حقول الألغام. كان يقود المجموعة بأمان تام ربما توقف مرتين أو

ثلاثا، ليشخص طبيعة المنطقة، ثم يواصل السير. سرنا مدة خمس ساعات تقريبا، وكان ايهود يسير أمامنا بمفرده لم ينبس ببنت شفة، طوال المسيرة، وكان يكتفي بالإشارة بيده كلما اقتربنا من الهدف اقصد منشأة تابعة للجيش السوري؟؟

بعد ذلك بست وعشرين عاما يتذكر "براك" جيدا، تلك العملية التي حظي بفضلها بالوسام الأول، ويقول: "لم تكن مهمة التوجيه الملاحي سهلة. حسب الخرائط كانت المنطقة مزروعة بالألغام والمواقع السورية، وكان الممر بينها ضيقا. كان ينبغي تحديد المسار بدقة. وبعد بضع ساعات من السير، اكتشفت من خلال المنظار موقع الهدف –زاوية موقع على هامش أحد المعسكرات. سار أفراد الطاقم خلفي باستعداد تام. داسوا على الأشواك والحجارة وافتعلوا ضجة، خشيت أن توقظ الجيش السوري كله، وعندما أصبحت على مسافة ٥٠ مترا من الهدف سمعت صوت شخير انحنيت إلى الأرض، أعطيت الإشارة للرجال بالتوقف، ثم زحفت باتجاه الصوت.

زحف بالقرب مني (ايفي ت)، الذي كان نائبي في العملية، وبعد ذلك قائد وحدة "اجوز"، ومسئولا عن جهاز الاتصال، وكان المشهد الذي رأته أعيننا غريبا. شاهدنا جنديين سوريين مستلقين على بطانية. وقد استغرقوا في النوم حد الشخير بصوت مرتفع. كنت أخشى أن يستيقظا، إن نحن مررنا إلى جانبهما، قررت قطع الاتصال وتطويق الجنود السوريين. لكن أحدهما همس من ورائي: ايهود يقول المسئولون في غرفة العمليات الأمامية إننا استنفذنا الوقت المحدد، وانه ينبغي علينا العودة.

على بعد بضعة كيلومترات من هناك، كان قائد المنطقة الشمالية، ابراهام يافيه، رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء مائير عاميت، نائبه أهاريلا ياريف وقائد الوحدة، ابراهام ارنان، يجلسون جميعا في غرفة العلميات الأمامية، التي أقيمت بالقرب من الحدود السورية. أراد يافيه وياريف إنهاء المهمة والعودة حالا. كانا يخشيان ألا تتمكن القوة من اجتياز الحدود، وأن تجد نفسها، في وضح النهار، في منطقة سورية، تغص بالقوات العسكرية.

كنت على مسافة خمسين مترا من أقصى نقطة في الموقع السوري، ومسافة خمسة أمتار من أحد الجنود السوريين النائمين. كنت واثقا من قدرتي على إنهاء المهمة والعودة في الوقت المحدد، فأمرت ايفي بقطع الاتصال.

كاد (ارنان) الذي جلس في الغرفة الحربية الأمامية أن ينفجر غضبا. فها هو الفشل الأول، وهذه هي نهاية الوحدة التي تحتل لديه مكانة عالية. ولقد أثار قطع الاتصال قلق كبار القادة، حتى أن المسؤولين في شعبة العمليات الأمامية، بدأوا مناقشة إمكانية إرسال قوة إنقاذ، وهي الخطة التي قد تشعل كل المنطقة.

بعد ساعة ونصف الساعة من قطع الاتصال، استقبلت منظومة الاتصال الكلمة السرّية التي كانوا جميعا بانتظارها. لقد نفذت القوة المهمة وهي في طريق العودة. ولقد بقيت تفاصيل العملية كغيرها، طي الكتمان حتى اليوم.

كانت سعادة ابراهام ارنان، لا توصف. أسرع إلى قائد العملية ولم يكف عن تطويقه وعناقه. أدرك ايهود أن قائد الوحدة يحاول استجماع قواه، لئلا ينفجر بالبكاء، من شدة الفرح والسعادة. حاول لكنه لم يتمالك نفسه.

بعد انتهاء العملية بوقت قصير، تم استدعاء ايهود إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، تسفي تسور. الذي أشاد بقدرته القيادية وشجاعته، وتشبثه بالهدف الذي ينشده. كان وسامه الأول من بين الأوسمة الخمسة، إذ فاق أي ضابط أو مقاتل آخر في الجيش الإسرائيلي.

وفي أعقاب العملية، قال ارنان لقائد سرب المروحيات الأولى في الجيش الإسرائيلي، اوري ياروم: "تذكر هذا الشاب إنه سيصل إلى البعيد. إلى رئاسة هيئة الأركان".

كانت تلك الفترة، بداية عصر (ازدهار) الوحدة فقد اكتسبت الأطقم خبرة عملية واسعة، في نشاطات متنوعة خارج الحدود. ولا شك في أن تلك الإنجازات عززت الشعور بالأمن الذاتي. إذ لم يعد أحد يتحدث عن إمكانية حل الوحدة.

وتعقيبا على العملية قـال مـائير عـاميت لابراهـام ارنـان وللضبـاط: "أنـا أبارك جهودكم. بعد خمس عمليات ناجحة، أجد نفسي قـادرا علـى هضـم فشـل مـا. لكن الامر ليس سهلا. حاولوا إرجاءه قـدر المسـتطاع".

في ذلك الوقت سرت في الجيش الإسـرائيلي شـائعات تتحـدث عـن وحـدة سرية، تستطيع الوصول إلى كل مكان. ولم يكن قـد أطلـق عليـها فـي ذلـك الوقـت بعد، اسم "وحدة" بل كان اسمها الرسمي دوريـة هيئـة الأركـان.

تزامن موعد تسريح ايهود مـع بلـوغ العمليـات الميدانيـة ذروتـها، بيـد أن أحدا من دوف تماري أو رئيس شعبة الاستخبارات مـائير عـاميت الـذي خـدم أيضـا كرئيس للموساد، لم يكن مستعدا لسماع نبـأ تسـريحه القريـب. وقـد أوضـح ايـهود لهم، أنه شخصيا، مستعد لتمديد فترة خدمتـه، غـير أن الكيبوتـس يمـارس ضغوطـه عليه ليعود. وهنـا قـرر عـاميت محاولـة إقنـاع الجـهات المسـؤولة، فكتـب إلـى سكرتارية الكيبوتس وطلب تمديد فترة خدمة ايهود لكنهم لم يسـارعوا إلـى الـرد فقـد حان الوقت من وجهة نظرهم، كي ينخرط ايهود فـي مجـال الزراعـة.

بيد أن مائير عاميت لم يتنـازل، وطلـب المثـول أمـام أعضـاء الكيبوتـس جرى الاجتماع في غرفة الطعام. لم يكشف عاميت النقـاب عـن المهمـة التـي يقـوم بها ايهود، لكنه أوضح للحضور مدى أهميتـه بالنسـبة للجيـش وللوحـدة التـي يخـدم فيها. وفي نهاية الاجتماع، تمت الموافقة على بقاء ايهود فـي صفـوف الجيـش.

في نهاية عام ١٩٦٣، غادر ابراهـام ارنـان الوحـدة، وعيـن دوف تمـاري خلفا له كان من الصعب على ايـهود الانفصـال عـن ارنـان. فبعيـدا عـن العلاقـة الشخصية التي تجمع بينهما، كان ايهود يكن الإعجـاب والتقديـر لـه ولجـهوده التـي بذلها من أجل تشـكيل الوحـدة. فقـد بنـى وحـدة مـن لا شـيء، رغـم معارضـة شخصيات رفيعة المستوى في هيئـة الأركـان العامـة. ولـولاه لمـا قـامت الوحـدة، ولكان ايهود سينهي خدمته العسكرية في الكتيبة التاسعة بسـلاح المشـاة المؤلـل.

طوال فترة خدمته العسكرية، لــم ينـــس ايـهود فضـل ابراهـام ارنـان، الذي كان يقول عنه، بأنه قد منحـه فرصـة لا تعـوض ليجـد مكانـه فـي صفـوف الجيـش الإسـرائيلي.

واصل ابراهام ارنان شـغل منـاصب رفيعـة المسـتوى فـي الاسـتخبارات ومراقبة الوحدة عن بعد. في عام ١٩٧٠ اكتشف أنـه يعـاني مـن مـرض السـرطان. وقد حارب هذا المرض عشر سنوات، رغم أن الأطبـاء لـم يتوقعـوا لـه حيـاة تزيـد عن ستة اشهر، وتوفي عـام ١٩٨٠.

استغل دوف تماري الإنجازات التنفيذية الأولى للوحـدة، لبلـوغ المزيـد مـن المهام الخاصة. ولا شك في أن الفضل يعود له فـي تثبيـت دعـائم الوحـدة وتأسـيس قدرتها وكفاءتها التنفيذية المتمـيزة.

عمل تماري وفق معايير أخرى، فقـد زرع فـي الجنـود روحيـة الانضبـاط الشخصي والعملي وقد قيل عنه أنه نجح في نقـل الوحـدة مـن عصـر البلمـاح إلـى الجيش الإسرائيلي. لكن الوضع بالنسبة له، كان أسـهل بكثـير، إذ لـم يكـن تمـاري مضطرا لإقناع كبار الشخصيات في قيادة الجيش بـالقدرة التنفيذيـة التـي يتمتـع بـها رجاله. وفي تلك الفترة، حظيت الوحـدة بـالاعتراف، فـي ظـل الإنجـازات الكبـيرة التي حققـها.

وكما كانت الحـال بالنسـبة لابارهـام ارنـان، اعـترف تمـاري بـالقدرات الفريدة التي يتمتع بها (ايهود بروج) وألقى على عاتقـه مـهام تفـوق مـا ألقـاه علـى عاتق قادة أطقم أخـرى.

في شباط عام ١٩٦٤ تسـلم تمـاري، الـذي كـان بطبيعـة الحـال ضابطـا مقاتلا، قيادة الوحدة بشكل رسمي. وقبـل ذلـك بشـهر واحـد، عيـن اسـحق رابيـن رئيسا لهيئة الأركان العامـة، وقـد رأى فـي دوريـة هيئـة الأركـان، أهـم وحـدات الجيش الإسرائيلي، وعنصرا أساسيا في خلـق قـدرة اسـتخبارية.

كان ايهود يشعر بشـيء مـن الدهشـة إزاء العلاقـة التـي قـامت بيـن رابين ودورية هيئة الأركـان. فقـد كـان رابيـن يحـرص علـى متابعـة منـاورات

الوحدة، ويحـــاور المقـــاتلين قبـــل أدائـــهم المـــهام الخاصـــة وبعدهـــا، ولقـــد عـــززت الزيارات المتتالية علاقته بالضابط الشـــــــاب (ايـــهود)، الـــذي كـــان يحظـــى بمديـــح قادة الوحدة أمامــــه.

كان ايهود بروج الاسم اللامع فـــي جيـــل القـــادة الجـــدد فـــي دوريـــة هيئـــة الأركان، وقد ظهر إلى جانبه عدد من القادة المؤهليـــن فـــي الجيـــش الإســـرائيلي بينـــهم (نحميا كوهين)، (داني يتوم)، (ابشلوم حوريـــــن)، (جيـــورا زورع) وغـــيرهم.

حدث ذات مرة أن أصيب أحد أفراد الطاقم الذي يقـــوده ايـــهود، بتمـــزق فـــي قدمه، قبيل بدء إحدى رحلات التوجيه الملاحي التي يقوم بـــــها. كـــان مـــن الضـــروري تقسيم الجنود بشكل زوجي، وفي ظل غيـــاب أحـــد أفـــراد الطـــاقم، بـــات لزامـــا علـــى ايهود البحث عن وسيلة لحل المشكلة. فكر في إجـــازة الســـبت، واحضـــر معـــه مـــن الكيبوتس بزة عسكرية، وطلب من أخيـــه "ابينوعـــم" الـــذي كـــان فـــي نهايـــة الصـــف الثاني عشر، وعلى وشك التجند في صفوف الجيش الإســـرائيلي، الانضمـــام إليـــه فـــي رحلة توجيه ملاحي في منطقـــة النقـــب. لـــم يرفـــض "ابينوعـــم"، بـــل ارتـــدى الـــبزة العسكرية وسار مع الطاقم. كان جميع أفراد الطـــاقم علـــى علـــم بـــالأمر بيـــد أن أحـــدا لم يكشف السر. وبعد انتهاء المهمة، عاد "ابينوعـــم" إلـــى الكيبوتـــس.

وفي عام ١٩٦٣ تجند في الجيش الإســـرائيلي وتطـــوع للخدمـــة فـــي دوريـــة هيئة الأركان. كان ايهود آنذاك نائب قائد الوحدة. حيث وجد نفســـه، أكـــثر مـــن مـــرة، قائدا أمام شـــقيقه.

ففي إحدى المرات، قام ايـــهود بجولـــة تفتيـــش بيـــن مقـــاتلي الأطقـــم، وقـــد لاحظ أن سبطانة بندقية شقيقه "ابينوعم" ملوثـــة. لـــو كـــان جنـــدي آخـــر مكانـــه، لتـــم سجنه، ابتسم ايهود، وواصل التفتيش. وفي وقت لاحـــق، أمـــر أخـــاه بتنظيـــف ســـلاحه على الفور. ولما سأله "ابينوعم" عن السبب الـــذي منعـــه مـــن ســـجنه، ابتســـم وقـــال، "هل تريد أن تورطني مع أمي؟ ماذا سأقول لها، قمـــت باحتجـــازك فـــي القـــاعدة بســـب وحل في البندقيـــة؟..."

ما زال الأخوان يذكران حتى اليوم، العملية الميدانية الأولى التي خرج إليها "ابينوعم"، ولم يشارك فيها ايهود. لاحظ ايهود آنذاك علامات التوتر على أخيه، وسأله عما إذا كان يشعر بالخوف. "ابينوعم": نعم، أنا أفكر طيلة الوقت فيما يمكن أن يحدث أن وقعنا في الأسر".

ايهود: "ينبغي أن لا تقلق. فطاقمكم افضل من أي وحدة في الجيوش العربية. وحتى لو اصطدمت بأي قوة معادية، انتم قادرون على التغلب عليها ابتسم ابينوعم. وعندما عادت القوة، صبيحة اليوم التالي، أسرع إلى ايهود وقال له: "لقد صدقت في كل كلمة قلتها".

وقع ايهود على الخدمة الدائمة حتى عام ١٩٦٥، وعين قائدا لقسم العمليات الخاصة في الوحدة. وكتقدير لموافقته على البقاء في الوحدة، حصل على دعوة للالتحاق بدورة كوماندو في فرنسا في قاعدة كوماندو فرنسية تقع على قمة جبال (البرينية) على حدود إسبانيا كانت تلك، المرة الأولى التي يعبر فيها ايهود حدود الدولة كمسافر في إحدى رحلات شركة "العال" وليس كقائد طاقم.

الفصـــل الخامـــــــس

ايهود٠٠٠٠٠٠الضابط٠٠٠٠٠التلميذ

نجح في الثانوية٠٠٠التحق بالجامعة٠٠٠وكاد أن يصبح عالم ذرة

تقع قاعدة الكوماندو الفرنسية وسط منظر طبيعي ساحر فوق جبال (البيرينيه) المكللة بالثلوج، كانت تقيم هناك فرقة عسكرية اسمها "مظليو الانقضاض" رقم ١١- وحدة خاصة مشتركة بين الجيش والمخابرات الفرنسية وكان ايهود المستجد، الإسرائيلي الأول، الذي يلتحق بدورة الكوماندو.

شارك في الدورة حوالي ٢٥ ضابطا من قدامى المحاربين في الهند، الصين و الجزائر، تسلقوا الصخور وتدربوا على كيفية البقاء على قيد الحياة، في منقطة يزيد ارتفاع الثلج فيها عن ٣،٥٠٠ متر، ودرسوا نظريات حرب العصابات للجنرال الفيتنامي (جيفارا) وزعيم الصين (ماوتسي تونغ).

بعد سنوات من التوتر، التدريبات والعمليات التي لم يعرف لها مثيل في أي وحدة أخرى، شعر ايهود برغبة في الحصول على إجازة. وللمرة الأولى، منذ وقت طويل، يختلي بنفسه، ليفكر في أمور لم تزعجه قبل ذلك، أو ربما لن تزعجه.

على بعد آلاف الكيلومترات من هناك، في كيبوتس (مشمار - هجفول) - حرس الحدود، كان شقيقه "ابينوعم بروج" يستعد للخدمة العسكرية. وكما هي الحال بالنسبة لشقيقه، الذي فكر قبل أربع سنوات بدورة طيران فقط، عرف "ابينوعم" إلى أين يريد الوصول بالتحديد- إلى دورية هيئة الأركان العامة.

كانت العلاقة بين الشقيقين قوية رغم فارق السنين بينهما ثلاث سنوات. فقد تعلم "ابينوعم" من ايهود أسلوب التوجيه الملاحي، واكتسب الخبرة اللازمة لحفظ الخرائط وتحليل الرموز أيضا.

- رسالة ايهود إلى أخيه -

في إحدى ليالي الشتاء الباردة، وتحديدا في ١٥-٣-١٩٦٣، كتب ايهود الذي كان في الواحدة والعشرين من عمره، رسالة طويلة إلى شقيقه، الذي كان على وشك التجنيد قال فيها: للإنسان منا عمران. عمر زمني يحسب بالسنوات العادية، وعمر سيكولوجي، يحسب من خلال التطورات التي مر بها الإنسان ...، أنت أكبر قليلا من عمرك الزمني، وأكبر مني على الأقل بعامين، عندما

كنت في نهاية الصف الثاني عشر ••• سأكيل لك بعض المديح، ليس كشقيق لك، بل كشخص يراقب من بعيد ويفكر. أنت تنتمي إلى صنف من الأشخاص، الذين سيصبحون رجالا من الطراز الأول. وخلافا لما هو مألوف، لم أضع كلمة رجال بين قوسين وسأوضح لك سبب ذلك. الذكورة صفة بيولوجية خلفية. أما الرجولة فهي صفة جوهرية وأبرز ما يميزها الهدوء، القناعة، القدرة على اتخاذ القرارات، شدة الملاحظة، الشجاعة القيم والاستعدادات للكفاح من اجلها، الجرأة والقدرة على السباحة ضد التيار، مواجهة المشاكل وعدم التهرب منها•••

عدم الرضا الذاتي يعني ألا يأخذك الغرور والخيلاء، حتى لو رأيت الرضا عن شخصك في عيون الآخرين ••• لا تندهش، عندما يبدو لك انك لا تحقق كل ما تحدده لنفسك •• أو عندما تجد بأنك لا تنجح في الوصول إلى القناعة •• أو عندما تشعر بالخوف •• وعندما تظن بأنك تتهرب من قراءة جوانب أنانيتك •• أعود واكرر لا تندهش لان تلك المشاعر، هي ثروة كل شخص يحاول بناء شخصيته بنفسه •••

إحرص على أن تضع لنفسك أفضل المقاييس في كل مكان وعلى كل جبهة، لا تقبل أبدا بحلول الوسط، في كل ما يتعلق بتلك المقاييس. هناك أمور في العالم، تعتبر التسوية جوهرها، وهذا جيد. وهناك أمور أخرى تكون التسوية فيها مدمرة. أما بالنسبة للأشياء التي يطلبها المرء من نفسه، فكل ما يبدأ بالتسوية ينتهي بالتساهل.

لقد اخترت على مدى تلك السنين طريقا محددة ••• هذه الطريق أشبه بطريق ضيق يصعد إلى قمة جبل، ستجد في نهايتها منظرا خلابا ينال رضاك ••• لكنها من ناحية أخرى طريق ضيقة تحفها المخاطر من طرفيه ••• قد تنزلق قدمك، وقد يتدحرج حجر من تحت رجليك، فيسحبك إلى القاع. لذا، اطلب منك السير في هذه الطريق، رغم كل المخاطر، اسمع ممن مر بالتجربة فهذا أفضل".

في مطلع عام ١٩٦٥، قرر ايهود استكمال دراسته والحصول على شهادة الدراسة الثانوية.

اطلع ايهود قائد الوحدة، دوف تماري، على نيته اعتزال الخدمة في الجيش، وبدء مشوار الدراسة. لكن تماري ضغط عليه من أجل البقاء، وبعد جهود مضنية، وافق ايهود على البقاء في الجيش لعام آخر، شريطة أن تتسنى له الدراسة في المقابل، ولقد اتفق الاثنان على أن يستمر ايهود في الإشراف على السرية التنفيذية، وإعداد أطقم الخريجين للعمليات، وأن يتفرغ ليلا، وفي إجازة نهاية الأسبوع للدراسة استعدادا لامتحانات شهادة الثانوية، وقد تعهد ايهود لتماري بتأهيل وريث له في الوحدة، يحتل مكانه كقائد للسرية التنفيذية، وكان هذا الوريث، (نحميا كوهين)، الشقيق الأصغر لاليعازر كوهين، قائد سرب الطائرات المروحية، الذي قاد طاقم ايهود في عدد من العمليات الجوية خارج الحدود. ولقد ادهش كوهين، ايهود، بقناعته وهدوئه وأسلوب قيادته.

خصص ايهود ساعات النهار للتدريبات والنشاطات الميدانية، أما ساعات النوم القليلة، فقد استغلها في الدراسة، وشعر في تلك الفترة، وللمرة الأولى، بالأسف لأنه لم ينه دراسته، بشكل منظم، مثل بقية زملائه في المدرسة.

عرف ايهود، في تلك الفترة، بالضابط التلميذ، ولم يكن يغادر القاعدة في إجازة نهاية الأسبوع، بل يفضل البقاء واستغلال الوقت في الدراسة ورغم ظروفه الصعبة، اجتاز ايهود الامتحانات بنتائج جيدة، وقد شجعه هذا النجاح، على مواصلة السير قدما، واستكمال الدراسة، حيث قرر أخيرا الالتحاق بدورة الهندسة الاليكترونية في معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا.

كان مئات المرشحين يتنافسون في كل عام على ستين مقعدا في الكلية الاليكترونية في معهد الهندسة التطبيقية، وقرر ايهود أن يكون أحد الطلبة الذين يتم قبولهم وكي يحقق رغبته، بدأ بدراسة الفيزياء في مدرسة (مشلاف) في تل أبيب، وقد أنهى الدورة بدرجات عالية، لكن قبوله في (التخنيون) لم يكن

مضمونا، رغم ذلك. كان ايهود ينظر إلى الامـــر بـــروح رياضيـــة. إن حالفـــه الحـــظ، فهذا جيد وان فشل فلن تكون كارثة، رغم إن الامـــر ســـيكون مؤلمـــا.

بعد بضعة أسابيع، تلقى ايهود الرســـالة التـــي طالمـــا انتظرهـــا. إنـــها تحمـــل بشرى نجاحه في امتحانات القبـــول فـــي كليـــة الهندســـــة الاليكترونيـــة فـــي معـــهد (التخنيون) وكان أسعد يوم في حياته لقد أثبت لنفســـــــه أنـــه تمكـــن مـــن الالتحـــاق بالكلية التي يصعب على الكثيرين الالتحـــاق بـــها.

غير أن ايهود لم يكن يرغب بالدراسة فـــي معـــهد الهندســـة التطبيقيـــة، وبعـــد حصوله على الرسالة المرتقبة فقط، كشـــف النقـــاب عـــن الحـــافز الـــذي دفعـــه للتقـــدم للامتحان. لقد كانت الرغبة في النجاح وتحدي كل مـــا هـــو صعـــب.

في اليوم ذاته، بعـــث ايـــهود برســـالة إلـــى معـــهد الهندســـــة التطبيقيـــة، أعرب فيها عن شـــــكره، وأعلـــن رغبتـــه فـــي التفـــرغ لدراســـــة الرياضيـــات والفيزياء في الجامعـــة.

وبعد اربع سنوات ونصف السنة من الخدمة في دورية هيئـــة الأركـــان، منـــها عامـــان في إطار الخدمة النظامية، قرر ايهود اعـــتزال الخدمـــة. كـــان ابراهـــام ارنـــان، نـــائب رئيس شعبة جمع المعلومـــات فـــي قســـــم الاســـــتخبارات، أول مـــن ســـــمع بقراره. ورغم أنه غادر الوحدة، إلا أنـــه كـــان معنيـــا بكـــل مـــا يحـــدث فيـــها. ولقـــد شـــعر ايهود، أن من واجبه إعلام أول قـــائد للدوريـــة بقـــراره.

لم يبد ارنان خيبة أملـــه. كـــان متـــأكدا، فـــي ذلـــك الوقـــت، مـــن أن ايـــهود يرتكب خطأ لقد توقع له مسارا آخر. لكن ايـــهود أوضـــح لـــه، بأنـــه يـــرى إســـرائيل تسير نحو السلام مع جيرانها، ولن يكون الجيـــش مكانـــا للشـــبان الذيـــن يســـعون وراء التحديات في السنوات القريبة القادمة. وما عـــزز موقفـــه، وقـــف إطـــلاق النـــار بيـــن إسرائيل ومصر في تلك الفـــترة، وهـــدوء الحـــدود الأردنيـــة، وباســـــتثناء "العـــدو" السوري، لم تبد إســـرائيل أنها بانتظار حرب كبيرة فـــي الســـنوات القريبـــة.

لم يكن الكثـــيرون فـــي تلـــك الفـــترة، قـــد ســـمعوا بعـــد بمنظمـــة التحريـــر الفلسطينية التي تأسست قبل ذلـــك بوقـــت قصـــير، وبياســـر عرفـــات، زعيـــم الجنـــاح

العسكري للمنظمة. حتى أولئك الذين سمعوا عنــــها، وبينـــهم ايـــهود، لـــم يـــروا فيـــها خطرا حقيقيا يهدد وجود دولـــة إســـرائيل. وفـــي معـــرض طـــرح توقعاتـــه للســـنوات القادمة أمام ابراهام ارنان قال ايهود: بعد ثلاثـــة عشـــر عامـــأ، ســـأرافق ابنـــي للـــتزلج على الثلج في لبنان. آخر شيء ســـتحتاجه إســـرائيل، جنـــود الجيـــش.

لم يكن اعتزال الوحدة بالأمر السهل قبـل أن يغـادر أخـذ دوف تمـاري منـه وعدا بالعودة ودون تردد في أي لحظـــة يطلـــب فيـــها للتدريـــب وللعمليـــات الخاصـــة. لقد قطع وعدا، لكن القرار من وجهة نظره، كـــان نـــهائيا: فقـــد انتـــهى فصـــل الجيـــش في حياة ايهود بـــروج.

في الوقت ذاته، غادر ايهود الكيبوتس أيضا. وفي خطـــوة غـــير مألوفـــة فـــي الحركة الكيبوتسية آنـــذاك، اتخـــذت إدارة الكيبوتـــس قـــرارا بتحويـــل دراســـة ايـــهود، مقابل تعهده بالعودة بعد استكمالها. لكن ايهود لـــم يكـــن مســـتعدا. كـــان يبحـــث عـــن الاستقلال التام في قراراتـــه، ورأى فـــي الحيـــاة خـــارج الجيـــش والكيبوتـــس اختبـــارا جديـــدا.

في أيلول ١٩٦٥، بدأ فصل جديـــد فـــي حياتـــه. فقـــد ســـجل كطـــالب فـــي الجامعة العبرية بـــالقدس.

وقبل بدء العام الدراسي اتصـــل بـــه نـــائب قـــائد الوحـــدة، منـــاحيم ديجلـــي، وطلب مقابلته وقد اتفقا على الالتقاء على شاطئ الشـــيراتون بتـــل أبيـــب.

لم يكن ايهود يعلم السبب الحقيقي لهذا اللقـــاء. لكنـــه علـــم فيمـــا بعـــد، بـــأن ابراهام ارنان، اتصل بديجلي، وطلب منـــه التـــأثير علـــى ايـــهود ليعـــدل عـــن قـــراره بشأن مغادرة الجيش والوحـــدة.

لم ينس ارنان، ولم يغفر لايهود موقفه بشـــأن اعـــتزال الجيـــش، فقـــد غضـــب غضبا شديدا، ورفض أي علاقة مع ايهود بعـــد قـــراره. ورغـــم ذلـــك، كـــان يحـــرص على إرسال كل من يراه مناسبا في الوحدة، ليقنعـــه بـــالعدول عـــن قـــراره. لقـــد كـــان يرى فيه صورة العسكري الحكيم الذكي، الذي يســـتطيع الوصـــول مـــع بضعـــة جنـــود إلى أي هدف، والذي يستطيع بدهائه إنجاز المهمـــة والعـــودة بنجـــاح.

بيد أن ايهود كان مصمما على موقفه، لم يكن واثقا أن الجيش الإسرائيلي في تلك الأيام، سيبقى بؤرة تستقطب الشبان. لقد شعر بأن هذا هو الوقت المناسب لاتخاذ القرارات المهمة، مغادرة الكيبوتس والجيش والبدء بمهمة جديدة ومواجهة تحديات جديدة.

لم يكن قرار ايهود بشأن دراسة الرياضيات والفيزياء، سوى نوع آخر من التحدي، فقد استوضح قبل ذلك، طبيعة التخصصات التي تدرس في الجامعة العبرية وسأل عن أصعب تلك التخصصات فعلم أنها الرياضيات، والفيزياء.

ومثلما حدث في المرة الأولى، أراد ايهود أن يثبت قدراته مجددا. بدأ العام الدراسي في تشرين أول ١٩٦٥ لكن يصعب القول بأن ايهود التزم بنظام ودوام الجامعة. فقد تغيب عن أغلب المحاضرات واضطر للاكتفاء بكراسات وملخصات أعدها زملاؤه الطلبة، وعلى وجه الخصوص، "تهيلا ساديه"، التي خدمت بعد سنوات طويلة، عندما أصبح رئيسا لشعبة التخطيط في هيئة الأركان العامة، كضابطة في شعبة البحوث التنفيذية.

كان سبب غياب ايهود المتكرر عن المحاضرات، اضطراره للعمل في مكتب للتحريات الخاصة بالقدس، أسسه أحد قدامى الوحدة، بعد تسريحه ويدعى موشيه كوكلا. لم يكن ينوي أن يصبح محققا خاصا أو مفتشا، لكنه كان بحاجة إلى الراتب الذي يتقاضاه من مكتب التحقيقات، إضافة إلى المبالغ الصغيرة التي كان يتقاضاها عن عمله ككاتب في مكتب محلي للدعاية بالقدس.

وقد اضطر لسحب كل ما ادخره في فترة الخدمة الدائمة، لدفع أقساط التعليم. وكان يرفض طيلة هذه الفترة، التوجهات المتكررة من الكيبوتس، الذي اقترح دفع أقساط الدراسة، شريطة التزامه بالعودة إلى الكيبوتس بعد استكمالها.

غير أنه كان هناك سبب آخر، لغيابه المتكرر عن المحاضرات، وهو الخروج في عمليات ومهام ميدانية. كان هذا اتفاقا غير مكتوب، مع "دوف تماري"، قائد الوحدة، يقضي بتواجد ايهود في الوحدة عند الحاجة إليه.

في العام الدراسي الأول في الجامعة، سجلت لـه خمسة أشهر في الخدمة الاحتياطية، وقد اعتاد الجيش دفع مستحقاته كل ٦٠ يوما، على أنه جندي في الخدمة الدائمة، كان يدفع منها أجرة الشقة.

كانوا في الجامعة يدركون بأن ايهود يقسم وقته بين قاعات المحاضرات، وقاعدة الوحدة وقد حضر إلى الجامعة أكثر من مرة باللباس العسكري.

في عام ١٩٦٨، عندما عاد إلى الجامعة، بعد مشاركته في عملية الكرامة، كان ايهود مصدر فخر واعتزاز لأساتذته.

لم يستحوذ نمط الحياة الصاخبة في الجامعة على اهتمام ايهود كانت تلك أيام الانقسام الكبير في حزب عمال إسرائيل. وقد سارع الكثير من الطلبة للانضمام إلى حزب (رافي) الجديد، الذي شكله (دافيد بين غوريون)، (موشيه ديان)، و(شمعون بيرس). تعرف ايهود إلى عدد من الطلبة النشطاء، في تلك الفترة بينهم (موتي شورير)، رئيس شعبة الطلبة في حزب (رافي)، (دافيد كولتيس)، (يجيئيل جوتمان)، (ايفي برودوغو)، (حاييم بار اون) وغيرهم، لكن السياسة كانت ما تزال غريبة عليه.

لم يكن ايهود يتوجه إلى مطعم الجامعة (الكافيتيريا) إلا لتناول الطعام فقط، وفي الفترة الفاصلة بين المحاضرة والأخرى. كان يتسم برجاحة العقل والاتزان، لدرجة انه يبدو اكبر من معظم طلبة الجامعة بعامين أو ثلاثة، لم يتردد كثيرا على دور السينما، لكنه لم يكن يتنازل عن حضور الحفلات الموسيقية، لا سيما سماع الأوركسترا السمفونية للقدس، التي تباع تذاكر حفلاتها للطلبة بأسعار مخفضة.

كان (ايهود) يخرج في بعض الاحيان ليلا، للسير قليلا والتفكير بمستقبله بعد الدراسة، وكان يرى بأن أفضل المسارات، العمل كفيزيائي في معهد وايزمان.

وقبل اندلاع حرب حزيران عام ١٩٦٧، رفع إلى رتبة ملازم أول، تقديرا لتنفيذه الفريد لعملية ميدانية.

في أيار ١٩٦٧، وخلافـا للتوقعـات الأمنيـة والتقديـرات السياسـية، أغلـق الرئيس المصري جمال عبد الناصر مضائق تـيران، ودفـع بقـوات عسـكرية كبـيرة إلى شبه جزيرة سيناء. كان ذلك خرقا واضحا لاتفاق وقـف النـار الـذي تـم التوصـل إليه في أعقاب الاعتداء الثلاثـي عـام ١٩٥٦.

لم ينتظر ايهود الأمر، وتوجه إلـى القـاعدة قبـل أن يتـم اسـتدعاؤه. كـانت تلك المرة الأولى في حياته، التي يكلف فيها بقيادة طـاقم يضـم قدامـى دوريـة هيئـة الأركان، وجميعهم جنود في الاحتيـاط.

أفردت هيئة الأركان العامة لدورية هيئة الأركـان، مـهام كومـاندو مهمـة – غارات جوية على المطارات المصريـة فـي سـيناء وكلـف طـاقم ايـهود بمهاجمـة المطار العسكري المصري في جبـل ليبنـي فـي سـيناء، وقصـف الطـائرات علـى مدرج المطار وفي مرابضها ويمكن القول، إن مـهام دوريـة هيئـة الأركـان، نفـذت بنجاح وتمكن سلاح الجو الإسرائيلي، بعد ثلاث سـاعات مـن نشـوب الحـرب، مـن تصفية سلاح الجو المصـري.

تقرر ضم طاقم ايهود بـروج كوحـدة اسـتطلاع إلـى فرقـة رقـم ٧ بقيـادة اللواء (يسرائيل طل)، والتي عملت في القطـاع الشـمالي لسـيناء وفـي قطـاع غـزة. وقد وجدت القوة الرئيسة في دورية هيئة الأركـان، نفسـها فـي سـباق مجنـون مـع الحرب . فقد كان يسبقها سلاح الجو أو سـلاح المدرعـات إلـى كـل مكـان توشـك على العمل فيه. وأخيرا، تم تكليف دورية هيئـة الأركـان، بـاحتلال منطقـة شـرم الشـيخ، لكن سبقتها إلى هناك إحدى وحـدات سـلاح البحريـة.

عبر ايهود سيناء مع فرقة المدرعات الذي يقودها (طـل)، وقـد شـارك فـي معركة ليلية كبيرة ضد لواء مدرعـات مصـري.

وفي اليوم الخامس للحرب، كلفت قـوة ايـهود بمهمـة أخـرى فـي هضبـة الجولان. وبعد أن انـهيت المهمـة، اكتشـف ايـهود فـي إحـدى القواعـد السـورية الكبيرة، وجود سيارة "مرسـيدس" جديـدة. اسـتخدمها أحـد الجـنرالات فـي الجيـش السوري، وقد قرر أخذها فكسر الباب وتمكن من النزول بـها مـن الهضبـة السـورية

إلى كيبوتس (تل كتسير) الواقع على الشاطئ الجنوبـي الشـرقي لبحـيرة طبريـا ومـن هناك إلى تل أبيـب.

وفي ساعات الصيف المتأخرة، سـافر "بالمرسـيدس" إلـى (جفقـايم) وأوقفـها كهدية، بالقرب من منزل منـاحيم ديجلـي.

أنهى ايهود بامتياز امتحانـات نهايـة العـام فـي الجامعـة، والتـي أرجئـت بسبب الحرب، وقد كان بمقدوره لوا أراد التقدم لرسالة الدكتـوراه فـي علـوم محـددة.

وفي إحدى الأيام قرأ بيانا على لوحة إعلانـات الكليـة. لقـد تـم قبولـه مـع طالبين آخرين للعمل في معهد وايزمان كمساعد بـاحث فـي مشـروع معـهد أوروبـي لأبحاث جزئيات الذرة، كان يثق انه يسـتطيع تقديـم الكثـير فـي هـذا المجـال، وأن يصبح بنفسه عالم ذرة، بيد أن الواقع كان مخيبـا للآمـال، فقـد وجـد الطلبـة الثلاثـة أنفسهم منشغلين بتسجيل عمل الباحثين وتحليل صـور لجزيئـات الـذرة.

في ذلك الصيف، درس ايهود عن الـذرة، أكـثر ممـا درسـه فـي الجامعـة، خلال العامين الماضيين. واكتشـف أن حـدوث انطلاقـة فـي البحـوث أمـر نـادر. ونتاج سـنوات حافلة بـالعمل المكثـف فـي المختـبرات. وقليـل مـن الإنجـازات مقابل الكثير من العمل المضنـي، لـم يتـواءم مـع طابعـه الإبداعـي، ورغبتـه فـي الوصول بعيدا وسـريعا في الوقت ذاته، وفـي نهايـة الإجـازة الصيفيـة أدرك انـه لن يصبح عالمـا.

كان ايهود يحب أن يتنزه في إجازات نهايـة الأسـبوع، فـي القـدس الشـرقية والمناطق المحتلة. وقد اقترح عليـه منـاحيم ديجلـي، وسـامي نحميـاس، الانضمـام اليهما واستغلال الفرصة التي لاحـت فـي أعقـاب حـرب حزيـران لشـراء قطعـة أرض في القدس الشـرقية. كـانت الفكـرة فكـرة ديجلـي، وكـان لسـامي نحميـاس علاقات مع دائرة الأراضي. بيد أن ايهود اعلمهما بعـدم موافقتـه، مبديـا فـي الوقـت ذاته استعداده لشراء قطعة ارض في القدس الشـرقية، شـريطة أن تكـون مـن أمـلاك الغائبين. لا ملكا خاصا لسكان عـرب.

في إحدى النزهات، وصل ايهود مع ديجلي ونحمياس إلى حي أبو طور. وعلى إحدى التلال هناك وأمام منظر طبيعي ساحر للقدس الشرقية ومشارف صحراء (يهودا) -جنوب الضفة الغربية، قال ايهود: "أننا نعيش مرحلة تحول. مرحلة انتقال من دولة صغيرة إلى دولة كبيرة لا ادري كم سيستمر ذلك، لكنني أثق بان المناطق ستكون أشبه بوديعة مؤقتة إلى أن يسلم العرب بضرورة الاعتراف بنا وصنع السلام على أية حال، ستكون قصة الضفة الغربية الجولان وسيناء جزءا لا يتجزأ من حياتنا هنا، والى أمد غير معروف".

-ديجلي: "ايهود، وماذا ستفعل غدا، عندما يتقدم العمر بنا؟

-ايهود: "أريد الوصول إلى موقع أستطيع من خلاله لعب دور مؤثر وفاعل في الحياة وفي المجتمع الذي أعيش فيه. موقع يؤهلني للعب دور مؤثر على صعيد المسيرات في الدولة، وربما في المنطقة"

وكما اعتاد دائما، استغل ديجلي الفرصة، للضغط على ايهود بشأن العودة إلى الوحدة. وللمرة الأولى منذ أن غادر دورية هيئة الأركان وتسرح من الجيش، لم يرفض ايهود الفكرة تماما. فالواقع في إسرائيل قد تغير. وما كان صحيحا قبل عامين، لم يعد كذلك بعد الحرب. وتوقعات الهدوء الأمني بالنسبة لإسرائيل لفترة طويلة، تلاشت. وقد بدأت على طول قناة السويس حوادث إطلاق النار الأولى بين الجيشين المصري والإسرائيلي. فرأى أن فكرة العودة إلى الجيش وتحقيق طموحاته من خلاله، لم تعد مستبعدة. وعليه، كان قراره النهائي بالعودة إلى دورية الأركان في العشرين من تشرين أول ١٩٦٧.

وفي صبيحة اليوم التالي، اتصل ايهود بديجلي وطلب منه اطلاع ابراهام ارنان على الأمر.

جرى اللقاء مع ارنان بعد بضعة أيام، ولم يكن ليخفي مظاهر فرحته بعودة ايهود لقد كان الأمر بالنسبة له، بمثابة انتصار. وها هو الابن المفقود قد عاد إلى منزله.

كان لايهود طلب واحد فقط: إنهاء الدراسة. وقد وافــق ارنــان علــى الفــور. جند ايهود مجددا وحصل على إجــازة دراســة مقــابل توقيعــه علــى نظــام الخدمــة الدائمة. وكان لأرنان شرط وهو: استدعاء ايهود من الجامعة، وقــت الحاجــة إليــه.

أنهى ايهود عامه الدراسي الأخير في الجامعة فــي تمــوز ١٩٦٨، فــي ذلــك الحين، التقى ثانية بداني يتوم، الذي كان فــي عامــه الدراســي الأول وتخصــص فــي دراسة الفيزياء والرياضيات، وقد سلمه ايهود كــل كراســاته وملخصاتــه.

في أحد أيام عام ١٩٦٧ جلس ايهود فــي مكتبــة الجامعــة، وبــدأ فــي حــل معادلات في الرياضيات. كانت تجلــس قبالتــه، طالبــة تدعــى (نافــا) كوهيــن. كــان يعرفها منذ أن كان في الوحدة، وكانت هي رقيبــا فــي الاســتخبارات. كــانت معرفــة سطحية من الماضي البعيد وبعــد تســريحها بــدأت بدراســة الأدب الإنجلــيزي والأدب العربي في الجامعة. قرر ايهود تجديد التعاون بينــهما، وكــان لــه مــا أراد، وشــاءت الأقدار لهذه العلاقة أن تتوطد وتصل إلى حد طلب الــزواج. وقــد وافقــت (نافــا) بيــد أنها طلبت إرجاء عقد القران إلى أن تنتــهي دراســتها.

كانت اجمل الســنوات فــي حيــاة ايــهود فقــد عــاش فيــها قصــة حــب خيالية. حدد حفــل الزفــاف فــي الخامـــس والعشـــرين مــن آذار ١٩٦٩، فــي فندق (جيناتون) أفخم فنادق طبريــا آنــذاك.

وبعد الزواج، قاما باستئجار شقة، وعاد ايــهود إلــى الجيــش فيمــا واصلــت (نافا) دراستها. وسرعان ما أدركت (نافــا)، أن الــزواج مــن عســكري فــي الخدمــة الدائمة، وعلى وجه الخصوص من نــائب قــائد دوريــة هيئــة الأركــان يعنــي أيامــا طويلة من الوحدة والترقب كانت تنتظره طيلــة الأســبوع وفــي بعــض الأحيــان، لــم يكن يتمكن من العودة إلى منزلــه.

كان العام الأول لزواجهما، بمثابة أساس للسنوات القادمـــة، فقــد كــان ايــهود يعود إلى البيت وقد أنهكه التعب، لا سيما وأن تلــك الفــترة، كــانت حافلــة بالعمليــات الخاصة خارج الحدود. لم يحدثها عن تلك العمليــات، كــي لا يثــير قلقــها لكنــه كــان يشعر بضيقها وحزنها إزاء غيابــه الطويــل.

في عام ١٩٧١، ولدت ابنته البكـــر وقـــرر تســـميتها (ميخـــال) كـــان آنـــذاك قائدا للوحدة، وقد سعى جاهدا للعودة إلى المنزل فـــي أوقـــات متقاربـــة.

الفصل السادس

ايهود قائداً لدورية الأركان

أصبح قرار الطالب الشاب العودة إلى الوحدة حديث الساعة في هيئة الأركان، وقد أثنى رئيس شعبة الاستخبارات، اللواء (أهارون ياريف)، على هذا القرار، بل وأعلم وزير الدفاع(موشيه ديان)ورئيس الأركان (اسحق رابين) بهذا القرار.

كان ديان، آنذاك، مشغولا بحرب الاستنزاف التي نشبت على قناة السويس مع المصريين، واعتبر عودة ايهود بمثابة إلماحة إيجابية للضباط الشبان الآخرين لاختيار العمل العسكري.

وقد اتفق ايلي زعيرا رئيس شعبة جمع المعلومات في شعبة الاستخبارات، مع ايهود على أن يتم تعيينه نائبا لقائد الوحدة، ويرفع بحيث يحتل المكانة الثالثة في قيادتها بعد (عوزي يائيري)، قائد الوحدة، و(مناحم ديجلي) الذي عاد هو الآخر قبل ذلك.

اعتقد ايهود أن تقدمه في الجيش يتطلب منه الانخراط في لواء المدرعات، ورغم ذلك، كان يضع نصب عينيه مهمة بعيدة المدى وهي العودة إلى وحدة هيئة الأركان هذه المرة كرئيس لها.

وكي يهدئ من مخاوف (ايلي زعيرا) و(عوزي يائيري) اللذين خشيا أن يفقداه بانضمامه إلى لواء المدرعات التي قد تستهويه، تعهد ايهود بالعودة إلى الوحدة. حتى لو حصل على عروض مغرية جدا من لواء المدرعات.

بدا ايهود شديد التأثر من دورة المدرعات التي يخوضها، فقد خلبت لبه قدرة المدرعات وهي تندفع في الهجوم، وخيل إليه، أنه لا يوجد هناك ما يستطيع وقف تقدمها.

كان (اسحق بن شوهم) قائد دورة المدرعات التي اجتازها ايهود، وهو ضابط محترف، أثار إعجاب ايهود إلى حد كبير جدا بمعرفته وخبرته الطويلة. بيد أن شوهم سقط في اليوم الأول لحرب عام ١٩٧٣، وهو يقود المدرعات في المعارك التي دارت في الجولان، إبان محاولته صد الهجمات السورية على مركز الهضبة، ببقايا مدرعات اللواء (١٨٨) التي بقيت لديه. أنهى ايهود دورة

المدرعات التي اجتازها بتفوق، بيد أنــه غــادر لــواء المدرعــات بشــعور أنــه لا زال بحاجة إلى معرفة المزيد، وقال لشـــــوهم، وهــو يغــادره : ســـــأعود إلـــى لــواء المدرعات فيما بعــد.

بعد ستة أشــهر مــن حــرب عــام ١٩٦٧ أنــهى رئيــس الأركــان (اســحق رابين) مهمته، وسرح من الجيش، وعيــن اللــواء (حــاييم بــارليف) رئيســا للأركــان بدلا منه: بيد أن أعضاء وحدة هيئة الأركــان، لــم يكونــوا مســرورين بــهذا التعييــن، فقد كان رابين يحظى بتأييد كبير جدا في أوســـاط الدوريــة. فيمــا كــان بــارليف فــي نظرهم، لا يهتم الا بالمدرعات، ولا يعرف الكثــير علــى صعيــد عمليــات الكومــاندو. أضف إلى ذلك أنه كان من الصعب جدا أخذ موافقته على القيـــام بعمليــات خاصــة.

كان العزاء الوحيد لأعضـــاء الوحـــدة، يتمثــل فـــي تعييـــن (ديفيــد اليعــازر) رئيسا لشعبة هيئة الأركان، والذي كان صديقا شخصيا لأرنـــان، وفتــح مخــازن قيــادة القطاع الشمالي أمام الوحدة. ومـــن الجديــر بــالذكر، أن غالبيــة العمليــات العســكرية التي نفذتها وحدة هيئة الأركان، كانت فـــي الشــمال.

قرر ضباط وحدة هيئـــة الأركــان، جــس نبــض رئيــس الأركــان الجديــد، فقدموا إليه سلسلة مـــن الاقتراحــات للقيــام بعلميــات خاصـــة، كــان بعضــها خياليــا ومستحيل التنفيذ، فقط لإرغامه على دراســتها والتعــامل معـــها.

وإبان حرب الاســـتنزاف، بــادر ايــهود إلـــى طــرح فكــرة القيــام بعمليــة خاصة. وقام رئيس الأركان بعقد اجتماع خاص حضـــــره نـــائب رئيــس الأركــان بـــن اليعيزر، وقائد دورية هيئة الأركان مناحم ديجلي، وايهود الــــذي قـــدم خطتـــه.

فكر بار ليفي مليا، ثم قال لايهود: هل أنت واثق من أن بمقـــدورك عمــل ذلــك؟؟

*ايهود: إذا ما حصلنا على أذن بذلك فسوف ننفذ العملية، نحـــن ملــتزمون بذلــك.

*بارليف: يبدو أن إمكانية التنفيــذ ضعيفــة.

ألقى ايهود نظرة خاطفة نحو ديجلي، وتبـــادل الاثنـــان النظــرات، ثــم نظــرا باتجاه بن اليعيزر نظرة يائســـة.

قدم بارليف إلى بن اليعيزر ورقة كتـــب عليـــها ملاحظـــة. فاســـتنتج ايـــهود، انه يطلب مشورته، فابتسم بـــن اليعـــيزر وقـــال: أنـــا اعـــرف هـــؤلاء الزمـــلاء، وإذا قالوا: انهم قادرون على التنفيذ فسوف يفعلون ذلك. فـــهز بـــارليف رأســـه فـــي إشـــارة إلى الموافقة على العملية، التي منحت اسم أحد كبار العســـكريين فـــي التـــاريخ.

كان هناك اتفاق غير مكتوب بيـــن ايـــهود وعـــوزي يـــائيري، قـــائد الوحـــدة، ينص على أن يقوم يائيري باستدعاء بروج، في حالـــة تولـــي الوحـــدة مهمـــة خاصـــة. وفي الحادي والعشرين مـــن آذار ١٩٦٨ اســـتدعاه.

-عملية الكرامة-

كانت إحدى الحافلات الإسرائيلية التي تقل طلابا مـــن منطقـــة تـــل أبيـــب قـــد اصطدمت بلغم في منطقة وادي عربة قبـــل ذلـــك بثلاثـــة أيـــام، ممـــا حـــدا بإســـرائيل للتفكير في ضرورة الرد عليها، وقـــد اختـــارت بلـــدة الكرامـــة الأردنيـــة الواقعـــة فـــي الشرق كهدف للرد، نظرا لتحولها إلـــى قـــاعدة عســـكرية أماميـــة لحركـــة فتـــح، وقـــد عين رئيس الأركان، العميد شموئيل جونـــــان، قـــائدا للعمليـــة فـــي حيـــن قـــاد العقيـــد رفائيل ايتان رئيس سلاح المظلات وحدات المظلييـــن وســـلاح المشـــاة المشـــاركة فـــي العملية. أما دورية هيئة الأركان، فلـــم يتـــم تخصيـــص دور مركـــزي لـــها، بـــل تـــم إعلامها على أساس أنها وحدة من وحـــدات الطـــوارئ.

خصصت لدورية المظلييـــن بقيـــادة النقيـــب (متـــان فلنـــائي)، مهمـــة إلقـــاء القبض على أبو عمار قائد حركة فتح، والذي كانت هناك تـــأكيدات علـــى وجـــوده فـــي البلدة. وقد وجهت وحدة المظليين انتقادات إلـــى تخطيـــط العمليـــة الكلـــي. وقـــد أشـــار أحد صغار الضباط ويدعى (موكي تسور)، إلى أن العملية تحمـــل بـــذور الفشـــل، بيـــد أن أحدا لم يصغ إليه، ولم يصدق أن الجيش الأردني، الذي منـــي بهزيمـــة قبـــل تســـعة اشهر فقط، والقلة القليلة من مقاتلي فتـــح قـــادرون علـــى تحـــدي الوحـــدات المدرعـــة والمظليين الإسرائيليين المـــهاجمين.

لقد كانت عملية الكرامة إحدى العمليات التي منيت بفشـــل ذريـــع فـــي تـــاريخ الجيش الإسرائيلي. كانت التقديرات تشير إلـــى أن الجيــش الأردنـــي لـــن يتدخـــل فـــي العمليات، إلا أن ما جرى عكس ذلك، فقـــد أمـــر الملـــك قواتـــه المدرعـــة، والمدفعيـــة بالتمركز فوق التـــلال المســـيطرة علـــى البلـــدة، وتوجيـــه نيرانـــها إلـــى المدرعـــات والدبابات الإسرائيلية المتجهة إليها وكانت الإصابـــات شـــديدة جـــدا.

وكأن هذه الإصابات الشـــديدة لـــم تكـــن كافيـــة، فقـــد تعرقلـــت خطـــة إلقـــاء القبض على عرفات، إذ وصـــل فلنـــائي وقوتـــه إلـــى مكـــان الكميـــن متـــأخرين عـــن الموعد المحدد، بسبب الأحـــوال الجويـــة العاصفـــة، التـــي عرقلـــت مســـيرة طـــائرات الـــهليوكبتر.

قامت طائرات الهليوكبتر بإلقاء منشـــورات تدعـــو الفدائييـــن للاستســـلام، بيـــد أن مقاتلي فتح أدركوا ما يبيتـــه الجيـــش الإســـرائيلي، وفـــروا مـــن المكـــان بســـرعة، وبينهم أبو عمار الذي فر على دراجة نارية وهو يرتـــدي ملابـــس امـــرأة.

لم يصدق مقاتلو دوريـــة المظلييـــن مـــاتراه أعينـــهم- وكـــان بيـــن المقـــاتلين مقاتل شاب يدعى (بنيامين نتنياهو)، يعمل في وحـــدة (عمـــيرام لافيـــن)- فقـــد شـــاهدوا المدرعات الإسرائيلية وهي تشتعل بالنيران الواحـــدة اثـــر الأخـــرى. وكـــانت الوحـــدات المهاجمة تفيد في تقاريرها عبر أجـــهزة الإرســـال، أن هنـــاك إصابـــات كثـــيرة. وفـــي ساعات المساء اتضح أن هناك عـــددا كبـــيرا مـــن المدرعـــات مصابـــة، وعـــددا مـــن الجنود مفقـــودون.

طلـــب قـــائد الدوريـــة الســـماح للقـــوة بدخـــول الكرامـــة لتخليـــص جنـــود المدرعات المصابة، وألقيت المهمـــة علـــى ايـــهود، بيـــد أن رئيـــس الأركـــان، لـــم يصادق على العمليـــة.

لقد استقى ايهود بروج، العديد من العبر من الفشل الذريـــع الـــذي منيـــت بـــه عملية الكرامة، ومن ضمنها ما يتعلـــق بـــالاعتداد الكبـــير بـــالنفس، والجمـــود الفكـــري القائل انه لا يوجد في المنطقة من هو قـــادر علـــى وقـــف اندفـــاع القـــوات الإســـرائيلية

وقد عمد إلى إدراج هذه العبر، مع العبر التي استقاها من التخطيط الخاطئ للعملية في العمليات التي نفذها فيما بعد.

وفي الوقت الذي كان فيه ايهود عاكفا على إنهاء دراسته الجامعية، انفتحت صفحة جديدة على صعيد (الإرهاب). ففي الثالث والعشرين من تموز ١٩٦٨، اختطفت طائرة العال إبان توجهها من روما إلى تل أبيب. إذ قام خمسة مسلحين باقتحام (كابينة) الطيار، وأصابوا الطيار الأول (معوزبورات) بجراح وأرغموا ربان الطائرة عوديد ابربنيل)، على تغيير مسار الطائرة وبعد حوالي ساعتين حطت في الجزائر.

لم تكن إسرائيل على استعداد لمواجهة الإرهاب الجوي، وقد تمكن المسلحون من تحديد نقطة الضعف الإسرائيلية: طائرات العال التي تعتبر بمثابة الصلة الجوية بين إسرائيل والعالم.

وفي السادس والعشرين من كانون الأول ١٩٦٨، هوجمت طائرة العال في مطار اثينا مما أدى إلى مقتل مسافر، وإصابة مضيفة بجراح، وقد انطلق المهاجمون من مطار بيروت. مما حدا برئيسة الوزراء غولدا مائير للمصادقة على القيام بعملية انتقامية تتمثل في تدمير طائرات شركة الطيران اللبنانية في مطار بيروت، وقالت: إذا كانت طائرات العال ستجد صعوبة في الطيران، يجب أيضا أن تواجه شركات الطيران العربية نفس الأزمة".

كلف العميد رفائيل ايتان قائد سلاح المظليين والمشاة بقيادة العملية. وقد جعل رفائيل قوة المظليين القوة الرئيسية، كما حصلت دورية هيئة الأركان على مهمتين لتنفيذها في مطار بيروت، وكلف عوزي يائيري، ومناحم ديجلي بقيادة الدورية.

جرى تنفيذ العملية وفقا لما خطط له، فوصلت القوات في الثامن والعشرين من كانون الأول في طائرات هليوكبتر إلى المطار، وسيطرت عليه، وفجرت الأربع عشرة طائرة، التي كانت جاثمة على مدارجه، بعد أن تأكد الجنود

أنها جميعا تعود لشركات طيران عربية. وقد اتضــح فيمــا بعــد أن إحــدى الطــائرات تعود للشركة الغانية. وعادت القوة إلــى إســرائيل دون أي إصابــات.

وفي صبيحة اليوم التالي فتح ايهود الراديــو وســمع النبــأ لاول مــرة، فشــعر بالغضب يغلي في عروقه اكثر من أي مرة فــي حياتــه.

وبعد عدة ساعات، كان يقف في مكتب قــائد الدوريــة، ووجــه إليــه كلمــات شديدة للغاية على خيانته للثقة، لعدم استدعائه للمشاركة في المهمــة. وقــد أوضــح لــه يائيري أن المهمة التي تولتها الدورية، كانت محدودة للغايــة، ولــم يكــن لديــه مكــان لضابط آخر. بيد أن ايهود لم يقتنع وقاطع يــائيري لســنة كاملــة.

بعد ستة اشهر من العملية، أنهى ايهود دراسته، وعاد إلى الوحــدة نائبــا للقــائد.

كانت حرب الاستنزاف فــي اوجــها، وكــان المصريــون يشــنون هجمــات يومية على طول قناة الســويــس، ويحــرزون انتصــارات، بــل وتمكنــوا مــن اســر جنود إســرائيليين.

قررت القيادة إرسال دورية هيئة الأركان للعمل علــى الجــانب الغربــي مــن القناة، وأوكلت المهمة إلى ايهود بروج، والمتمثلة فــي العمــل علــى اختطــاف ضبــاط وجنود مصريين، بغية إرغام المصريين علــى تبــادل الأســرى.

اجتاز أعضاء الوحدة القنــاة إلــى الجــانب الغربــي فــي قــوارب مطاطيــة، ونصبوا كمينا. وفجأة أخذت سيارة عسكرية مصريــة تقــترب منــه ببــطء وقــد قتــل سائقها من صلية النــيران الأول، بيــد أن الســيارة واصلــت تقدمــها بحكــم الاندفــاع لثلاثين مترا، وتمكن جندي آخر كان بجوار الســائق مــن القفــز إلــى إحــدى القنــوات والإفلات. وهكذا عادت القوة إلى الضفة الشرقية وهي تحمــل شــعورا ثقيــلا بالفشــل.
وقد أدى هذا الفشل إلى قيام العميــد (رفــائيل ايتــان)، بتوجيــه انتقــادات شــديدة إلــى العملية، والمطالبة بايكال جميــع عمليــات الكومــاندو إليــه، بوصفــه قــائدا للمظلييــن وسلاح المشاة. وقال أن القوة أخطأت بإطلاق النار علــى مســتوى مرتفــع، بــدلا مــن إطلاقها على مستوى منخفض، إضافة إلى استخدامها لعيــارات ناريــة احتراقيــة.

استقى ايهود العبر مــن العمليــة الفاشــلة فجــاءت نتــائج العمليــات اللاحقــة أفضل بكثير. ومن الجدير بــالذكر أن ايــهود حــارب علــى جبهــة القنــاة فــي تلــك المرحلة من مراحل حرب الاستنزاف، أكثر من أي ضــابط إســرائيلي آخــر.

في نهاية عام ١٩٦٩، تــرك يــاثيري دوريــة هيئــة الأركــان، وتــم تعييــن ديجلي قائدا لها، ورفع ايهود إلى رتبــة رائــد.

كان رئيس الأركان (حــاييم بــارليف) يتــابع عمليــات ايــهود بنفســه، وقــد اجتمع به في تل أبيب، وأثنى عليه للنجاحــات التــي أحرزهــا فــي العمليــات التــي لا زالت سرية، ولم يمط عنها اللثام حتى يومنــا هــذا.

في أعقاب تعيين ديجلي قــائدا للدوريــة، طلــب ايــهود تحويلــه إلــى لــواء المدرعات. فرغم التجربة القتالية العالية التي أحرزها إبــان عملــه فيــها، الا انــه كــان يعتقد أن مستقبله العسكري فــي المدرعــات.

لقد بدأ منذ اللحظة الأولى التي قرر فيها البقاء فــي الجيــش، يفكــر فيمــا هــو ابعد من قيادة وحدة الأركان، وادرك أن المســتقبل يكمــن فــي قيــادة المعــارك التــي تشارك فيها المدرعات، والتي تعتبر الطريق الضروريــة للرتــب الأعلــى.

اجتاز ايهود تدريبات المدرعات في قاعدة (جولــس) القريبــة مــن عســقلان، وتحت إشراف (آفــي فرحــان) – الــذي اصبــح فيمــا بعــد أحــد نشــطاء اليميــن–، واستحوذت المدرعات على كل أحاسيسه، إلــى الدرجــة التــي كــان يســتوعب فيــها جميع التدريبات بســرعة كبــيرة جــدا، وأصغــى للتدريبــات الفنيــة الخاصــة لعمــل الجهاز (الهيدرولي) للمدرعة، وســرعة دوران المحــرك، وزمــن حشــو القنــابل فــي المدافع والسبب الذي يجعل القنــابل الافتراقيــة للدبابــة تنحــرف درجــة معينــة أثنــاء الإطلاق إلى اليسار. وحرص ايهود على عــدم الكشــف عــن رتبتــه الرفيعــة مقارنــة بالمتدربين من جنود المدفعية، وكان يتناول طعامــه معــهم، وينظــف المدرعــات كــل ليلة خميس قبل استعراض القائد لها، وقبل العــودة إلــى البيــت.

وفي أعقاب الانتهاء من الـــدورة المهنيـــة، انتقـــل ايـــهود إلـــى دورة ضبـــاط دبابات ٠٠ وبعد أسابيع مرهقة وطويلـــة مـــن التدريـــب القاســـي مـــع جنـــود لا تزيـــد أعمارهم عن ١٩- ٢٠ سنة، تعلم ايهود كيفية الإشـــراف علـــى المدرعـــات.

انتهت دورة التدريبات بعد ستة أشهر، ثـــم توجـــه ايـــهود فـــي نهايتـــها إلـــى سيناء، وهناك تسلم قيادة فصيل دبابات، فـــي اللـــواء (٤٠١) واتجـــه بقوتـــه إلـــى قنـــاة السويس. كانت تلك الأيام هـــي أواخـــر أيـــام حـــرب الاســـتنزاف، والتـــي لجـــأ فيـــها المصريون إلى استخدام سلاح قاتل جدا، وهو صواريـــخ ســـاغر المضـــادة للدبابـــات.

كان فصيله يستهل العمل يوميا بفتح محـــور الطريـــق فـــي القـــاطع الأوســـط من القناة. وحينما انتهت حرب الاستنزاف، كان ايـــهود لا يـــزال يحـــافظ علـــى كـــامل تركيبة قوته، دون أن يصاب أي مـــن جنـــوده أو يقتـــل فـــي المعـــارك. انتقلـــت قـــوة ايهود إلى منطقة (بير تمـــاده)، وتلقـــت أول فـــوج مـــن متدربـــي المدرعـــات، وبعـــد انتهاء التدريبات التي أجراها لمدة ثلاثة اشـــهر، عاد بقوتـــه إلـــى القنـــاة مـــن جديـــد، وواصل العمل بقوته هناك، حتى آذار ١٩٧١-أي قبل فترة وجـــيزة مـــن تعيينـــه قـــائدا لدورية هيئة الأركـــان.

قبل عدة أشهر من التعيين، وفـــي أوج معـــارك حـــرب الاســـتنزاف، فوجـــئ ايهود بطلب مقدم من بعض ضباط الدورية للالتقـــاء بـــه. وقـــد أعـــرب الضبـــاط عـــن تذمرهم من قيادة (ديجلي)، وقالوا انه متردد فـــي اتخـــاذ القـــرارات، وليـــس محترفـــا، وأشاروا إلى انهم يعتزمون التوجه إلى رئيس هيئة الأركـــان لاســـتبداله بايـــهود.

جاء رد ايهود قاطعا، لقد كـــان علـــى علاقـــة وطيـــدة بديجلـــي، ويكـــن لـــه احتراما عميقا، ورغم إخلاص ايهود لضباط الدوريـــة، إلا أنـــه وبخـــهم وطلـــب منـــهم أن لا يفعلوا ذلك أبدا، وأكـــد لـــهم أن مـــا يعـــتزمون عملـــه ســـيمس باســـم الدوريـــة ومكانتها الخاصة في الجيش، وبذل كل ما في وسعه لتهدئـــة الأوضـــاع. وقـــد أصغـــى إليه الضباط ورغم عدم موافقتهم له في الرأي الا انهم وافقـــوا علـــى وقـــف المبـــادرة.

ايهود قائدا لدورية هيئة الأركان

وفي الأول من نيسان ١٩٧١، عين ايهود قائدا لدورية هيئة الأركان. وفي طريقه إلى مبنى القيادة، كان ايهود يحمل في جعبته خطة متكاملة لإجراء تغييرات جذرية في تركيبة الدورية، التي كانت تخضع مباشرة لشعبة الاستخبارات العسكرية، والتي اكتسبت شهرتها جراء العمليات الجريئة التي كانت تخوضها.

كان عمل الدورية في تلك الآونة، يقتصر بعد حرب الاستنزاف على عمليات مطاردة المسلحين. وفي غضون الأشهر الأولى لرئاسته أمّ مكتب رئيس الأركان مرات عديدة كي يطرح عليه المخططات الجديدة لعمل الدورية إبان فترات الحرب، وفترات الراحة.

لم تخف هذه التحركات عن عين (رفائيل ايتان) قائد المشاة والمظليين، والذي كان يطالب بان توكل إليه جميع عمليات الكوماندو. وفي محاولته لإبعاد ايهود من شعبة عمليات هيئة الأركان، اقترح ايتان إشراك مقاتلي الدورية في جميع العمليات الكبيرة، شريطة ترك المسئولية عن العمليات في أيدي المظليين. بيد أن ايهود قال: أن دوريته قادرة على تنفيذ أي عملية كوماندو على افضل وجه، وفي إطار زمني اقصر من أي وحدة أخرى.

لقد حدث أول صدام بين الاثنين قبل ذلك بكثير- في تموز ١٩٦٩، إبان الاستعدادات للهجوم على جزيرة (كريت) الواقعة على المداخل الجنوبية لقناة السويس، والتي شاركت فيها قوة من الدورية بقيادة ديجلي، وقوة من الكوماندو البحري. فقد نشب جدل بين العميد (رفائيل ايتان)، والنقيب ايهود، حول التخطيط للعملية، وقال ايتان مستهزئا: من هو هذا النقيب الذي جاء ليعلمنا كيف نعد لعملية؟؟ كان ايهود يدرك، أن ايتان شكوكي بطبيعته، وان الأسلوب الوحيد لإقناعه يتمثل في العمل على ارض الواقع، والتنفيذ بصورة كاملة ومتميزة. لذا أخذ يصر على إشراك جنود الدورية في المهام التنفيذية.

كانت هناك مشكلة ناجمة عن حرب الاستنزاف تقض مضاجع إسرائيل، وتتمثل في وجود عدد من الجنود والطيارين في الأسر المصري والسوري. واتضح من المعلومات التي وصلت إلى إسرائيل إن الطيارين يواجهون تنكيلا فظيعا في السجون.

أخذ ايهود يفكر في الحلول الممكنة لهذه المشكلة وقد وضعت الدورية خطة لمهاجمة المعتقل المصري الذي يتواجدون فيه في مصر، والعمل على تحريرهم بالقوة، ورغم أن الخطة بدت خيالية، الا أن ايهود اعتقد أن بالإمكان القيام بها، بيد أن رئيس الأركان، لم يصادق عليها.

وكان الاهتمام منصبا بصورة أساسية على مصير طياري طائرتي الفانتوم اللذين اسقطا في سورية بعد أن اسقطا طائرتين سوريتين من طراز (ميج ٢١) – وأفادت الأنباء أنهما يتعرضان لعمليات تعذيب وحشية. لقد عمل أحد الطيارين – (بني نحماني) قبل نقله إلى طائرات الفانتوم، قائدا لطيارة عمودية. وكان ينقل أيهود وأعضاء الدورية في عملياتهم، لذا كانت عملية إطلاق سراحه، بمثابة واجب شخصي ملقى على عاتق الدورية. وقد ذهبت جميع المحاولات التي بذلت مع السوريين، لإطلاق سراحه، أدراج الرياح، لذا قرر الجيش العمل على أسر ضباط سوريين لإرغام سورية على استبدالهما.

– حرب الأيام الثلاثة –

وقد وقعت أول محاولة بهذا الصدد في الرابع والعشرين من حزيران ١٩٧٠، في إطار ما سمي "بحرب الأيام الثلاثة" كان هدف الجيش الإسرائيلي أسر أكبر عدد من الجنود والضباط السوريين، خلال هذه المعارك التي دارت في هضبة الجولان، والتي فقد فيها الجيش الإسرائيلي اثني عشر جنديا، في حين قتل ثلاثمائة وخمسون جنديا سوريا، وأسر سبعة وثلاثون جنديا وضابطا.

انضم إلى الطيارين المذكورين، الطيار الإسرائيلي (بوعز ايتان)، طيار طائرة (ميراج)، والذي أصيبت طائرته، وأصيب هو، ووقع في اسر السوريين.

بيد أن السوريين لم يبدوا اهتماما بسقوط أسراهم. وأفاد ممثلو الصليب الأحمر، الذين زاروا الأسرى الإسرائيليين الثلاثة: إن وضعهم النفسي والجسماني في حالة تدهور مستمرة.

بعد فترة قصيرة من توليه قيادة الدورية، اقترح ايهود خطة جريئة على هيئة الأركان، تنص على قيام الدورية بعملية جريئة، يتم خلالها أسر عدد من ضباط هيئة الأركان السورية، معربا عن اعتقاده بان هذا هو الأسلوب الوحيد لكسر رفض الرئيس السوري.

وقد فوجئ ايهود حينما تمت المصادقة على الخطة التي اقترحها، لقد كانت الخطة جريئة إلى الدرجة التي جعلته يعتقد أن هيئة الأركان لن توافق عليها. بدأت الدورية التدرب على العملية، وكانت هناك حاجة إلى هامش زمني لعدة اشهر، من اجل رفع كفاءة الدورية إلى مستوى تنفيذ العملية.

أقام ايهود علاقة وقناة اتصال مع (منو شيكد) رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، والذي سرعان ما اصبح صديقه وقد طالب ايهود بأن توكل العمليات إلى دورية هيئة الأركان، وليس لرفائيل ايتان. وفي إحدى ليالي كانون الأول ١٩٧١ تلقت الدورية إذنا للقيام بعملية خاصة في عمق أراضي "العدو". ولم يكن ايهود على استعداد لإرجاء العملية.

اجتمع في غرفة العمليات الأمامية قائد القطاع الشمالي مردخاي جور، ومنوشيكد، وضابط استخبارات، إضافة إلى قائد وحدة إنقاذ، تحسبا لأي طارئ قد يحدث ويستلزم القيام بعملية تخليص. انتهى أعضاء الوحدة من تحميل التجهيزات، الملابس الخاصة، والبلطات، ومعدات التسلق للجبال، وأحذية خاصة للسير في الثلج والتي تم شراؤها تنفيذا لأوامر ايهود من سويسرا- بيد أن مردخاي جو- نظرا إليهم، وطلب تأخير الانطلاق لعدة دقائق.

-مردخاي : ايهود، هل أنت واثق حقا من أن ما ستقوم به هو عمل مسئول؟؟

-أيهود : هذه الليلة مناسبة لتنفيذ عملية من هذا القبيل. لقد تدربنا عدة أسابيع، ولا يتوقعنا أحد.

اختفت القوة في الضباب، وفي ساعات الفجر الأولى هبت عاصفة ثلجية، وتقلصت الرؤية لعدة أمتار. فقامت غرفة العمليات بإرسال قوة الإنقاذ لاستقبال القوة لدى عودتها، بعد أن تم ربط جنودها بخيط نايلون طويل وقوي. وعندما عادت قوة أيهود رشقهم مردخاي بنظرة خبيثة. وبعد سنوات تحدث أيهود عن تلك الليلة، فقال: كانت تلك الليلة في هضبة الجولان اختبار قدرات، ومسئولية، وإظهار لطابع الوحدة، وقد أثبتنا أننا مجموعة جدية لا تخشى المهام حتى لو بدت تلك المهام مخيفة ومستحيلة. وفي أعقاب تلك الليلة تولدت لدينا ثقة بالنفس، بأننا قادرون على تنفيذ أي مهمة".

الفصل السابع

عملية سابينا

- وجها لوجه مع مختطفي الطائرة البلجيكية -

دق جرس الهاتف في منزل ايهود في الثامن من أيار ١٩٧٢، وكان على الطرف الآخر من الخط، ضابط من هيئة الأركان: يريدونك بصورة عاجلة.

وفي قيادة هيئة الأركان، قال له العميد (منو): لقد اختطفوا طائرة تابعة لشركة (سابينا) البلجيكية والتي كانت في طريقها من بروكسل إلى تل أبيب. ويعتزم المختطفون إنزال الطائرة في مطار اللد، ويريد رئيس الأركان أن تتوجه إلى المطار فورا.

وكانت الدراما قد بدأت قبل ذلك بساعة في الجو، عندما كانت طائرة (بوينج) التابعة لشركة سابينا تحلق على ارتفاع سبعة وثلاثين ألف قدم وهي تحمل على متنها تسعة وتسعين مسافرا، منهم سبعة وستون يهوديا، قسم منهم سياح، وعندما حلقت الطائرة فوق يوغسلافيا، اقتحم غرفة الطيار (ريجنلد ليفي)، وهو ابن لأم مسيحية وأب يهودي- شاب يرتدي باروكة شعر مستعارة، وصوب مسدسا إلى رأس الربان، وقال له:" الطائرة مخطوفة، ومنذ هذه اللحظة أنا قائد الطائرة، وعليكم أن تصغوا إلى أوامري، وتنفذوا ما أقول بالضبط. وإذا ما حاولت ممارسة أي ألاعيب، فلن تخرجوا أحياء من الطائرة".

انصاع الطيار للأمر، وأعلم برج المراقبة في بلغراد بالأمر، وفي غضون ثوان معدودة، نقل النبأ إلى أبراج المراقبة على خط الطائرة، مما حدا بإسرائيل لاتخاذ حالة التأهب.

كان وزير الدفاع موشيه ديان، آنذاك في شرم الشيخ، ويعتزم الطيران لحضور جلسة الحكومة في القدس، وعندما أعلمه رئيس الأركان بالأمر، قال ديان: "أنا متوجه إلى مطار اللد"

سارعت هيئة الأركان، إلى تشغيل خطة (ايزنغوف) وهي خطة محفوظة لمواجهة حالة اختطاف طائرة، لم يكن قد تم التدرب عليها بعد. وتدفقت إلى المطار قوات عسكرية وشرطة وعشرات السيارات (الإسعاف، والمطافئ).

كان ايهود أيضا، في طريقه إلى المطار للتشاور مع رئيس الأركان، وقائد القطاع الأوسط (رحبعام زئيفي). وقبل أن ينطلق في طريقه، اعلم ايهود

طواقم الطوارئ في الدورية أن تتجه نحو المطار. كانت الدورية قد اتخذت الاستعدادات اللازمة منذ خطف طائرة العال إلى الجزائر عام ١٩٦٨، لمواجهة احتمال أن تضطر في أحد الأيام إلى مواجهة عملية اختطاف طائرة.

كان علي طه أبو سنينة -المختطف- ينتمي إلى "جماعة أيلول" وهو رجل ذو خبرة في مجال اختطاف الطائرات المدنية. ففي عام ١٩٦٨ اشرف على عملية اختطاف طائرة العال إلى الجزائر، وفي شباط ١٩٧٢ اختطف طائرة تابعة لشركة الطيران الألمانية لوفتهانزا. وكان برفقته (عبد العزيز الأطرش) - من إحدى قرى الخليل. و(ريما عيسى طنوس)- وهي عربية مسيحية من مواليد بيت لحم، و(تيريز استر هلسه) - وهي أيضا عربية مسيحية من مواليد قرية (الرامي) في الجليل. وقد نهض الخاطفون الثلاثة بناء على إشارة محددة واحتلوا أماكن معينة في الطائرة.

وتنفيذا لأمر الخاطف، قام الربان بإعلام المسافرين بالاختطاف. كان الربان يعتقد أن الطائرة ستهبط في إحدى العواصم العربية، وقد تكون طرابلس، بيد أن الخاطف قال له: نحن نتجه إلى تل أبيب.

في غضون ساعة تجمهرت في مطار اللد كل قيادة الجهاز الأمني الإسرائيلي : وزير الدفاع (موشيه ديان)، رئيس الأركان (ديفيد بن اليعزر)، نائبه اللواء (يسرائيل طل)، قائد القطاع الأوسط (رحبعام زئيفي)، اللواء (ارئيل شارون)، قائد سلاح الجو اللواء (مردخاي هود)، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء (اهارون ياريف). وقد اقترح قائد سلاح الجو أن يتم اعتراض الطائرة وإنزالها في إحدى قواعد سلاح الجو، بيد أن ديان عارض، خشية ان يفجر الخاطفون الطائرة في الجو إذا ما حاولت طائرات سلاح الجو اعتراضها، وهكذا لم يبق من خيار سوى القيام بعملية تخليص على الأرض.

استدعى ديان ورئيس الأركان قائد دورية هيئة الأركان. وعندما وصل ايهود كانت الطائرة قد هبطت ووقفت في نهاية المدرج، دون أن تطفئ محركاتها. وكانت أولى المشاكل التي ينبغي حلها تتمثل في الحيلولة دون إقلاعها من جديد.

وبمصادقة ديان، ورئيس الأركان، توجه ايهود ومعه فنيان من شركة العال، ومقاتلان نحو الطائرة، لفصل جهاز القيادة والهيدروليكية الخاصة بالهبوط. وقد تمكن ايهود من الوصول إلى الطائرة من الخلف.

كانت المحركات لا تزال عاملة، وقد وقف في باب الطائرة، أحد الخاطفين، بيد أن القوة تسللت تحت الطائرة وتوجهت نحو العجلة الأمامية، وتمكن ايهود، ومعه أحد الفنيين من إخراج (خرطوم) التوجيه، وإعطاب كوابح الطائرة.

وعندما عادت المجموعة إلى برج المراقبة، اتضح من تحليل المهندسين، أن الطائرة لا زالت قادرة على الإقلاع، وأن هناك ضرورة للعودة إليها. وهكذا عاد ايهود والفنيون مرة أخرى إلى الطائرة، بيد أنهم هذه المرة عملوا على إفراغ العجلات من الهواء، وأفرغوا الزيت من الأجهزة.

قال ايهود لوزير الدفاع رئيس الأركان أن بالإمكان اقتحام الطائرة وتحرير الرهائن، بيد أنه اقترح إرجاء هذه العملية إلى ساعة متأخرة من الليل، على أن يجري إرهاق الخاطفين حتى ذلك الحين بالمفاوضات.

وافق ديان واليعيزر على العملية، وطلبا من ايهود الشروع باتخاذ الاستعدادات اللازمة للتنفيذ.

اقترح قائد وحدة حماية الطائرات في شركة العال –وهي وحدة تابعة لجهاز الأمن العام– أن يقوم جنود وحدته بتنفيذ العملية بدعوى انهم أكفاء لتنفيذ هذه المهمة. عارض ايهود هذا الطرح، بيد انه اقترح أن ينضم جنود الوحدة، وهم جميعا جنود احتياط في دورية هيئة الأركان إلى العملية.

فكر ايهود في هذه اللحظات في مردخاي رحميم، رئيس طاقم حماية في جهاز الأمن العام، ومقاتل في الدورية، وهو يعرفه منذ سنوات طويلة. ففي شباط ١٩٦٩، كان رحميم ضابط أمن في طائرة العال، التي كانت على وشك الإقلاع من مطار (كلوتن) السويسري، حينما قام مسلحون بمهاجمتها، بيد أن رحميم تمكن

من قتل أحدهم والسيطرة على آخر وقد اعتقلته السلطات السويسرية وسجنته ثم عاد إلى إسرائيل كبطل.

كان ايهود يدرك أن نجاح مهمة من هذا القبيل يرتبط ارتباطا جدليا بطابع الطاقم الذي سيتم اختياره لها. بيد انه كان يواجه مشكلة في توفير هذا الطاقم. فقد كان قسم من طواقم الدورية في دورات تدريبية، وعدد من الضباط لم يكن ليبقى في القاعدة، ولم يكن لديه هاتف عاجل يمكنه العثور عليهم من خلاله واستدعاؤهم طلب ايهود من الدورية أن ترسل إليه كل من يمكن العثور عليه. وحينما وصلوا أخذهم ايهود للتدرب على طائرة من طراز بوينج (٧٠٧) شبيهة للطائرة المخطوفة.

أصر رئيس الأركان، على أن يستعد ايهود لاقتحام الطائرة في نفس الليلة. فقد كان هو وديان يخشيان أن يلحق الخاطفون الأذى بالرهائن عندما يكتشفون التخريب الذي أحدثه ايهود بها.

أبقى ايهود في المنطقة قوة مراقبة وقنص، كي يتمكن من الرد بسرعة إذا حدثت عملية إطلاق نار داخل الطائرة، وبعث بباقي القوة للتدريب. أمر ايهود نائبه، (داني يتوم)، بأن يأخذ جنود الدورية الذين قدموا، ويدربهم على اقتحام الطائرة عبر غرفة الطيار والأبواب. وفكر ايهود وياتوم في إمكانية، أن يستخدم الجنود (سلم الحرامية) للوصول إلى أبواب الطائرة – أي أن يرفع كل اثنين ثالثا على كتفيهما، ثم إحضار سلالم ألمنيوم بعد ذلك.

بدأت الاتصالات مع الطائرة بعد عدة دقائق من هبوطها، فقد طالب أبو سنينة –قائد العملية– أن يتم إطلاق سراح ٣١٥ معتقلا فلسطينيا في السجون الإسرائيلية –وهدد بتفجير الطائرة ومسافريها، إذا لم يستجيبوا له.

أجرى وزير الدفاع المفاوضات مع الخاطفين بوساطة فيكتور كوهين –أحد كبار رجال جهاز الأمن العام– والذي جند كل تجربته وخبرته في إطار ذلك.

وكان كوهين يقول في كل مرة انه بحاجة إلى وقت لنقل المطالب إلى صانعي القرار، وقد طلب منه ديان أن يعمل على إطالة زمن المفاوضات قدر

الإمكان، من اجل إرهاق الخاطفين، وقد هدد أبو سنينة المرة تلو الأخرى، بأن يأمر الطيار بالإقلاع، ويفجر الطائرة فوق تل أبيب.

كان ديان يدرك استحالة إقلاع الطائرة، وان ربان الطائرة سرعان ما سيدرك ذلك عندما يشغل الساعات. لذا طلب من ايهود أن يتأكد من وجود قوة خلف الطائرة على استعداد للعمل السريع.

كان ايهود في تلك الآونة مع القوات المتدربة، وقد احضر الجنود، ونظمهم في مجموعتين، تحمل كل منها سلالم ألمنيوم كانت الخطة مباشرة وجريئة: إذا ما أعطيت الأوامر، أو إذا ما أطلقت عيارات نارية داخل الطائرة، يتجه الجنود ركضا، ويصعدون بالسلالم إلى جناحي الطائرة، ثم يقتحمونها عبر بابي الطوارئ القائمين في الأجنحة، وتتوزع القوة يمينا ويسارا مع محاولة إصابة الخاطفين في أسرع وقت ممكن. مع الأخذ بعين الاعتبار، عدم توفر معلومات حول مكان وجودهم في الطائرة.

طلب ديان من كوهين أن يحاول من خلال الحوار مع قائد الخاطفين، أن يبني له صورة مبدئية، فقال انه يعتقد أن قائد المجموعة الخاطفة هو حضري من منطقة القدس الشرقية. وانه شخص متقف، وليس قاتلا أو مجرما يعمل لأسباب تتعلق بالمال، بل لأسباب أيديولوجية.

وقد طلب منه ديان، أن يحاول تحديد لحظة بداية انهيار قائد الخاطفين، وقد شعر كوهين بأنه مرهق جدا، بيد أن اللحظة لم تكن لحظة العمل.

قبل ساعة من انبلاج الفجر، رغب ديان في التوجه إلى مكان يستطيع أن يراقب منه الوضع بنفسه. وطلب أن نذهب به إلى مكان وجود ايهود، فقدناه إلى هناك وبصحبته سكرتيره العسكري ارييه بارأون.

وعلى بعد مائة متر خلف الطائرة، وبينما أمامهما طابوران من الجنود المنبطحين على الأرض على اهبة الاستعداد، فحص وزير الدفاع وقائد الدورية ايهود، فيما إذا كان الوضع واللحظة مناسبين لاقتحام الطائرة.

كان ايهود يرغب في الاقتحام، بيد أن ديـــان تــردد قليــلا، ثــم قــال: دعــهم ينضجون أكثر. فقال ايـــهود: "ســيكون الاقتحــام فــي ضــوء النــهار اصعــب، ولــن نستطيع الاقتراب من الطائرة بصـــورة فجائيـــة.

وفي إطار محاولته لكسب الوقت طلب ديـــان مــن كوهيــن أن يوافــق علــى إطلاق سراح المعتقلين الموجودين في القائمـــــة، وقــال لـــه أن يشــير إلـــى أن الامــر يحتاج إلى وقت طويل حتى يتم إحضارهم إلـــى المطـــار.

أصر أبو سنينة على إطلاق سراح جميــــع الأســماء الموجــودة فــي القائمـــة في غضون ساعتين وإلا فانه سيفجر الطـــائرة، فتدخــل رئيــس شــعبة الاســتخبارات، وقال أن ذلك مستحيل ويحتاج إلى وقت أطول، بيد أن أبـــو ســنينة أخــذ يبــدي نوعــا من العصبية، وقال: لقد شغلت ســاعة التوقيــت، وإذا لــم يتــم إطــلاق ســراحهم فــي غضون ساعتين، ستنفجر الطائرة بمـــن فيـــها.

لجأ كوهين –الذي اكتسب خبرة طويلة في مجـــال التحقيــق مــع (المخربيــن) –إلى استخدام أسلوب نفسي، فقال لأبو ســنينة، أنــا اشــمئز مــن العســكريين، فــهم لا يعرفون غير أسلوب القوة، لقد اتصلت بموشيه ديـــان فوافــق علــى مطلبكــم الخــاص بتدخل الصليب الأحمر فـــي المفاوضـــات، وفــي عمليــة إطــلاق ســراح المعتقليــن، واتفقت معه على تقديم الماء والطعام لكم وللمسافرين فـــي الطـــائرة وقلــت لـــه: أنكــم أناس جادون وثوريون، وكلمتكم هي كلمـــة رجـــال.

وخلال البحث والتمحيص للوضع بين وزير الدفـــاع وقــائد القطــاع الأوســط طرحت فكرة أن يتخفى جنود الدورية فــي صــورة فنييــن وأن يقــتربوا مــن الطــائرة تحت حجة إعدادها للإقلاع فتبنى ايهود الفكرة فـــورا. فــالفنيون يســتطيعون الاقــتراب دون أن يثيروا الكثـــير مــن الاهتمـــام، وبالتـــالي ســيصبحون قريبيــن مــن الطــائرة وتصبح إمكانية اقتحامها أسرع فأمر فورا بإحضـــار ملابــس فنييــن بيضــاء ومعــدات عمل وأجهزة كالتي يستخدمها الفنيون في عملهم، وفـــي غضــون ســاعة كــان جميــع جنود الدورية يرتدون ملابـــس الفنييــن البيضـــاء، وجميــع معــدات العمــل جــاهزة. وقرر ايهود أن يستخدم الجنود المسدسات فقط، نظـــرا لاســتحالة إخفــاء البنــادق فــي

ملابس العمل. ومن الجدير بـالذكر أن جنـود شـعبة الحراسـة فـي طـائرات العـال كانوا أكفأ من باقي الجنود في استخدام المسدسات. لذا تـم وضعـهم علـى رأس طـاقم الاقتحـام.

تكون طاقم الاقتحام من ستة ضباط وأربعـة مـن جنـود الاحتيـاط العـاملين كحراس، وستة جنـود.

وفي نفس الوقت كان الجنود الباقون يتدربـون علـى عمليـة الاقتحـام، وبـدا أن العملية ستتم بسـرعة. ولم يبـق سـوى مشـكلة واحـدة، وهـي معرفـة مكان تواجد الخاطفين في لحظـة الاقتحـام.

ازداد التوتر داخل الطـائرة، وبـدأت (تريـز هلسـة)، التـي كـانت تمسـك العبوات تهدد المسافرين بتفجير الطائرة، في حيـن أمـر أبـو سـنينة ربـان الطـائرة بالاستعداد للإقلاع فقال له الربان إن ساعات الطـائرة وأجهزتـها تشـير إلـى تسـرب الزيت، واستحالة الإقلاع. فطلب منه أبـو سـنينة الخـروج خـارج الطـائرة ومعرفـة ماهية العطب، طلب أبو سـنينة أن يتـم جـر الطـائرة إلـى أحـد (عنـابر) الصيانـة وإعداد الطائرة للإقلاع. بيد أن كوهين قـال لـه: إن الوقـت متـأخر، ولا يمكـن جـر الطائرة الان إلى مكان الصيانة، ويجب الانتظار حتـى يـأتي الفنيـون.

وفي ساعات الفجر الأول وصل إلى المكان ثلاثـة جنـود لـم يكونـوا ضمـن قوة الاقتحام. (بنيامين نتنيـاهو) -قـائد الطـاقم الشـاب، و(عومـر عـيران)- مقـاتل شاب من افضل الجنود في الدورية. وقـد قدمـا فـي سـيارة نتنيـاهو وأصـرا علـى المشاركة في العملية، فوافق ايهود على ضمهم إلى القـوة المتدربـة. ثـم قـدم (يونـي نتنياهو)، وطلب هو الآخر ضمه إلى القوة. بيد أن ايـهود أصـر علـى عـدم الشـراكة قائلا: لا يجوز أن أشرك شقيقين في عملية واحدة، وهذا قـانون لا هـوادة فيـه، وهـو مسـئوليتنا تجاه الأهل. لقد قـدم شـقيقك بنيـامين، وهـو الان فـي التدريـب؟؟ لكن يوني لم يقبل ذلك، مما اضطر ايـهود لاسـتخدام صلاحياتـه كقـائد، فقـال له: "يوني ، هذا أمـر".

حاول يوني إقناع بنيامين بأن يتخلى له عن مكانه، لكن بنيامين لم يوافق، وأصر على القيام بالدور الموكل إليه، وارتدى ملابس الصيانة البيضاء وانخرط في القوة المهاجمة التي كان عليها اقتحام الطائرة عبر باب الطوارئ. ألقيت اصعب المهام على عاتق (مردخاي رحميم)، وقام رئيس الأركان بتوجيهه بنفسه قائلا: مهما يحدث في داخل الطائرة عليك العمل لتفكيك العبوات الناسفة، نحن نعتمد عليك.

في إحدى الجولات التي قام بها ممثلو الصليب الأحمر بين غرفة القيادة المتقدمة في برج الحراسة والطائرة، عادوا ومعهم شخص غير متوقع. ربان الطائرة (رجينلد ليفي) والذي بدا شديد الإرهاق، وقد أمسك كيسا وبه مواد متفجرة. لقد أطلق الخاطفون سراحه كي يوضح للطرف الآخر أنهم جادون.

قدم قائد الطائرة معلومات حيوية حول ما يحدث داخل الطائرة، فقال: إن عدد الخاطفين أربعة، بينهم امرأتان، وان قائد العملية الذي يدير المفاوضات موجود دائما في غرفة الطيارين، واثنان في مقدمة الطائرة وإحدى الخاطفات بالقرب من باب الخروج. أعلم وزير الدفاع ايهود والذي أعلم بدوره قادة الهجوم، وتقرر العمل في أقرب فرصة ممكنة.

حدد ايهود عدد القوة المهاجمة والذي بلغ سبعة عشر جنديا، وقسمها إلى مجموعات صغيرة. ضمت الأولى (داني يتوم) – نائب قائد الدورية، و(ايتسيك جوانان)– وهو متميز في استخدام المسدس، و(أوري كيرت). وضمت الخلية الثانية (مردخاي رحميم) و(داني برونز)، و(عومر عيران) و(داني أرديني). وضمت الخلية الثالثة (عوزي ديان)، و(حازاي)، و(جليلي).

وضمت الخلية الرابعة (بنيامين نتنياهو) و(ماركو اشكنازي)، و(يعقوب تسورن) و(اريك طل)، وكان على هذه الخلية أن تقتحم الطائرة من باب الطوارئ.

وكانت الأوامر واضحة: سنتحرك جميعا فوق رافعات العال ونحن نرتدي ملابس الصيانة وعلى أن يتم إخفاء المسدسات داخل الملابس. ولا شك أننا

سنكون جميعا تحت رقابة الخاطفين، لذا يجب أن يحمل كل واحد صندوق معدات. وستحمل إحدى الرافعات ثلاثة سلالم كي نتسلق الطائرة بها. وكان يجب على ممثلي الصليب الأحمر أن يسيروا في المقدمة، دون أن يعلموا أن عمال الصيانة الذين يسيرون خلفهم هم جنود كوماندو.

وأضاف ايهود: في الوقت الذي سنتحرك باتجاه الطائرة، ستجري على المدرج عدة تحركات أخرى، حيث سيتم جر طائرة بوينج تابعة لشركة (تي دبليو ايه) باتجاه الطائرة المخطوفة وبمحاذاته ستتحرك شاحنات عسكرية وكأنها الشاحنات التي تقل المعتقلين المحررين من المعتقلات. لقد كانت الخدعة كاملة.

شعر الضباط مدى التوتر الآخذ بتلابيب ايهود، وأصيبوا بالعدوى، ويقول ايهود فيما بعد: كنت أدرك مدى جسامة المسئولية الملقاة على عاتقي. لقد كان نجاح العملية رهنا بمدى انطلاء الخدعة على الخاطفين.

ويضيف: "لو أن الخاطفين اكشفونا حتى قبل ثوان من اقتحام الطائرة، فقد تنتهي العملية بكارثة. أما العامل الثاني المهم في العملية فتمثل في سرعة الاقتحام، وهو الامر الذي تدربنا عليه، وعلى سرعة فتح الأبواب. لقد كان العمل أثناء التدريبات سريعا وممتازا، بيد أن التدريبات لم تكن في يوم من الأيام دلالة على النجاح الفعلي على ارض الواقع العملي.

ومثلما تبدو الأمور في أفلام السينما المنتجة بصورة جيدة، شاهد ايهود طائرة (تي دبليو ايه) وهي تجر باتجاه الطائرة المخطوفة، ومن زاوية أخرى ظهرت شاحنات وحافلات من المفروض أنها تقل المعتقلين المحررين، بيد أن جميع من جلسوا فيها كانوا من البدو العاملين في الجيش كقصاصي أثر، وجميعهم يرتدون ملابس المعتقلين. وأخذ ممثلو الصليب الأحمر يتجولون في المنطقة، وهم ينسقون صفقة تبادل المعتقلين بالرهائن، مما جعل الخاطفين يطيرون فرحا، فقد استجابت إسرائيل لجميع مطالبهم.

كانت الساعة السادسة وواحد وعشرين دقيقة عندما بدأت الرافعات تقترب من الطائرة لإعدادها للإقلاع، واشار ممثلو الصليب الأحمر للرافعات بأن

تواصل تقدمها، وأشاروا لابو سنينة الذي كـان يراقب الوضـع مـن غرفـة الطيـار، بأن كل شيء على ما يـرام.

وعندما أصبحت الرافعات قريبة جـدا مـن الطـائرة، طلـب أبـو سـنينة أن تتوقف، وان يفتح الفنيون سراويلهم كي يتأكد مـن أنـهم غـير مسـلحين. نقـل ايـهود أمرا سريعا إلى القوة قال فيه: سأكون أول من يفحـص، فـإذا مـا اكتشـف الخـاطفون شيئا مشبوها، وفتحوا النار، عليكم الاندفاع قدمـا، وإتمـام العمليـة.

هبط ايهود من الرافعة أولا فـأمره الخـاطف أن يفتـح سـحاب (افرهولـه) كي يتأكد من أنه لا يحمل سلاحا. كان ايهود شديد التوتـر فقـد خشـي مـن أن يفجـر الخاطفون الطائرة خلال عملية الـهجوم.

كان على ايـهود أن يطلـق صفـيرا قويـا كعلامـة لبـدء الـهجوم. ترجـل (مردخاي رحميم) من الرافعة وتقـدم باتجـاه بـاب الطـوارئ الأيسـر الأمـامي. وهو يدرك تماما أن قائد المختطفين يفحصه بدقـة مـن غرفـة الطيـار، ثـم ترجـل خلفه عوزي وعومـر.

كان طاقم الطائرة البلجيكيـة يقـف قريبـا مـن الطـائرة، ويرافـق (الطـاقم الفني)، وكما أن أحدهم شك في أن هـؤلاء الفنيين هـم جنـود لـذا، همـس باتجـاه ماركو اشـكنازي "Good Luck".

قرب داني يتوم السـلم باتجـاه مقدمـة الطـائرة، كـان ايـهود علـى وشـك إطلاق صفارته عندما اتجه إليه أحد المقـاتلين الاحتيـاط، وقـال لـه انـه يعـاني مـن حالة إسهال وآلام في البطن، فسمح له بقضاء حاجتـه تحـت الطـائرة، فذهـب وخلـع سرواله وقضى حاجته والقوة كلها بانتظار أن ينتـهي ويعـود.

قام فنيون حقيقيون من شركة العال –والذين كـانوا علـى علـم بمـا سـيحدث بوصل مولد كهرباء بالطائرة كـي يجـدد كـهرباءها، ثـم غـادروا المكـان ركضـا. الامر الذي جعل ايهود يغلي من الغضب، فقد خشـي أن يلاحـظ الخـاطفون أن هنـاك شـيئا ليس على ما يرام، وأطلق صفارته. بيـد أن الصفـارة لـم تكـن قويـة، ولـم

يســــــــمعها جميع أعضاء القوة، وتـــأخرت عمليـــة الاقتحـــام ثوانـــي معـــدودة بيـــد أنها ثمينة للغايـــة.

كان مردخاي رحميم، أول من اقتحم الطائرة ممـــــا أذهـــل الخـــاطفين، بيـــد أن الأطرش أطلق النار باتجاهـــه، فـــانحنى رحميـــم ممـــا جعـــل العيـــار يخطئـــه. اقتحـــم عومر عيران الطائرة بعد رحميـــم وشـــاهد مـــا حـــدث، فـــأراد إطـــلاق النـــار علـــى الأطرش، بيد أن مسافرة عجوز أمسكته مـــن ملابســـه ممـــا عرقـــل محاولتـــه لثـــوان. ويقول انه اضطر للكمها كي تتركــــه.

حاول الأطرش إطلاق النار مـــرة أخـــرى علـــى رحميـــم بيـــد انـــه أصيـــب برصاص عيران، في حين واصـــل عـــيران الاندفـــاع باتجـــاه غرفـــة الطيـــار، وهـــو يفتش بعينيه عن المتفجرات. وفـــي هـــذه اللحظـــة اقتحـــم الطـــائرة مـــاركو اشـــكنازي وبنيامين نتنياهو. اكتشف اشكنازي مكان وجـــود تريـــز هلســـه، وهاجمـــها وكـــال لـــها ضربة قوية مما جعل عيارا ينطلـــق مـــن مسدســـه، ويصيبـــها وينحـــرف باتجـــاه يـــد بنيامين نتنياهو اليمنى، والذي كان يعـــتزم تجـــاوز اشـــكنازي والســـير قدمـــا. وحينـــها قامت الخاطفة الأخرى بفتح النار باتجـــاه نتنيـــاهو واشـــكنازي ممـــا أدى إلـــى إصابـــة إحدى المسافرات اليهوديات ووفاتها فيمـــا بعـــد.

اقتحم داني يتوم الطائرة من البـــاب الأمـــامي المقـــابل لغرفـــة الطيـــار، فـــي حين تسلق اوري كيرن من الأسفل عبر فتحة الـــهبوط باتجـــاه غرفـــة الطيـــار، واخـــذ يتبادل إطلاق النار مع المختطف داخل الغرفـــة، ويدفعـــه باتجـــاه رحميـــم القـــادم مـــن قاعة المســـافرين.

اقتحم عوزي ديان الطائرة، من الباب الخلفـــي، كـــان هنـــاك مســـافر يختبـــئ خلف ستارة، فرآه وأطلق عليه عيـــارين، فصـــرخ الرجـــل أنـــا مســـافر أنـــا يـــهودي ولحسن حظه لم يقتـــل.

حدثت حالة فوضى تامة داخل الطـــائرة، وبـــدأ مســـافرون محاولـــة الفـــرار، وسدوا الطريق على الجنود الذين كـــانوا يخشـــون مـــن أن يفعـــل الخـــاطفون العبـــوات الناسـفة.

وصل ايهود في هذه اللحظة إلى الطائرة، وحاول توجيه الجنود نحو الخاطفين، الذين أفاقوا من الصدمة، وشرعوا بالرد على النار.

أشار أحد المسافرين لعوزي ديان على فتاة كانت تلف نفسها بغطاء في أحد المقاعد الأمامية، وكانت تلك هي ريما طنوس، كانت تمسك بيدها قنبلة، فنزع منها زناد الأمان، وقالت: لا تطلق النار، وضع عوزي فوهة مسدسه في رأسها، وأخذ من يدها القنبلة بهدوء وهو يشد على الذراع الذي يحول دون انفجارها، وأعطاها لجندي آخر والذي سارع لتأمين الذراع بزناد ارتجله بصورة مؤقتة، بينما وقفت طنوس ترتعد من الخوف، وتتوسل أن لا يقتلها. رفع ديان الغطاء عنها بحذر، فشاهد إلى جوارها حقيبة المتفجرات، فرفعها بحذر كي يتأكد أنها ليست مربوطة إلى جسم الطائرة، وأعطاها لأحد الجنود. واصل رحميم الاندفاع نحو الطائرة فأطلق أبو سنينة النار باتجاهه، فاحتمى رحميم خلف مقعد من مقاعد الطائرة ورد على النار.

استبدل رحميم مخزن مسدسه وواصل التقدم وهو يطلق النار، في حين رد عليه أبو سنينة رغم انه كان مصابا، ثم دخل أبو سنينة إلى مرحاض الطائرة في القسم الأمامي من الطائرة واغلق الباب من الداخل، بيد أن رحميم اقتحم الباب بالقوة وأطلق عليه النار فقتله.

لاحظ رحميم عن يساره وجود تريز هلسه فهاجمها وسيطر عليها، ومزق قميصها فوجد في (صدريتها) عبوة ناسفة مشبوكة ببطارية وجاهزة للتفجير.

امسك ايهود بتريز، وأنزلها عبر جناح الطائرة للجنود الذين كانوا في الأسفل.

لقد استغرقت العملية بكاملها تسعين ثانية ثم جرى إنزال المسافرين بسرعة ودخل خبراء المتفجرات لإبطال مفعول العبوات.

لقد أصيب مقاتلان بجراح طفيفة وقتلت مسافرة، واصيب بعض المسافرين الآخرين بجراح، أمر أيهود داني يتوم بجمع الجنود والعودة إلى

القاعدة وفي الإذاعة هناك سمعوا عن (الملائكة) ذوي الملابس البيضاء الذين اقتحموا الطائرة وأنقذوا الرهائن.

الفصل الثامن

قاد عملية اختطاف ضباط سوريين
لمبادلتهم بطيارين إسرائيليين أسرى

أصبحت إسرائيل كلها في حالة فرح وفخار عارم، وأعرب جميع أعضاء الحكومة عن رغبتهم في رؤية الأبطال الذين أنجزوا العمل. وتدفق الصحفيون من جميع الأماكن، وهم يحملون أمرا واضحا، أحضروا أي معلومات عن هذه الوحدة السرية.

وقد نجحت إحدى الصحف في التقاط صورة للعملية في اللحظات الأولى في أعقاب انتهائها، وقائد الوحدة ايهود يخرج من الطائرة مرتديا الملابس البيضاء، التي يرتديها عمال شركة "العال"، وفي يده مسدس مسلول، وخلفه نائبه (داني يتوم) وتحت أقدامه على جناح الطائرة إحدى المختطفين ملقاة على الأرض، وأمامه عدد من المسافرين المذعورين؛ والجنود ينزلونهم إلى الأرض.

وقد نشرت هذه الصورة على الصفحات الأولى للصحف الكبيرة، بدءا من نيويورك تايمز، وانتهاء بالصندي تايمز، أما العنوان الذي كتب تحت الصور، فكان "الملائكة باللباس الأبيض"، وكشفت بعض الصحف السر الدفين، لقد نفذ العملية وحدة سرية تدعى "دورية هيئة الأركان" وكتب الكثير عن هذه الوحدة من المعلومات الخيالية.

وأصدر الرقيب العسكري أمرا يحظر الكشف عن أي معلومات حول قائد الدورية، حتى ولو كان الحرف الأول من اسمه، وقد ذعر ايهود أيضا، من نشر صورته، وخشي من استسلام أعضاء الوحدة للغرور، فجمعهم بعد عودته إلى القيادة، وأثنى عليهم قائلا: "لا يجب أن ننسى أن النجاح والفشل في مثل هذه العمليات رهن بالسرعة ودقة التنفيذ، وأن أي تعطيل أو تأخر في اقتحام الطائرة، أو تشخيص مكان وجود المختطفين كان سيفضي إلى وقوع كارثة".

وقال للمقاتلين إن العملية برمتها استغرقت تسعين ثانية، أي اقل من الزمن الذي استغرقته التدريبات بعشر ثوان.

حافظ ايهود على رباطة جأشه وبرود أعصابه تماما، خلال حديثه إلى المقاتلين، في الوقت الذي كانوا يتوقعون منه إبداء قدر اكبر من السرور بيد انه كان يخشى الغرور.

لقد تم تنفيذ عملية (ايزنوف) في نفس الوقت الذي كانت فيه الإجراءات تجري على قدم وساق لاختطاف ضباط مصريين سوريين بغية مبادلتهم بالطيارين الإسرائيليين الموجودين في أسر هاتين الدولتين.

وفي مطلع نيسان استدعى (منو شيكد) رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، ايهود، وقال له: "غولدا مائير تود أن تعملوا على صعيد السوريين، وأنا اعتقد أن موعد تنفيذ العملية بات قريبا لإرغام السوريين على تبادل الأسرى.

حرص ايهود على إعداد مخططات للعمل على الخيارين -السوري والمصري- وقال لأعضاء الدورية، يجب أن تكونوا على أهبة الاستعداد لصدور الامر في كل لحظة. لقد أمن ايهود في أعقاب عملية (سابينا)، إن هيئة الأركان ستعتمد، منذ الآن، الدورية، لتنفيذ العمليات من هذا القبيل، وكان يعتمد في ذلك على رئيس الأركان بن اليعيزر، لكن ليس عليه فقط. فقد كان واضحا له أن قائد سلاح المظليين والمشاة العميد رفائيل ايتان، يتطلع إلى تولي مثل هذه العملية.

كان ايهود يلجأ، في مثل هذه الحالة، إلى ممارسة سبق له أن جربها، حيث كان يُبقي نائبه يتوم في الدورية، ويحتل له مكانا دائما في مكتب رئيس شعبة العمليات، الذي ما كان يبعد عن مكتب رئيس الأركان سوى أمتار معدودة. لقد كانت لديه علاقات قوية مع كبار ضباط هيئة الأركان في أعقاب السنوات العشرة التي قام خلالها بتنفيذ العديد من العمليات من هذا القبيل، والتي شغلت هيئة الأركان كلها. وبالتالي احتفظ لنفسه بميزة واضحة على رفائيل ايتان، وعلى قادة الوحدات الأخرى، الذين كانوا يفتشون عن عمليات كبيرة لوحداتهم. وقد أحب قادة هيئة الأركان الظهور بمعية قائد الدورية المشهور، مما وفر له فرصة جيدة لإقناعهم بأن الدورية، هي الخيار الأنجح لمثل هذه العمليات.

وفي مطلع حزيران، وصلت إلى هيئة الأركان معلومات تفيد أن هناك ضباطا سوريين رفيعي المستوى سيقومون بجولة في لبنان. وقد قام (منو شيكد) بالاتصال هاتفيا بايهود، ونقل إليه معلومات حول ذلك، مما جعل ايهود يدرك أن الامر يتعلق بنصب كمين للضباط السوريين لاختطافهم.

وفي الثامن من حزيران تلقى ايهود برقية مفادهــا أن طـائرة هليوكبـتر تقـل رئيس الأركان وقائد القطاع الشـمالي مردخـاي جـور سـتهبط فـي قـاعدة وحدتـه للاجتماع به اجتماعا هاما. كان بـن اليعـيزر ضابطـا عمليـا. وقـد اسـتهل حديثـه بالقول: غدا، ظهرا، سيقوم ضباط رفيعو المسـتوى بـالتجوال علـى الحـدود اللبنانيـة في قاطع وادي (شوبا)، واشك في أن تتوفر فرصـة أخـرى كـهذه لاختطـاف ضبـاط سوريين هل بمقدورك التخطيط والتنفيذ في إطار هـامش زمنـي كـهذا؟؟"

كان ايهود يعرف وادي شوبا جيدا، فـهو منطقـة صعبـة للحركـة، ويوجـد فيها تلال صخرية كبيرة، وأشجار تجعل الشـروط مناسـبة لتنفيـذ العمليـة. بيـد أنـه نصب كمين بواسطة نقل جنود هي مسـألة ليسـت سـهلة، خصوصـا عندمـا يتعلـق الامر بالرغبة في إلقاء القبض علـى أحيـاء.

قال ايهود لبن اليعيزر وجور: "سـنبذل قصـارى جـهدنا، سـنجري منـاورة للتنفيذ، ويجب أن نحصل على صـورة جويـة واضحـة للمكـان، وسـنتدارس بعـض التفاصيل مع قائد القاطع المذكـور.

وبعد ثلاث ساعات سنعرف كل ذلك. وكي نتوجـه إلـى هنـاك ليـلا، يجـب أن نتحرك من الوحدة في حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر علـى أبعـد تقديـر".

حاول ايهود استخلاص معلومات أخرى من بن اليعـيزر، بيـد انـه قـال لـه: لا أستطيع تقديم معلومات أخرى، فشـعبة الاسـتخبارات لـم تسـتكمل ملـف العمليـة بعد، لكنني اقترح أن تعد القوة للاتجاه شـمالا، وسـيقدم لكـم (جـور) قـائد القطـاع، جميع المساعدات التي تطلبونـها.

كان جور أكثر، شكوكية من رئيس هيئـة الأركـان، فطلـب منـه ايـهود أن يبقى، ليرى المناورة التي سيجريها بعد سـاعتين، بيـد أن مردخـاي لـم يكـن قـادرا على البقـاء.

لم يكن ايهود يدري أن قائد القطاع كان متضايقـا جـدا، مـن هـذه العمليـة، التي هبطت عليه في وقت كان يعد فيه العدة، للقيـام بمنـاورة كبـيرة، وقـال لرئيـس الأركان بغضب: إن قيادته ليست مستعدة لتنفيذ مثل هذه العملية التـي قـد تـؤدي إلـى

إضرام النيران على طول خط الجبهة، بيد أن بن اليعازر لم يتراجع، وأمره أن يعلن حالة الطوارئ في قيادة قطاعه، وأن يدفع دبابات وبطاريات مدافع باتجاه الحدود. وفي نفس الوقت، بعث ايهود، يوني نتنياهو على رأس قوة إنقاذ، من مقاتلي الدورية.

وفي نفس الليلة، دخلت قوة من الدورية بأمر من ايهود، إلى الأراضي اللبنانية، وقد انطلقت القوة من إحدى القواعد في جبل (دوف) وشقت طريقها على المنحدرات عبر أشجار كثيفة. وبعد حوالي كيلومترين، قطعت الاتصالات مع جميع القيادات، باستثناء غرفة العمليات المتقدمة لقائد لواء القاطع، (تسوري سرجي).

بدأت التساؤلات تأتي إلى ايهود، عبر غرفة العمليات، فقد نقل إليه قائد القطاع، رسالة عبر تسوري سرجي: "هل تعرف أن هناك حاجزا للجيش اللبناني على بعد ٣٥٠ مترا من مكان الكمين؟؟.

-ايهود: نعم، أنا اعرف ذلك.

-جور: هل يوجد جنود في الحاجز؟؟

-ايهود: من الجائز وجود جنود لقد بنينا خطتنا على أساس وجود جنود في الحاجز، وإذا ما حاولوا التدخل فسوف تقوم وحدة الاستطلاع الغربية، بالتعامل معهم".

-تسور: يأمرك مردخاي بالعودة، وهو لا يوافق على إتمام العملية.

- ايهود: لقد شاهدنا الحاجز في الصور، وهو يضم عددا يتراوح بين ٦-٩ جنود لبنانيين وسنعرف كيف سنتعامل معهم. مضت خمس عشرة دقيقة، شديدة التوتر، وعندما شرعت القوة في اجتياز المياه المتدفقة في وادي شوبا، واستعدت لتسلق مئات الأمتار على كتف الوادي، باتجاه الكمين المخطط، جاء الامر قاطعا: عودوا، بيد أن ايهود لم يستجب لها، لكن القيادة كررت الامر، فعض بروج على نواجذه بغيظ، وقال لقادة الخلايا همسا: يجب أن نعود. كان الشعور بخيبة الأمل يرافق أعضاء الدورية طيلة طريق

العودة، وقد صبوا جام غضبهم على قائد القطاع، واعتبر ايهود إلغاء العملية بمثابة عدم ثقة بقدرته.

حاول رئيس الأركان تهدئة غضب ايهود، وقال له: أن السوريين سيقومون، في غضون أيام معدودة، بجولات أخرى على طول الحدود. مما حدا بايهود لتكثيف التدريبات على تنفيذ العملية، التي أعطيت اسما شيفريا هو (ارجاز-٢).

لم يمض وقت طويل، حتى أخرجت عملية (ارجاز-٢)، إلى حيز التنفيذ الفعلي، ففي ساعات الليل المتأخرة، دخلت القوة إلى الأراضي اللبنانية، فيما انتظرت قوة أخرى، بقيادة (موكي تسور) في ثلاث سيارات (لاندروفر) على طريق الدوريات. على أهبة الاستعداد لاقتحام الحدود اللبنانية.

وكي يزيل تسور الشكوك، أوقف السيارات بالقرب من موقع الأمم المتحدة، وزعم أن إحداها معطوبة.

أشرف ايهود، ومعه عوزي ديان على الكمين الرئيسي، في حين اشرف بنيامين نتنياهو على قوة الحجز، على منحدر الطريق، على بعد ثمانمائة متر إلى الشمال، كما اشرف موكي بتسار على القوة التي بقيت في الأراضي الإسرائيلية، والتي حددت مهمتها في التعامل مع القوات اللبنانية التي قد تحاول التدخل، والمشاركة عند الضرورة. أما عميث بن جورين، فقد ترأس سرية من وحدة (أجوز) وقام بأعمال الاتصال والتنسيق بين غرفة العمليات المتقدمة لرئيس الأركان، وقائد القطاع مردخاي.

تمركزت قوة بروج قريبا من أحد المنحنيات الحادة قرب هضبة مرتفعة على الطريق اللبناني، وقد قدر ايهود، أن المركب السوري كله سيخفف من سرعته بالقرب من الهضبة، وحينها سيصبح من الأسهل شن الهجوم على الضباط السوريين، ووقفت القوة بكاملها، بانتظار القافلة السورية. وفجأة، اقترب أحد الرعاة اللبنانيين بقطيعة من القوة التي لم تجد مناصا من إلقاء القبض عليه وتقييده وتحذيره من انه إذا ما حاول القيام بأي حركة، فسوف يصفى فورا.

أفاد بنيامين نتنياهو، في جهاز الاتصال، انه يسمع صوت اقتراب سيارات، وفجأة بدت بشائر قافلة عسكرية، وعلى رأسها سيارة لبنانية مدرعة. توقفت المدرعة قرب المكان الذي كانت تكمن فيه قوة نتنياهو، ووجهت مدفعها باتجاه الحدود الإسرائيلية، وترجل منها الجنود اللبنانيون، واقترب اثنان منهم حتى خطوات معدودة من قوة نتنياهو، بيد انهم عادوا، وبدأوا في إعداد قهوة والإعداد للعب طاولة الزهر.

استعدت قوة نتنياهو لإمكانية السيطرة على الجنود اللبنانيين، بيد انهم عادوا بعد حوالي نصف ساعة إلى المدرعة، وواصلوا حماية المنطقة.

وفي نفس اللحظة، ظهرت سيارة سوداء من طراز (ليموزين) على منحنى الطريق، ترافقها سيارتان أخريان وسيارة (لاندروفر). وفي نفس الوقت، افادت التقارير، أن هناك مدرعة أخرى تتمركز على الصخور على بعد كيلومترين.

لم يكن ايهود قادرا على الاتصال من منطقة الكمين برئيس الأركان وقائد القطاع، بيد انه قدم إليهما تقارير عبر "عميث بن جورين".

أعطى ايهود أمرا لقوته بالاستعداد للهجوم، وكانت المدرعة تقف على بعد ثمانمائة متر إلى الشمال، على منحدرات الطريق، مهددة المنطقة المحيطة بمدفعها، وعلى بعد سبعين مترا، كمنت قوة نتنياهو.

اتصل ايهود بنتنياهو، وسأله: هل أنت جاهز؟؟ فرد نتنياهو: نعم.

اتصل ايهود برئيس الأركان، وشرح له الوضع، وقال: ستهاجم قوة ايهود اللاندروفر والسيارتين. وفي نفس الوقت ستقوم قوة نتنياهو بإطلاق قذائف (الآر بي جي) وقنابل مضادة للدبابات على المدرعة، ويختفي وسط العواسج المتشابكة. وسيتم نقل الضباط السوريين المخطوفين على الأقدام في طريق لا تستطيع اللاندروفر أو المدرعة السير فيها، وعلى أية حال، لا توجد رؤية مباشرة بين المدرعة والقوة المركزية. أوعز ايهود لرجاله بالاستعداد للهجوم، في الوقت الذي كانت فيه المدرعة اللبنانية تقف قريبا من سيارة (الليموزين) مهددة بمدافعها.

كان رئيس الأركان، وقائد القطاع يشعران بالقلق مــن المدرعــة اللبنانيــة، وفــي نفــس الوقت استعد موكي بتسار للاختراق السريع للحــدود اللبنانيــة، عندمــا ســمع صــوت ايهود في جهاز الاتصال يقول: انــهم يقــتربون منــي، ســيارة جيــب لاندروفــر، بــل سيارتا لاندروفر وسيارة ليموزين سوداء، وســـيارة إضافيــة.

سمع موكي بتسار صوتا يقول في جهاز الاتصـــال "توقــف"، وتمكــن بتســار من تمييز صوت مردخاي جور، الذي كان يديــر العمليــة مــع رئيــس الأركــان مــن غرفة العمليات. كان رئيس الأركان يطالب ايــهود بوقــف العمليــة.

بيد أن ايهود رد عليه قائلا: "كل شيء على ما يــرام، نحــن علــى اســتعداد، لا توجد أي مشكلة في التغلب على اللاندروفر، ونتنيــاهو ســيعالج المدرعــة".

أخذ رئيس الأركـــان زمـــام القيـــادة، وقــال: "لا. لا تنفــذ". بيــد أن صــوت ايهود جاء في جهاز الإرسال قائلا: أرجــو أن تعطينــي إذنــا بــالتنفيذ". كــانت لهجــة ايهود مليئة بالغضب والتوتر، "إنني أراهــم، إنــهم يقــتربون منــي، انــهم علــى بعــد أمتار معدودة مني وأســتطيع الــهجوم الآن.

-بن اليعازر: لا، لا أوافــق.

راقب جنود الدورية القافلـــة وهـــي تندفــع متســلقة الطريــق بــأعين تتمــيز غيظا. وقد بذل ايهود محاولــة أخــيرة، طالبــا الســماح لــه بــالتنفيذ، بيــد أن رئيــس الأركان رفض الطلــب.

وفي كتابه "جندي يســري"، كتــب موكــي بتســار فيمــا بعــد، حــول هــذه العملية: "كانت تلك اللحظات اكثر اللحظات التــي شــهدتها إحباطــا فــي حيــاتي، لقــد شعرت أنني أخون طيارينا في الســجن الســوري".

طوى ايهود أجنحته، وعاد بالقوة راجلا عــبر الأشــجار الكثيفــة وقــد طلــب منه رئيس الأركان، وقائد القطـــاع أن يحضــر معــه قــادة المجموعــات لاســتجوابهم حول العمليــة.

وعندما عقد الاجتماع تحدث الضبـــاط بصـــورة خشـــنة للغايـــة مـــع رئيـــس الأركان وقائد القطاع، أما ايهود فلم يتكلم، وطلـــب أن يبقـــى وحـــده مـــع بـــن اليعـــيزر ومردخاي، بيد أن الاثنين طلبا منه أن يتحدث أمـــام الضبـــاط.

استهل ايهود كلامه بصـــوت منخفـــض نســـبيا، اخـــذ يعلـــو رويـــدا رويـــدا، قائلا: "لم اكن أتوقع في يوم من الأيام، أن يؤدي وجـــود ســـيارة مدرعـــة لبنانيـــة إلـــى جعلكما تلغيان عملية. لقد اتخذنا اســـتعدادنا مســـبقا، لاحتمـــال مرافقـــة مدرعـــة لبنانيـــة لقافلة الضباط، إن وجود مدرعة علـــى بعـــد ثمانمائـــة متـــر مـــن الكميـــن، يمكـــن أن يكون مؤثرا، لقد كان بمقدور نتنياهو أن ينهي هذا الوضـــع بضربـــة النـــيران الأولـــى، بيد أن قراركما أدى إلى إلغاء العملية. ولربما أن هـــذه الفرصـــة كـــانت آخـــر فرصتنـــا لتحرير طيارينا من الأسر السوري. لديكما تجربة عســـكرية غنيـــة جـــدا، وأنـــا واثـــق من أنكما ما كنتما لتترددا في الموافقة على التنفيـــذ، لـــو أنكمـــا شـــاهدتما مـــا شـــاهدته على ارض الواقـــع.

كان بن اليعازر ومردخـــاي جـــور يصغيـــان إلـــى أقـــوال ايـــهود، كطفليـــن يتعرضان للتوبيخ من المعلم. واصل ايهود قائلا: إن الأسوأ من كـــل هـــذا، هـــو أنكمـــا تسببتما في دفعنا في المرة القادمـــة علـــى عـــدم إحاطتكمـــا علمـــا بجميـــع المعلومـــات المتوفرة لدينا ميدانيا، وذلك خشية أن تتخـــذوا قـــرارا تندمـــون عليـــه فـــي المســـتقبل- على غرار ما حدث اليـــوم.

بدا بن اليعيزر شديد الحرج والضيـــق، فـــهذه أول مـــرة، يقـــوم فيـــها ضـــابط برتبة مقدم بتوبيخ رئيس الأركان وقائد القطاع أمام ضبـــاط صغـــار، ورغـــم ذلـــك، لـــم يحاول إســـكاته.

حملق بن اليعيزر فـــي ايـــهود وضبـــاط الوحـــدة، وقـــال: ربمـــا نكـــون قـــد أخطأنا، بيد أنني واثق أنه ستتاح لنا فرصـــة أخـــرى.

كانت الأجواء صعبة للغاية في الدورية، فهذه هـــي المـــرة الثانيـــة التـــي يتـــم فيها إلغاء العملية وقد أعلم نتنياهو، ايهود، بأنه سينهي خدمتـــه فـــي الجيـــش غـــدا، لقـــد

أرجأ عملية إنهاء الخدمة المرة تلو الأخرى، كـي يشـارك فـي العمليـة، وقـال: "أنـا مسافر للدراسة في بوسـطن".

مضت عدة أيام، وبدأ العمل من أجل إخراج عمليـة (ارجـاز-٣) إلـى حـيز التنفيذ الفعلي وإزاء العبر التي استقاها ايـهود مـن العمليتيـن السـابقتين، فقـد عمـل على تغيير مكانه في العملية، وأوكل القيـادة الميدانيـة إلـى يونـي نتنيـاهو- ربمـا يكون قد فعل ذلك تعويضا له على عدم مشـاركته فـي عمليـة (سـابينا) وفـي عمليـة (ارجاز-٢)، وعين عوزي ديان نائبا له، وقرر الإشـراف علـى العمليـة مـن مركـز القيادة الأمامي القريب جدا من رئيس الأركان وقـائد القطـاع. وقـال لموكـي بتسـار، ربما يبدو ما أقوله لـك غريبـا، لكننـي لـن أسـتطيع ضمـان تنفيـذ العمليـة إلا إذا تواجدت في غرفة العمليات الأماميـة.

كان ايهود يحب في يونـي رصانتـه وجديتـه وتمسـكه بالمهمـة الموكلـة إليه. وفي إحدى التدريبات على العملية، ابتسـم أحـد الجنـود الـذي كـان يلعـب دور القوة المهاجمة للقافلة السورية. فـأوقف يونـي التدريـب، وجمـع الجنـود، وصـرخ فيهم قائلا: بهذا الأسلوب لن تستطيعوا إلقاء القبض علـى ضبـاط سـوريين للأبـد. ثـم واصل التدريب، وعندما وصلت السـيارات التـي تحمـل الجنـود الذيـن يمثلـون دور الجنرالات السوريين، هاجمهم يوني ، وفتـح بـاب السـيارة، وجـذب الجنـدي الـذي يمثل دور ضابط سوري من شعره بكـل قوتـه.

اخذ الجندي المذكور يشتمه، وهـو يقـول: مـا الـذي تفعلـه، لقـد خلعـت شعري من جذوره، فالتفت يوني إلـى جنـوده، وقـال: هـذا مـا يجـب أن تفعلـوه، اجذبوهم من شعورهم بمنتهى القوة كي تسـيطروا عليـهم".

اجتازت قوة يوني الحدود في تمـام السـاعة الثالثـة فجـرا، وكـي يمكـن مواجهة احتمال مشاركة مدرعة لبنانية فـي حمايـة قافلـة الضبـاط السـوريين، تقـرر إلحاق مدرعتين إسرائيليتين بقوة يوني ، وأوكلـت إلـى موكـي بتسـار مهمـة قيـادة قوة الحمايـة.

وفي ساعات الظهر، أفاد المراقبون أن هنـــاك قافلـــة تقـــترب، وشـــاهدوا فـــي مناظيرهم سيارة لاندروفـــر تتقـــدم، وخلفـــها ســـيارتان مدنيتـــان الأولـــى مـــن طـــراز (ايمبله) والثانية (اوســـتن).

أمر ايهود المدرعتيـــن أن تكونـــا علـــى أهبـــة الاســـتعداد لاجتيـــاز الحـــدود اللبنانية، وأمر يوني بالاتجاه فورا إلى الطريـــق اللبنـــاني.

اجتازت المدرعتان الحدود اللبنانيـــة، واتجـــهتا نحـــو القافلـــة، وتوقفتـــا علـــى بعد عدة أمتار من اللاندروفر اللبنـــاني. فوجـــئ الجنـــود اللبنـــانيون، وحدثـــت معركـــة سريعة وقصيرة، قتل خلالها خمسة جنود لبنانيين، واصيـــب ضـــابط ســـوري بجـــراح.

اندفع عوزي ديان باتجاه الضباط الجالســـين فـــي الســـيارة (ايمبلـــه) البيضـــاء، وصرخ فيهم بالإنجليزية أن يستسلموا، بيـــد انـــهم حـــاولوا الفـــرار، فـــأطلق باتجاهـــهم عدة عيارات تحذيريـــة.

صرخ أحد الضباط السوريين بالإنجليزيـــة (No blood) -بـــلا دمـــاء، ورفـــع يديه، في حين حاول ضابط آخر الفرار، بيد أن يوني وضابطـــا آخـــر ســـيطرا عليـــه بالقوة. لقد كان هذا الضابط يحمل اكبر رتبة بين ضبـــاط القافلـــة. وقـــد نجـــح ضـــابط آخر في الفرار مستغلا الفوضى التي عمت المكـــان، فطـــارده موكـــي بتســـار، الا انـــه اختفى وسط الأشجار الكثيفة. كما تمكنت ســـيارة اللاندروفـــر ومعـــها ســـيارة أخـــرى من الفرار داخل قرية مجاورة، وقد طاردهم جنود الدوريـــة داخـــل القريـــة، بيـــد انـــهم لم يستطيعوا العثور عليـــهم.

جلس "عوزي ديان" خلـــف مقـــود الايمبلـــة البيضـــاء وقادهـــا وفيـــها خمســـة ضباط سوريين إلى الأراضـــي الإســـرائيلية، وبـــالقرب مـــن الحـــدود كـــان بالانتظـــار رئيس الأركان وقائد القطاع وايـــهود بـــروج، ولـــم ينجـــح بـــن اليعـــيزر فـــي ضبـــط عواطفه، فعانق ايهود بحرارة، ومر بين الضباط الذيـــن شـــاركوا فـــي العمليـــة وربـــت على كتف كل واحد منهم، وقال: "آمل أن تلغـــي هـــذه العمليـــة الآثـــار التـــي خلفتـــها العمليتان اللتان ألغيناهما في السابق، لقد اصبح لـــدى الســـوريين حـــافز يرغمـــهم علـــى إعادة طيارينا، ففي قبضتنا خمســـة ضبـــاط رفيعـــي المســـتوى، بينـــهم ضـــابط برتبـــة

جنرال، وضابطـــان برتبـــة عقيـــد مـــن ســـلاح الاســـتخبارات التـــابع لســـلاح الجـــو السـوري.

انتقلت عملية المعالجة منذ تلك اللحظـــة إلـــى الكـــادر السياســـي، الـــذي قـــرر عدم الإعلان عن عملية الاختطاف كي لا يخزي الســـوريين، وبغيـــة إتاحـــة الفرصـــة، لإجراء عملية تبادل ســـريعة.

وفي نفس الليلة، تم إرسال رسالة ســـرية إلـــى الســـوريين عـــبر الأمـــيركيين جاء فيها: "في قبضتنا خمسة ضباط رفيعـــي المســـتوى، ونحـــن علـــى اســـتعداد لعـــدم الإعلان عن القضية برمتها إذا ما وافقتم على تبـــادل الأســـرى، ونحـــن علـــى اســـتعداد لإطلاق سراح الضباط صبيحة الغد مقـــابل طيارينـــا".

وفي صبيحة اليوم التالي جاء الرد الســـوري: "نحـــن علـــى اســـتعداد للتبـــادل السريع". فوجئت جولدا مائير بســـرعة الـــرد، وقـــررت تصعيـــب الشـــروط، فطلبـــت مقابل إطلاق سراح الضباط السوريين، اطـــلاق الطيـــارين الإســـرائيليين فـــي ســـورية، والطيارين العشرة وجنود سلاح المشاة الأســـرى فـــي أيـــدي المصرييـــن منـــذ حـــرب الاستنزاف، لقد آمنت جولـــدا بـــأن العلاقـــات القويـــة القائمـــة بيـــن الرئيـــس الأســـد، والرئيس المصري أنور السادات، ستفضي إلى صفقـــة مشـــتركة. وهكـــذا تـــم تعطيـــل عملية التبادل، وتسرب النبأ إلـــى وســـائل الإعـــلام الأجنبيـــة ومنـــها إلـــى إســـرائيل، ورفضت مصر المشاركة في العملية، حتـــى لـــو كـــان ذلـــك مقـــابل إطـــلاق ســـراح عشرات الجنود المصريين الأسرى لـــدى إســـرائيل.

وفي نهاية المطـــاف يئســـت جولـــدا مـــن إمكانيـــة الربـــط بيـــن الصفقتيـــن السورية والمصرية، فعادت لطرح مطلبها الأساســـي، والمتمثـــل فـــي إطـــلاق ســـراح الطيارين الإســـرائيليين الثلاثـــة بيـــد أن ســـــورية التـــي قـــدرت أن إســـــرائيل حققت مع الضباط وربما أنها تمكنت من أخذ معلومـــات مهمـــة منـــهم، لـــم تعـــد فـــي عجلة من أمرها . وهكذا، لم تتم عملية التبادل إلا بعد ثمانية أشـــهر مـــن تنفيـــذ عمليـــة (ارجـــز-٣).

بوصفه رئيسا للأركان، كان بن اليعــازر يتعــرض لضغــوط شــديدة عندمــا كانت هناك عملية تلوح في الأفق، ويتوجب عليه اتخاذ قــرار بالجهــة التــي يجــب أن تتولى تنفيذهــا.

فمن ناحية، كان رفــائيل ايتــان قــائد المشــاة والمظليــن يمــارس ضغوطــا لإيكال المهمة إليه ومن الناحية الأخرى، كان المقدم شــاؤول زيــف- قــائد الكومــاندو البحري يمارس ضغوطا. بيد أن ايهود كان يملــك حاســة سادســة تمكنــه مــن إقنــاع رئيس الأركان وضباطه الكبار بأفضلية دورية هيئــة الأركــان، وعندمــا كــان رفــائيل ايتان، وشاؤول زيف بريان، بروج، وهو يهبط درجــات قيــادة هيئــة الأركــان وهــو يحمل على كتفه حقيبة الخرائط، كانا يدركان انــهما خســرا العمليــة.

اصبح ايتان أحد اشد خصوم ايهود بروج، فــي حيــن نمــت علاقــة حميمــة بين ايهود واللواء ارئيل شارون، قائد القطــاع الجنوبــي فــي مطلــع الســبعينات، فقــد طور شارون نظرية عمــل خاصــة، لمكافحــة الإرهــاب فــي غــزة، وكــان جنــود الدورية ينفذون هذه النظرية في غالبيــة الاحيــان.

لقد بدأ التعارف بين شارون وايهود نهايــة عــام ١٩٦٤، عندمــا كــان ايــهود بوصفه نقيبا شابا يقود إحدى عمليــات الدوريــة فــي الشــمال، وقــدم العقيــد شــارون رئيس هيئة أركان القيادة الشمالية- التوجيهات الأخــيرة لوحــدة التنفيــذ. وقــد اعجــب بروج بشارون الذي لــم تفتــه شــاردة ولا واردة فــي ضــرورة التنفيــذ إلا وذكرهــا لأعضاء الوحدة، وقد اعتاد ايهود تقدير شارون، منشــئ الوحــدة (١٠١) الشــهيرة.

وفي عام ١٩٧٢ حظي ايهود بوصفــه قــائدا لدوريــة هيئــة الأركــان -فــي أعقــاب عملية (سابينا)، بالإطراء والثناء من قبل شارون. وقــال : "لقــد كنتــم جيديــن، هكــذا ينبغي العمل". وألمح شارون إلــى ايــهود، أنــه ســيحظى فــي قطاعــه بعمــل مــهم، وكشف أمامه النقاب، عن الاستعدادات التي يقوم بها لمحاربــة "الإرهــاب" فــي قطــاع غزة. سر ايهود جدا فقد اعتبر العمل في قطــاع غــزة بمثابــة فرصــة جيــدة لإثــراء تجربة طواقم الدورية الشــبان.

وفي صيف ١٩٧٢ توجه ايهود إلى قيادة القطاع الجنوبي في بئر السبع، وكان شارون في أوج عملية توجيه لطاقم تنفيذي، وقد سر شارون لرؤيته، ودعاه للانضمام إليه.

فوجئ ايهود، عندما شاهد إلى جانب كبار ضباط القطاع، جنودا برتبة رقيب وشارون يحلل أمامهم الأحداث التي سيواجهونها في العملية، والجميع يشاركون في هذا التحليل ثم تطرق شارون إلى تحليل عملية إلقاء قنبلة على أحد ضباط هيئة أركان قطاعه في غزة إبان تنقله وحده في سيارة جيب، واعتقد شارون أن رد فعل الضابط لم يكن على ما يرام، أدرك شارون دهشة ايهود، وقال له موضحا: أنا أؤمن بالعمل الجماعي، بدءا من كبار الضباط حتى اصغر الجنود، لان هذه الطريقة هي وحدها الكفيلة بجعلهم يفهمون ما يقصده بالضبط وبهذا الأسلوب ينقل إليهم الحماس، وروحية القائد إلى جميع المنفذين، موفرا على نفسه أسابيع طويلة من العمل الروتيني والتعليم البطيء للجنود. وفي أعقاب الاجتماع التوجيهي آنف الذكر دعاه شارون إلى مكتبه. وهناك عرض عليه ايهود خطة تنفيذية لاختطاف طيارين وضباط مصريين، بغية الضغط على مصر، للموافقة على عملية التبادل. وأعرب ايهود عن تذمره جراء عدم موافقة هيئة الأركان على مثل هذه العملية، جراء الاستعدادات المعقدة التي تحتاجها العمليات، وبسبب المشاكل الاستخبارية التي تتطلبها. وقال : أننا على استعداد للعمل في غضون أربع وعشرين ساعة، بيد أن وتيرة هيئة الأركان لا تجارينا.

قال شارون: "تعالوا إلي، وستحصلون عندي على كل شيء. مكتب قيادة، واتصالات. أنا ساهيء لكم كل شيء، تحدث مع (شاي تماري) ضابط شعبة الأركان، وقيادتي ستقدم لكم جميع المساعدات التي تطلبونها".

لقد أحب أيهود العمل مع شارون، وأدرك انه سيجد لديه دائما مهام مثيرة وغزيرة. لقد أدى العمل مع شارون إلى تمكن جميع طواقم عمل هيئة الأركان من خوض عمليات في قطاع غزة، واكتسبوا خبرة واسعة في المهمات الخاصة التي أعدها لهم قائد القطاع.

لقد صمد التحالف الذي قام بين الاثنين في بيارات غزة، زمنا طويلا، وأيد شارون، أيهود، طيلة فترة عمله، وخصوصا في مواجهة رفائيل ايتان، فقد أعتبر أيهود تواصلا للوحدة (١٠١).

لقد تحولت دورية الأركان في عهد أيهود من وحدة تنفيذية تابعة لشعبة الاستخبارات العسكرية، إلى وحدة خاصة متميزة لهيئة الأركان كلها.

لقد حاولت الحكومة الإسرائيلية استغلال الشهرة التي اكتسبها أيهود، كقائد لدورية هيئة الأركان، وكضابط قادر على تنفيذ جميع المهام في الخامس من أيلول ١٩٧٢. فقد سيطر صبيحة هذا اليوم مسلحون فلسطينيون من منظمة (أيلول الأسود) على مساكن الوفد الرياضي الإسرائيلي إلى أولمبياد ميونيخ، وأخذوهم رهائن. وطالب المسلحون مقابل إطلاق سراح الرياضيين الإسرائيليين إطلاق سراح معتقلين فلسطينيين، وطلبوا من الحكومة الألمانية طائرة لمغادرة ألمانيا مع رهائنهم.

كان وزير الدفاع موشيه ديان، على اتصال هاتفي متواصل مع رئيس مخابرات ألمانيا الغربية، وكان الكثير من الشكوك تراوده منذ البداية في قدرة قوات الأمن الألمانية على إطلاق سراح الرهائن، وفي نفس الوقت كان لديه مرشح للقيام بهذه المهمة ...أيهود بروج وطلب ديان من رئيس الأركان دراسة إمكانية سفر دورية هيئة الأركان إلى ميونخ. بيد أن الوقت كان يمضي بسرعة دون الحصول على الإذن بذلك، فقد رفض الألمان بشدة حتى الالماحات الإسرائيلية لإرسال قوة عمل خاصة.

توجه رئيس الموساد تسفي زمير إلى ميونيخ على عجل، مكلفا بدراسة إمكانية أن يوافق الألمان على إرسال قوة عمل إسرائيلية من دورية هيئة الأركان. وقد وصل زمير بعد الظهر واجتمع فورا بقائد شرطة ميونيخ، وبرئيس المخابرات الألماني. بيد أن الاثنين لم يكونا على استعداد حتى لسماع فكرة إمكانية عمل قوة اجنبية على الأراضي الألمانية.

أدرك أيهود مدى صعوبة تنفيذ عملية تخليــص الرهــائن، إضافــة إلــى أنــه كان يعتقد أن الألمان يفتقرون إلى التجربــة، علــى هــذا الصعيــد كمــا انــه أدرك أن المسلحين استقوا العبر من عمليــة (ســابينا).

وعندما جاءت بشائر الأنباء بفشــل القــوات الألمانيــة، كــان أيــهود حزينــا جدا، فقد اعتقد ولا زال، انه كان بمقدور دورية هيئة الأركــان النجــاح فــي المهمــة.

الفصـل التاسـع

أيهود في قلب بيروت
تقمص شخصية امرأة وساهم في تصفية
ثلاثة من القادة الفلسطينيين

لا زال (موكي تسور) يتذكر الاجتماع الخاص الذي عقده ايهود لكبار ضباط الدورية في شباط ١٩٧٣. كان ايهود مسرورا للغاية، وعيناه تشعان بريق الفرح، وأخرج من مظروف كان معه ثلاث صور، وضمها إلى صدره.

كان الضباط متوترين، فهم لم يعرفوا بعد السبب الذي جعل ايهود يدعوهم إلى الاجتماع. استل ايهود الصورة الأولى ووضعها على المنضدة، وقال: محمد يوسف النجار، قائد جماعة أيلول، ثم وضع الصورتين الأخريين، وقال: كمال عدوان -مسئول العمليات لحركة فتح في إسرائيل، ورئيس شعبة العمليات الخاصة لمنظمة فتح، وكمال ناصر الناطق باسم ياسر عرفات. وبدا أن جميع الضباط اصبحوا اكثر توترا، فقد أدركوا أن العملية، هذه المرة، هي عملية خاصة جدا.

فرد ايهود على المنضدة خارطة لمدينة بيروت، وقال: كمال عدوان، وكمال ناصر يسكنان هنا في الطابق الثاني والرابع، وبالقرب منهما يسكن أبو يوسف النجار".

أدرك قادة الدورية، أن ذلك يعني أن الدورية ستتوجه إلى بيروت لتصفية القادة الثلاثة.

واصل ايهود كلامه: "لدينا كل شيء، بما في ذلك وصف كامل للحي، ونحن قادرون على الوصول إليهم. وسنصل إليهم، يجب البدء بالعمل".

لم يضع موكي بتسار كلمة واحدة، فقد أدرك منذ وصوله إلى الدورية قبل سنة، إنها تختلف في طبيعتها عن أي وحدة أخرى، سبق له أن عمل بها. فالعمل الوظيفي داخل الدورية يختلف عنه في أي وحدة أخرى، حيث العلاقة القائمة بين الضباط هي علاقة وطيدة، وتتسم بالصداقة وصريحة ومنفتحة. كانت العملية ذات هدف واضح، يتمثل في تصفية الزعماء الثلاثة في فراشهم في قلب بيروت.

أدخل ايهود في روع ضباطه، وجنوده، الاعتقــاد بأنــه ينتظــر منــهم تفكــيرا جذريا، وخلاقا وبدأ كل منهم يدلي بدلوه ويطرح أفكارا تتعلـــق بكيفيــة الوصــول إلـــى الهدف وتنفيذه، والعودة بســـلام.

سجل ايهود جميع الأفكار على ورقة، أمامه بيـــد انـــه رفــض فكــرة واحــدة فورا بقوله: لن نصل إلى الهدف بطائرات هليوكبتر، ولــن نكــرر أسـلوب العمــل فــي عملية مطار بيروت، لان الضجــة التــي تثيرهــا الطــائرات ستكشــفنا. سـنصل إلـــى الهدف عبر البحر، كســياح، وكعشــاق، وسـنعمل بالتعــاون مــع الموســاد، وســيقوم عملاء الموساد باستباقنا، وسيزودنا بسيارات فــي نقطــة الإنــزال علــى البحــر، كــي توصلنا إلى هدفنا، وتعيدنـــا إلـــى نقطــة الإنــزال مجــددا. وكشـــف ايــهود النقــاب لضباطه عن أن الصناعـــات العســــكرية الإســــرائيلية، شــرعت فــي صناعــة بندقية عوزي صغيرة (ميني عوزي) –حسب طلبـــه – مــزودة بكـــاتم صــوت لــتزويد مقاتلي الدورية بـــها.

لقد بدأت الاستعدادات لهذه العملية قبل شـــهرين، إن وصــول معلومـــات إلـــى إسرائيل، تفيد بـــان بعــض قـــادة المســلحين الفلســطينيين – ومــن ضمنــهم بعــض المشاركين في التخطيط لمذبحة الرياضيين فـــي ميونيــخ يســكنون فــي حـــي (الرملـــة البيضاء) في شمال غرب بيروت. توجـــه اللـــواء (يكوتيئــل آدم)– الــذي كــان معـــارا آنذاك للموساد، –إلى رئيس الموساد، وطلــب منـــه أن يتــدارس مـــع ايـــهود، فيمـــا إذا كانت دورية هيئة الأركان قادرة على تنفيـــذ العمليـــة.

تم استدعاء ايهود إلى قيادة الموساد، ومعــــه (امنـــون بـــيران) رئيــس شــعبة العمليات في الدوريـــة، وطرحــت أمامـــه المعلومـــات، وبـــدا واضحـــا لـــه أن علـــى الدورية مفاجأة الثلاثة بيد أنه كانت هنـــاك مشــكلة: ففــي مدخــل كــل مــنزل تواجــد حارس، أضف إلى ذلك أن المداخل كانت تبقى مضـــاءة طيلـــة الليــل.

قال ايهود: "هناك مشكلة، فـــالتخطيط لمثــل هـــذه العمليـــة، يتطلـــب حصولـــي علـــى معلومات أخـــرى حـــول الحراســـة، والشـــقق، وقـــوات الجيــش والشـــرطة اللبنانيـــة الموجودة في المكان، والاهم من كل هذا، ما إذا كــــان القـــادة الثلاثـــة يتواجــدون فـــي

الشقق طيلة الليل؟؟" طلب الموساد مهلة زمنية لعدة أسابيع، وفي نهاية الامر، احضر جميع المعلومات اللازمة وحينما درسها ايهود، قال (ليكوتئيل آدم): أنا على استعداد لتنفيذ هذه المهمة.

قرر وزير الدفاع موشيه ديان، توسيع العملية بحيث تصبح اكبر عملية يتم تنفيذها في لبنان. وكان ديان على قناعة بأن رئيسة الحكومة (جولدا مائير)، ستصادق على أي عملية، هدفها تصفية المسئولين عن عملية مقتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ. فقبل عدة أيام وجهت أمرا إلى رئيس الموساد، بأن يعمل على مطاردة، أولئك المسئولين في كل مكان بالعالم.

ولم يكن ديان مخطئا في اعتقاده، فما كادت جولدا تسمع أن أحد أهداف العملية، هو أبو يوسف النجار، النائب الأول لياسر عرفات، وأحد كبار المخططين لعملية ميونيخ، حتى وافقت فورا، على الشروع بالتخطيط للعملية.

قال وزير الدفاع لرئيس الأركان: "هذه العملية فصلت بصورة خاصة على مقاس ايهود بروج، ودورية هيئة الأركان".

مضى شهر دون أن تتناهى إلى ايهود أي معلومات حول العملية، وكان وزير الدفاع قد قرر، في تلك الآونة توسيع العملية بحيث تشمل قيادة الجبهة الشعبية القريبة من مخيم اللاجئين صبرا الواقعة جنوبي بيروت. وقد تم إيكال هذه العملية إلى المقدم (امنون ليفكين شاحك) رئيس كتيبة الشبيبة الطلائعية -الناحل- المظلي، الامر الذي حول العملية إلى عملية معقدة.

وحينما لم يسمع ايهود شيئا عن العملية، اخذ إجازة، وذهب لقضائها في ايلات، وصبيحة أحد أيام السبت، تلقى مكالمة تطلب منه المثول على عجل، في مكتب رئيس الأركان، في تل أبيب. وفي المكتب، وجد بانتظاره رئيس الأركان ونائبه ومساعد رئيس شعبة الأركان اللواء (يونه افراتي) و)(منو شيكد) الذي عين لتوه قائدا لسلاح المظلات.

كان (منو) قد قدم خطة أعدتها قيادته لاغتيال (مسلحين) يسكنون في شارع الفردان في بيروت. وفهم ايهود من الحديث، أن الامر يتعلق بتنفيذ عملية

لاغتيال (المسلحين) الذين كان يجب أن يقوم هو بالعملية لاغتيالهم. وقد تحدثت خطة (منو شيكد) عن تفعيل عشرات الجنود في خلايا تنفيذ وحراسة.

انتظر بن اليعيزر بأناة وصبر، حتى انتهى منو من شرح خطته، ثم توجه إلى ايهود وقال له: ما رأيك في الخطة؟؟

- ايهود : بتوجيه من يكوتئيل آدم ويونه أفراتي قمنا بدراسة هذا الهدف قبل شهر، وباعتقادي أن التنفيذ ممكن بخطة أخرى تتوخى مفاجأة (المسلحين) في بيروت، وعلى أن تستغرق دقائق معدودة فقط، إذا لم نتورط، ويشارك فيها عدد من الجنود لا يتجاوز خمسة عشر جنديا.
- بن اليعيزر: متى تقدر على تقديم خطة لذلك؟؟
- ايهود: غدا، إذا أطلقت سراحي الان.
- بن اليعيزر: اذهب لوضع الخطة، وسيشارك في العملية اربع أو خمس قوات في آن واحد في بيروت، بيد أن هذا الجزء هو أهمها على الإطلاق وسنمنحك أفضلية في اختيار زمن البدء، وستكونون أول من يفتح النار، وسيشرف منو شيكد على العملية كلها، من زورق حربي في البحر.

في صبيحة اليوم التالي، قدم ايهود الخطة إلى رئيس الأركان، ثم إلى موشيه ديان. طلب ديان أن يعرف فيما إذا كانت هناك معلومات متوفرة حول استعدادات (المسلحين) والجيش اللبناني في المنطقة، فقدم ايهود وممثلو الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية المعلومات التي بحوزتهم. واتضح أن هناك تواجدا كبيرا لقوات الأمن اللبنانية (والفدائيين) في المكان، وعلى مسافة قليلة من الهدف، توجد نقطة شرطة للجندرمة اللبنانية. وقد سأل ديان، ايهود، فيما إذا كان قادرا على التنفيذ في ظل هذه الشروط؟؟ فقال ايهود بثقة : نعم، نستطيع التنفيذ. وتم تحديد العملية "أفيف نيعوريم" – ربيع الشباب.

وافق وزير الدفاع على مهاجمة جميع الأهداف في نفس الليلة، بما فيها قيادة الجبهة الشعبية في قلب بيروت، فقد اعتقد أن مهاجمة عدة أهداف في آن

واحد في بيروت، ستشغل قـوات الأمـن اللبنانيـة، وتتيـح الفرصـة لجنـود الدوريـة العمل بحريـة.

-ايهود: ما فرصة موافقة رئيسة الحكومة علـى التنفيـذ؟؟

-ديان: "جولدا ستصادق، ولن تكون هناك أي مشكلة معـها، إنـها تنتظـر منـذ زمـن طويل مثل هذه العمليـة".

ثار جدل في إحدى جلسات قادة الدورية حـول الغطـاء الـذي يجـب عليـهم تدبيره كي يتمكنوا من الوصول من البحـر إلـى الـهدف، فـاقترح موكـي بتسـار أن يمثل المقـاتلون دور العشـاق، فيقـوم الجنـود أصحـاب الأجسـام الضخمـة بـدور الرجال، في حين يقوم صغار البنية بدور النساء. ويخيل إلـي أن وجـه وجسـم ايـهود يرشـحانه لأن يكـون صبيـة (برونتـب شـقراء)، وكذلـك عمـيرام ليفيـن وليونـي رفائيلي، -الذي انضم إلى القـوة-.

كلفت قيادة العملية بشـراء باروكـات الشـعر المسـتعار المطلوبـة وتوجـه المشاركون في العملية إلى المحلات التجارية واشترى كـل منـهم حلـة زرقـاء. وقـد اختار ايهود فستانا نسائيا، وطلب أن يكون واسـعا عليـه بعـض السـنتمترات. بـدا أن البائعين مندهشون، فلم يكن ايـهود أول شـاب يدخـل إلـى الحـانوت لشـراء فسـتان ويقول نفس العبارات، وصعب عليهم أن يفهموا هذا العـرض الجديـد للأزيـاء.

وتم تفضيل استخدام بندقية عوزي دون (أخمـص) -عـن العـوزي الجديـدة، التي لا زالت حتى ذلك الحين، في مرحلـة التطويـر، وقـد تـم فحـص عـدة أسـلحة أجنبية، بيد إنها بدت غير ملائمة للعملية. وتم اختيـار عبـوات ناسـفة خاصـة، خفيفـة الوزن بيد أنها شديدة المفعول من أجل تحطيم أبواب شـقق الشـخصيات الثلاثـة، كمـا اعد كل طاقم حقيبة (جيمس بوند)، ووضع فيها سـلاحا أبعـد مـدى، وعبـوات ناسـفة بوزن ٢٥٠ غرام لكل عبـوة.

فتش ايهود عن مبنى مشابه للمبنـى الـذي يعـتزم مهاجمتـه فـي بـيروت، وبعد بحث طويل عثر على مبنى في طور البناء مشـابه لـه فـي أحـد ضواحـي تـل أبيب. وبينما الطاقم الذي يقوده ايهود يقـوم بمنـاورة تتمثـل فـي الـهبوط بـالزوارق

على ساحل تل أبيب، ثم يشنون على المنزل المذكور هجوما سريعا، فوجئوا بإحدى دوريات الشرطة الإسرائيلية لم يتمكن رجال الشرطة من استيعاب المنظر الذي شاهدوه سيارات مدنية تتوقف بالقرب من مبنى في طور الإنشاء، ويترجل منها أشخاص بلباس مدني، ويشرعون بالسير باتجاه المبنى وكل واحد يمسك بيد الآخر، وقد استعد قائد الدورية لحمل جميع هؤلاء الأشخاص الغرباء إلى قيادة الشرطة، وفجأة برز من الظلام شخص بلباس مدني كان ذلك الرجل منو شيكد، طلب منو من الضابط أن يترك المجموعة وشأنها، بيد أن الضابط لم يكن على استعداد لعمل ذلك. فقال له (منو) سيأتي يوم وتدرك ما الذي تفعله.

كانت إحدى المشاكل الصعبة التي واجهت ايهود هي إعداد الطواقم، حيث لم يكن أي من الضباط أو الجنود على استعداد للتخلي عن ليلة في بيروت. مما اضطر لاتخاذ قرار الحسم والذي لم يكن سهلا احيانا. أما اصعب المشاكل فجاءت مع نائبه يوني نتنياهو. فقد قرر ايهود إبقاء يوني في الوحدة لمواصلة التدريبات بيد أن نتنياهو لم يكن على استعداد حتى لسماع ما قاله، وقال لايهود، لقد تركت كل شيء خلفي وعدت للخدمة -للجيش- فقط من أجل خوض مثل هذه العمليات. ولا توجد عمليات كهذه كل يوم، أنا بحاجة للتجربة والتفكير هكذا فقط يتم بناء القادة. لقد منحك ابراهام فرصة، ويجب أن تمنحني أنا أيضا فرصة.وفي نهاية المطاف عثر ايهود على حل: "خلية موكي بتسار عملت وحدها في بيت أبو يوسف، وإذا ما أصيب أحدهم فان الاثنين الآخرين سيجدان صعوبة في حمله إلى الخارج، وفي نفس وقت تنفيذ العملية، وإذا ما قبل بتسار انضمامك إليه كمقاتل رابع، يمكنك مرافقتنا، وإذا قال موكي نعم، فلا أعارض".

كان يوني ارفع رتبة من موكي ولم يكن بمقدور موكي أن يرفض الطلب. وكانت مهمة هذه الخلية تتمثل في اقتحام منزل أبو يوسف النجار في شارع الفردان في بيروت.

وفي أحد التدريبات التي أجريت على النموذج المشابه، بحضور رئيس الأركان وقائد سلاح المشاة، فاجأ بن اليعيزر الطاقم بالقول: "عدو من الخلف،

لديكم جريح"، وفيما هاجم موكي العدو الوهمي، قــام يونــي بحمــل (تســبيكة) -أحــد أعضاء الخلية- الجريح، خارج المبنى. بيد أن بن اليعـــيزر لــم يكــن راضيــا، وقــال: أن عملية الانسحاب كانت بطيئة جــدا.

وكلما اقترب موعد التنفيذ، كلما أصبحـــت التدريبــات أصعــب، وقــد تســلق الجنود سلالم العمارة، ونزلوا منها عشرات المــرات ليليــا.

كان ايهود ينتظر فــي مدخــل المبنــى، ويضغــط كــل مــرة، علــى جــهاز (موتورولا) الموجود معه -جــهاز إرســال- وهــي العلامــة المتفــق عليــها لتفعيــل العبوات الناسفة على جميع الأبواب فــي المبنييــن.

كانت الحقيبة التي تضم تفاصيل العملية تتضخــم يومــا بعــد الآخــر، وتــزداد المعلومات التي فيها حول الأهداف المرشحة للاغتيــال. فقــد عــرف أعضــاء الطــاقم، مثلا، أن كمال عدوان وكمــال نــاصر، يســكنان فــي عمــارة واحــدة، أحدهمــا فــي الطابق الثاني، والآخر في الطابق الرابع أمـــا أبــو يوســف فكــان يســكن فــي بيــت قريب، في الطابق السادس. وكان معظم سكان الحــي مــن رجــال الأعمــال اللبنــانيين الأثرياء والدبلوماسيين الغربييـــن.

ولم تكن شخصيات الثلاثة تخفى علــى أي مــن الســكان، فقــد كــان الثلاثــة يحظون بحراسة دائمـــة.

شرع عملاء الموساد يقطعون المنطقـــة طــولا وعرضــا، ويجمعــون جميــع التفاصيل: الحراسة، الروتين، طرق الوصـــول، وطــرق الانســحاب.

وفيما بعد، قال أبو اياد – صـــلاح خلــف- انــه حــذر الثلاثــة مــن وضــع الحراســة المرافقــة لــهم، وقــال: "ذات يــوم ســتهبط طــائرة هليوكبــتر إســرائيلية وتختطفكــم".

أتمت هيئة الأركان ملـــف عمليــة "ربيــع الشــباب" وبــدأ رئيــس الأركــان يضغط على وزير الدفاع للحصول على موافقة ســـريعة علــى العمليــة، قــائلا: "هــذه الفرصة لن تتكرر"، بيد أن ديـــان كـــان مــترددا، ويخشـــى مــن التــورط فــي قلــب عاصمة عربيــة.

نشرت الجرائد الأجنبية في أعقاب العملية تحقيقا حولها، جاء فيه: أن سائحين سجلا اسميهما في فندق (ساندس) المطل على ساحل البحر في بيروت الغربية في الأول من نيسان ١٩٧٣. وقد سجل الأول نفسه باسم جيلفر ريمبود – رجل أعمال بلجيكي، وقد قدم على متن طائرة لوفتهانزا من فرانكفورت، أما الثاني فهو ديتر التنتسور وقد قدم هو أيضا على متن لوفتهانزا، وحمل جواز سفر ألمانيا.

وبعد خمسة أيام سجل ثلاثة سياح آخرين أنفسهم، باسم: اندرو فيتشواي، وقد بدا جنتلمان بريطانيا من الجيل القديم، وشارلس بوسار وهو رجل أعمال بلجيكي، وجورج الدر، وهو إنجليزي، وصل في طائرة بريتيش ايروفيز من لندن.

وفي نفس الليلة، سجل في فندق (اتلانتك) الواقع على بعد قليل من مساكن الأهداف الثلاثة سائح إنجليزي باسم اندرو ميسي، وقد عمل على إقامة علاقة ودية مع موظفة الاستقبال، وكان يسألها بين الفينة والأخرى عن أماكن قضاء الوقت على طول متنزه المشاة، وبدا مهتما بصورة خاصة بالطقس، وارتفاع الأمواج.

وبناء على تحقيقات الصحف الأجنبية، فإن ميسي هو كبير عملاء الموساد الذين قدموا إلى بيروت قبل العملية. وكان الستة يلتقون كل ليلة على متنزه المشاة البحري، بيد انهم ما كانوا يجتمعون معا، كما قام كل منهم باستئجار سيارة أميركية فاخرة من شركات تأجير السيارات، وواحد منهم فقط استأجر سيارة رينو.

ودع رئيس الأركان في العاشر من نيسان القوة المتوجهة إلى بيروت، والتي كانت على وشك الإبحار. بدا بن اليعيزر شديد التأثر، ولم يستطع ايهود، في تلك الاونة، أن يدرك مدى حجم المسئولية الملقاة على عاتق قائد الجيش الذي يرسل خيرة مقاتليه إلى قلب عاصمة معادية. وكان بن اليعيزر، قد تعهد قبل ليلة واحدة، أمام رئيسة الحكومة، أن يعود المقاتلون بسلام.

لم يكن الجيش الإسرائيلي قد سبق له العمل في قلب إحدى العواصم المعادية. وقد سأل رئيس الأركان قائدي القوات ايهود وأمنون شاحك. هل كل شيء على ما يرام؟؟ وكان الاثنان يقولان له: نعم، قدر الإمكان.

وقبل الصعود إلى ظهر الزورق الحربي، ألقى رئيس الأركان كلمة في الجنود، تحدث خلالها عن التكليف، والحوافز، والحذر أثناء التنفيذ واختتم كلمته بالقول: "اقتلوا هذه القذارة وعودوا إلى البيت بسلام".

نهض موكي بتسار، وقال: سيدي رئيس الأركان: هل قلت اقتلوا؟؟".

رمق بن اليعيزر رئيس شعبة الاستخبارات ايلي زعيرا –الذي كان يقف قريبا– بنظرة سريعة وقال: "نعم، اقتلوهم".

ودع رئيس الأركان القوات، وقد كان هناك إضافة إلى ايهود وأمنون شاحك، عموس يارون، وشموئيل برسيورجر وشاؤول زيف. وكان لكل قوة مهمة محددة. لقد كانت الطواقم بمثابة "طواقم الأحلام" بالنسبة للجيش الإسرائيلي. وقد اشرف على العملية كلها "منو شيكد".

قال رئيس الأركان، وهو يصافحه: "أعد لي هؤلاء المقاتلين بسلام"، فقال شيكد: أعدك بذلك".

أبحرت تسع سفن وزوارق حربية تابعة لسلاح البحرية غربان باتجاه عرض البحر، ومن هناك سيسيرون في الطريق البحري الدولي، ثم سيتجهون ليلا إلى بيروت.

كانت مهمة امنون ليفكين شاحك، تتمثل في اقتحام قيادة "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" وكان ايهود يعرفه من عمليات تخطيط وتنفيذ سابقه، بيد إنها كانت المرة الأولى التي يشتركان معا في نفس القوة المقاتلة.

كان ايهود يكن تقديرا كبيرا جدا لامنون شاحك، وهدوئه وقدرته الطبيعية على القيادة ويدرك أن المهمة التي سينفذها، لا تقل عن مهمته تعقيدا.

بينما كانت السفن الحربية الإسرائيلية تمخر عباب البحر، وقعت في نيقوسيا، عاصمة قبرص دراما، فقد هاجم مسلحون من "أيلول الأسود" طائرة

إسرائيلية تابعة لشركة (أركيع) كانت علـــى وشـــك الإقـــلاع إلـــى تـــل أبيـــب بيـــد أن حارسي الطائرة الإسرائيليين فاجـــآ المـــهاجمين وأطلقـــا عليـــهم النـــار، فقتلـــوا اثنيـــن منهم، بينما ألقـــت الشـــرطة القبرصيـــة القبـــض علـــى الثـــالث. واعتقلـــت الحارســـين الإسرائيليين للتحقيـــق.

وفي ساعات ظهر نفس اليوم، انفجرت قنبلة فـــي مـــنزل الســـفير الإســـرائيلي في قبرص (رحاميم تيمور) والذي كان في تلك الآونة في طريقـــه إلـــى المطـــار.

تساءلوا في هيئة الأركان، فيما إذا كـــانت عمليتـــا قـــبرص ســـتعرقل عمليـــة ربيع الشباب؟؟ وقال وزير الدفاع لرئيـــس الأركـــان أن جولـــدا مـــائير قلقـــة، بيـــد أن رئيس الأركان أوصى بأن تتم العملية مثلما خطط لها، وطلـــب مـــن رئيـــس الموســـاد، (ايلي زعيرا)، أن يفحـــص فـــي بـــيروت مـــا إذا كـــانت اســـتعدادات المســـلحين فـــي بيروت قد تغيرت؟؟ وقد جاء الرد من بيروت قائلا: الوضـــع هـــادئ تمامـــا.

يكره ايهود بطبيعته عمليـــات الإبحـــار الطويلـــة، وقـــد قضـــى غالبيـــة وقتـــه على السفينة وهو يتقيأ،ولم يسترد طبيعتـــه الا عندمـــا شـــارفت الســـفن علـــى الســـاحل اللبناني، فاصلح المكياج الأزرق تحـــت عينيـــه.

وقبل وصولها إلى ساحل بيوت بعـــدة كيلومـــترات افـــترقت الســـفن الخمـــس، فتوجهت زوارق الصواريخ (حوريـــب وايـــلات- وســـوفة، ومســـجافا)- التـــي تنقـــل القوة المنفذة باتجاه ساحل بيروت، وبدأت تستعد لإنـــزال الـــزوارق المطاطيـــة.

وفي حوالي منتصف الليل، توقفت ســـبع ســـيارات مـــأجورة قـــرب الســـاحل، وكيلا تثير الشبهات، توقفـــت كـــل واحـــدة علـــى بعـــد عـــدة عشـــرات الأمتـــار مـــن الأخرى، وقام سائقوها بإعطاء إشارات باتجـــاه البحـــر. كـــانت تلـــك إشـــارات متفقـــا عليها، بأن كل شيء على ما يـــرام.

لم يلاحظ عملاء الموساد خلال آخـــر جولـــة قـــاموا بـــها، باتجـــاه الـــهدفين: شقق القادة الفلسطينيين الثلاثـــة وقيـــادة الجبهـــة الشـــعبية، وجـــود أي تحركـــات غـــير عادية. بيد أن شيئا ما أثار لديهم عدم الارتيـــاح، فقـــد لاحظـــوا وجـــود حركـــة غريبـــة على الشاطئ من الحرس اللبنـــاني.

جلس ايهود بروج في الزورق المطاطي القائد، وتـــابع بعينيــه حركــة الزبــد الأبيض للأمواج. كان عدد قوة دورية هيئة الأركان عشــرة أشــخاص. تــم توزيعــهم على خمس خلايا. وقد اشرف عميرام لفين علـــى قـــوة الحمايـــة، فـــي حيــن أشــرف موكي بتسار، وأميتي نحماني، وتسبيكة، علـــى طواقـــم التصفيـــة.

كانت هناك ثلاث سيارات بانتظار طـــاقم ايــهود، وأربـــع ســـيارات بانتظـــار طاقم امنون شاحك. وقد جلس عملاء الموساد خلـــف مقـــاود الســـيارات.

جلس ايهود بجوار السائق في الســـيارة القـــائدة، وهـــي مـــن طـــراز (بويــك سكيلرك)، وجلس خلفه موكي بتسار ويونـــي ، ليونـــي رفـــائيلي وتســـبيكه. انطلقــت السيارة من موقعها بهدوء كي لاتثير الشكوك، وســـارت الســـيارتان الأخريـــان خلفــها، ليس قريبا جدا، بيد أنها حافظت على المسافة التي تتيح لكل منـــها رؤيـــة الأخـــرى.

قال عميل الموساد لقد تجولت قبل برهـــة وجـــيزة بـــالقرب مـــن الـــهدف، ولا اشعر بالارتياح، هناك حركـــة نشـــطة لســـيارات الجندرمـــة اللبنانيـــة، وهـــي مـــزودة بمدفع رشاش. هل تعلم أن هنـــاك محطـــة للجندرمـــة، علـــى بعـــد مـــائتي مـــتر مـــن الهدف؟؟ وهناك شخص يرتدي زيا عسكريا في مدخل الشارع، علـــى بعـــد مائـــة مـــتر من موقف السيارات الذي سنطلق منه إلى الشقق". عـــض ايـــهود علـــى ناجذيـــه. لقـــد تذكر اللحظات الأخـــيرة فـــي عمليـــة (ارجـــاز -٢)، عندمـــا ألغـــى رئيـــس الأركـــان العلمية في اللحظات الأخيرة خشـــية التـــورط.

تساءل موكي بتســـار الجـــالس خلفـــه عمـــا إذا كـــان ايـــهود ســـيعلم القيـــادة بالمعلومات الجديدة أم لا؟؟ وسرعان مـــا جـــاءه الـــرد، حيـــث قـــال ايـــهود: واصــل المسيرة. وتفحص باروكة الشعر النسائية فوق رأســـه. كـــان ليونـــي رفـــائيلي يضـــع هو الآخر باروكة شـــعر شـــقراء. بـــدأت الســـيارات تدخـــل. المنطقـــة المكتظـــة فـــي بـــيروت.

وعلى إحدى إشارات الطريق، توقفت سيارة ايـــهود، والـــى جوارهـــا توقفـــت سيارة فارهة، تجلس على مقودها امرأة جميلـــة، وقـــد نظـــرت باتجـــاه موكـــي بتســـار

وابتسمت فبادلها الابتسام. وفكر، لو أنها تعرف إلى أين تتجه لاختفت ابتسامتها فورا.

خفف عميل الموساد من سرعته، كي لا يثير الشبهات، وبالقرب من مفترق الطرق التالي، لاحظ وجود شرطة لبنانيين. فكر موكي بتسار في تلك الآونة في الطيارين الأسرى، وتمنى أن لا يقوم ايهود بإعلام (منو شيكد) بوجود رجال الشرطة اللبنانيين، خشية أن يتصل منو برئيس الأركان، والذي يقوم بدوره بإعلام ديان، ومن ثم جولدا مائير، التي قد تأمر بوقف العملية. وقد أشار رجل الموساد إلى الشرطة، فقال ايهود: "شاهدتهم، واصل المسيرة".

تسلقت السيارة الطريق حتى وصلت إلى شارع الفردان، ثم توقفت أمام أحد المنازل. ترجل موكي أولا: وفتح الباب لايهود بروج الذي يرتدي زي امرأة، ووضع يديه حول كتفي ايهود وضمه إلى صدره، وقال له: "الوضع يذركني برما" : كان ايهود شديد التوتر، ولاحظ انه لا وجود لرجال الشرطة اللبنانيين. وفجأة قدم رجلا شرطة لبنانيان فهمس بتسار في أذن ايهود: "نحن سياح، وسوف يعملان على إخلاء الطريق أمامنا".

أنزل بتسار يده من حول كتف ايهود وهما يتجهان مباشرة نحو رجلي الشرطة، على أهبة الاستعداد لاستلال مسدسه ومهاجمة الشرطيين. وكذلك ايهود. بيد انه لم تكن هناك أي ضرورة لذلك، فقد أخلى الشرطيان الطريق أمام العاشقين، وقد اصطدم أحدهما بكتف بتسار واعتذر.

توجه الاثنان نحو الباب الزجاجي المؤدي إلى البيت الموعود، وحاول ايهود فتحه، وتمكن من ذلك. كان موقف الحارس في مدخل العمارة فارغا. ترك بتسار ايهود، وصعد السلالم، وبعد حوالي نصف دقيقة، وصل باقي أعضاء الخلية، وصعدوا السلم خلف بتسار.

وفجأة، خرج شخص من سيارة حمراء، من طراز (دوفين) كانت تقف على الجانب الاخر من الطريق، وأخذ يقطع الشارع. ولاحظ ايهود انه فتح معطفه الجلدي، واخرج من داخله مسدسا، فاستنتج أنه الحارس.

تقدم الحارس باتجاه ايهود وعميرام لفين وعندما اصبح على بعد عشرة أمتار أشار ايهود إلى ليفين كي يستعد. ولدهشة الحارس البالغة، فتحت المرأتان الواقفتان الجاكيتات وأخرجتا رشاشين، واسندتا ظهريهما إلى أحد الأعمدة، وفتحتا النار. أطلق الحارس عيارين، ثم تراجع ركضا إلى السيارة بينما المرأتان تطلقان صليات نارية باتجاهه. احتمى الحارس الجريح خلف (مصطبة) حجرية على الجانب الآخر من الطريق وقد أصابت إحدى العيارات صافرة السيارة الحمراء، وتسببت في حدوث (تماس) جعل السيارة تطلق صفيرها حتى انتهت العملية.

كانت الساعة الواحدة وتسعا وعشرين دقيقة، وقد ألغى صوت العيارات النارية المفاجئة، مما جعل الجنود يغيرون صعودهم الحذر إلى ركض سريع.

لاحظ ايهود بطرف عينيه أن الأضواء اضيئت في شقتين في العمارة: الطابق الثاني، والرابع، وفي الطابق السادس من عمارة أخرى. مما يعني أن تشخيص الهدف كان صحيحا، بيد أن عامل المفاجأة انتهى.

حدث كل شيء بعد ذلك بسرعة. فقد تسلق بتسار وطاقمه الدرج بسرعة إلى الطابق السادس، في حين اتجه طاقما نحماني وتسبيكة باتجاه الشقتين المخصصتين لهما.

احتل ايهود إحدى الزوايا المشرفة على شقق القادة الثلاثة، في حين بقي ليفكين ودوف بار ضابط التنسيق للكوماندو البحري في وضع المراقبة في الشارع.

قفز بتسار كل ثلاث درجات معا، مع التأكد بأن تسبيكة وليوني ويونه يتبعونه. وصل الثلاثة إلى باب شقة أبو يوسف، فنقر بتسار على جهاز الإرسال ثلاث نقرات، وبعد ثوان سمع خمس نقرات من ايهود دلالة على أن بالإمكان اقتحام الشقة. فجر المهاجمون الباب بالمتفجرات، وكانت المعلومات التي بحوزتهم تفيد بأن أبو يوسف سيكون في غرفة الضيوف في الجناح الأيسر للشقة، بيد أن الانفجار جعل أبو يوسف يقفز من مكانه ويتجه نحو الباب بالبيجاما، وحالما شاهد المقتحمين أدرك ما يدور.

أطلق يونه النار عليه من مسافة قريبة، وقبل أن يصاب، حاول فتح درج المكتب وإخراج المسدس، كما سارعت زوجته نحو يونه في محاولة لحماية زوجها، بيد إنها أصيبت بالعيارات، وقد صرخ أبو يوسف بشيء ما قبل أن يسقط أرضا. جمع تسبيكة وليوني مئات الوثائق المختومة بخاتم حركة فتح، ووضعاها في صندوق، واتجها نحو الدرج بسرعة.

سمع قائد الجندرمة في المركز الواقع على بعد مائتي متر صوت العيارات النارية وصفير السيارة، فأرسل ستة رجال شرطة في سيارة لاندروفر، كي يعاينوا ما يحدث.

بعد عدة ثوان من إطلاق النار على الحارس في الشارع ظهر اللاندروفر في الشارع، ففتح ايهود وعميرام لفين ودوف بار والدكتور شموئيل كيتس الذي شارك في العملية، عليه النار، مما جعل اللاندروفر ينحرف عن مساره، ويصطدم بالسيارات في الشارع. فتح قسم من رجال الشرطة النار، في حين أصيب بعضهم، واحتمى البقية من النار.

وفي نفس الوقت، بدأ الطاقمان الآخران عملهما. فتسلق طاقم نحماني إلى الطابق الثاني. حيث منزل كمال عدوان. وحطما باب المنزل بالركلات، واقتحما المنزل. واكتشف نحماني كمال عدوان، الذي حاول الاختباء خلف إحدى الستائر، وأطلق النار باتجاه المقتحمين من بندقية رشاشة كانت معه، مما أدى إلى إصابة أحد الجنود إصابات خفيفة، في حين أصيب عدوان وسقط قتيلا. وفي الغرفة المجاورة اكتشف الجنود زوجته وابنه، بيد أنهم لم يؤذوهما، وجمعوا بسرعة الوثائق الموجودة وغادروا المكان، على عجل. جلس كمال ناصر خلف مكتبه في شقته الواقعة في الطابق الرابع في نفس المبنى، وأكمل الكلمة التي كان يعتزم إلقاءها أمام كبار ضباط حركة فتح غدا.

وقد شاهده تسبيكة، حينما تم اقتحام المنزل، وأطلق النار عليه عن قرب، وقد حاول كمال الوصول إلى المسدس الذي كان قريبا منه، بيد أن تسبيكة غير مخزن بندقيته، وأطلق عليه صلية أخرى.

حدثت ضجة في مفترق الطـــرق القريـب مــن شـقق القــادة الثلاثــة، فقـد وصلت سيارة لاندروفر أخرى تابعة للشرطة اللبنانيـــة إلـــى المكـــان، وجابهـــها بــروج ومن معه -بعد أن انضم إليه موكي بتســـار بقوتـــه- بنـــيران حاميـــة، وقــد اصطـــدم اللاندروفر الثاني باللاندروفر الأول، وتوقفت النيران التي كـــانت تنطلـــق منـــه.

نزلت خليتا كمال عدوان وكمال نـــاصر إلـــى الشـــارع، وكـــان أحـــد الجنـــود مصابا بجراح خفيفة فقام الدكتور كيتـــس بربـــط الجـــرح بســـرعة وقـــد حـــث ايـــهود الطواقم على الدخول إلى السيارات التـــي أخـــذت تتجـــه إلـــى الشـــارع بســـرعة. وقـــد أفادت آخر هذه السيارات، أن هناك سيارة لاندروفـــر ثالثـــة تتجـــه إلـــى المنطقـــة مـــن الجهة الخلفيـــة.

تخيـــل ايـــهود مطـــاردة اللاندروفـــر للســـيارات حتـــى ســـــاحل البحـــــر، واضطراره، هو والجنود، لمغادرة الســـيارات ومغـــادرة المكـــان تحـــت النـــيران، بيـــد انه سرعان ما قرر الانتظار بعض الوقت والتخلـــص مـــن المشـــكلة بصـــورة جذريـــة، وخرج من السيارة هو و موكي بتسار وجنديـــان آخـــران، واســـتتروا خلـــف الأعمـــدة الرخامية، وفتحوا النار على "اللاندروفر"، توقفـــت ســـيارة اللاندروفـــر فســـارع بتســـار لالقاء قنبلة داخلها، ثم صعد الجميع إلى السيارة التـــي انطلقـــت بـــهم.

أمر ايهود بالقاء مسامير خاصـــة كـــانت قـــد أعـــدت مســـبقا علـــى طريـــق المطاردة المحتمل في شارع (ابـــن القليـــب). وفـــي غضـــون خمـــس دقـــائق وصلـــت السيارة إلى (متنزة المشاة) على الساحل، فلاحظ ايـــهود أن هنـــاك ســـيارتي لاندروفـــر تقومان بأعمـــال الدوريـــة والحراســـة، فـــأمر الســـائق بتخفيـــف الســـرعة، وواصلـــت سيارتهم مسيرها باتجاه نقطة المغـــــادرة.

وعندما أصبحـــوا علـــى الســـاحل تمامـــا، اتصـــل ايـــهود بغرفـــة العمليـــات المتقدمة، وأعلمها بنجاح العمليـــة وبمقتـــل القـــادة الثلاثـــة، وزوجـــة أحدهـــم، وســـبعة جنود لبنانيين، وحارس خاص، وامـــرأة أخـــرى.

تلقى منو شـــيكد تقريـــر ايـــهود، وتنفـــس الصعـــداء، بيـــد أن تنفســـه كـــان للحظات معدودة، لان معركة كانت تدور فـــي تلـــك الآونـــة فـــي مدخـــل مبنـــى قيـــادة

الجبهة الشعبية. فقد قاد أمنون شاحك القوة إلى قيادة الجبهة، وكان قد تم التخطيط لاقتحامها في الساعة الواحدة وأربع وثلاثين دقيقة أي بعد أربع دقائق من اقتحام منازل القادة الثلاثة.

قاد امنون شاحك القوة سيرا على الأقدام وببرود أعصاب باتجاه مبنى القيادة، وقد تقدم خلفه حاجي معيان، وأبيدع شور- وهما جنديان من دورية المظليين- وكانا يرتديان بنطالي (جينز) وقميصين مليونين، وفي أيديهما مسدسات كاتمة للصوت. وسار خلفهم ايجال برسلر-قائد إحدى الفصائل في المظلات- والذي أصبح فيما بعد مستشارا لشئون الإرهاب لرئيس الحكومة اسحق رابين.

وبالقرب من المبنى، اصطدم ابيدع وحاجاي بمسلحين وأطلقا عليهما النار عن قرب، وقد قتل أولهما فورا، في حين أصيب الآخر، وأخذ يستغيث طلبا للمساعدة، ففتحت النيران من كل اتجاه على المجموعة. مما أدى إلى إصابة ايجال برسلر مباشرة إصابة خطيرة، وقتل ابيدع واصيب حاجاي معيان إصابة خطيرة، توفي على أثرها فيما بعد.

أمر ليفكين شاحك قوة التخريب باقتحام المبنى فقام مناحم زوتورسكي - قائد وحدة التخريب اللوائية- ونائبه اهارون سبج باقتحام المبنى وهما يطلقان النار. قام سبج بإخلاء حاجاي معيان المصاب بإصابة خطيرة، وعاد إلى غرفة الدرج التي تواصل فيها القتال.

دعا مناحم زوتورسكي بجهاز الإرسال إلى إدخال متفجرات إلى المبنى، فقام جنود وحدة الهندسة بوضع المتفجرات على أعمدة البيت، وبعد عدة ثوان هز بيروت انفجار عنيف، وانهارت قيادة الجبهة، وقتل عشرات المسلحين الذين كانوا داخلها، في حين بدأ الجنود بالانسحاب باتجاه الشاطئ. عادت قوة ايهود في البحر إلى ارتداء الملابس العسكرية. وحينما نزل ايهود بروج وأمنون ليفكين من الزورق الحربي في إسرائيل، التقطت لهما صور وهما مقطبا الجبين.

واصل ايهود سفره من ميناء حيفا حيث رسا زورق الصواريخ في طبريا، ودخل إلى شقته في ساعات الفجر الأول، ونام فورا إلى جوار زوجته.

وعندما استيقظت (نافا) وجدت إلى جوار السرير حقيبة صغيرة وفيها ملابس مثيرة للفضول، وعندما فتحتها وجدت فيها الملابس النسائية التي كان ايهود يرتديها. وعندما استيقظ ايهود، كان عليه أن يقدم تفسيرا، بيد إنها وقبل أن تسأله لاحظت المكياج على وجهه وتحت عينيه. فتساءلت بدهشة عن ذلك قام ايهود برواية ما حدث في بيروت لـ(نافا) من البداية حتى النهاية.

وبعد مرور خمس وعشرين سنة من تنفيذ عملية ربيع الشباب، لا زال ايهود يرى فيها انجح عملية كوماندو تقوم دورية هيئة الأركان بتنفيذها. لقد فصلت العملية بصورة مناسبة جدا للدورية، ووفقا للنموذج الذي بلوره ابراهام آرنان قبل خمس عشرة سنة. لقد كان هناك عملية دمج ناجحة في (ربيع الشباب) بين الاستخبارات المتميزة، والتخطيط الصحيح والذكي، والعمل المشترك بين الأذرع العسكرية: دورية هيئة الأركان، والمظليون، والكوماندو البحري.

وبعد عدة أيام من العملية نشرت جريدة السفير اللبناني نبأ مفاده، أن من بين المهاجمين كانت هناك امرأة شقراء فابتسم أيهود وفكر فيمن تقصد الصحيفة؟؟ هو ايهود أم ليفكين شاحك أم ليوني رفائيلي؟؟

الفصل العاشر

من جامعة ستانفورد الأميركية إلى سيناء

كانت عملية ربيع الشباب آخر العمليات الكبيرة التي نفذها ايهود في إطار عمله كقائد لدورية هيئة الأركان، أي أنه وفي أقل من سنة أشرف على العمليات العسكرية الثلاث التي تعتبر أبرز ما نفذته الدورية في تاريخها: عملية تحرير الرهائن من طائرة سابينا، وعملية اختطاف الضباط السوريين، وعملية ربيع الشباب، التي تعتبر درة التاج بين عمليات هيئة الأركان. ولا شك أن أيا من الذين سبقوه لم يصل إلى مستواه التنفيذي.

لقد آن الأوان للسير قدما في الترقي العسكري خصوصا وأن السنتين اللتين خصيصا له في قيادة الدورية انتهتا، ولم تبق سوى مشكلة واحدة هي مشكلة الوريث.

كان هناك ثلاثة ضباط يعتبرون أنفسهم أحق بالوراثة من الآخرين،وهم: يوني نتنياهو وجبورا زوريع، وداني يتوم –الذي لم يكن آنذاك في الدورية. كانت الخيارات الثلاثة متميزة لكن ايهود لم يخف رغبته في نقل عصا القيادة ليوني. إلا انه ولهذا السبب، اقترح عليه الانتظار قليلا، فقد أمن ايهود أن الدورية كإطار معلق، تضع أمام القادة تحديات خاصة، بيد أنها لا تكسبهم تجربة قيادية على صعيد الأطر العسكرية العادية.

أوضح ايهود ليوني ، خلال الحوار الخاص بينهما، أن مسار القيادة للوحدة، يجب أن يمر بالمدرعات، "تحول إلى المدرعات، وتعلم كيف تقود الدبابات، وتعرف على أذرع الجيش الأخرى، وليس فقط المظليين والدورية، وبعد ذلك ستترأس الدورية". أي تماما على غرار المسار الذي اجتازه هو قبل خمس سنوات.

وافق يوني ، وإضافة إلى رغبته في الانخراط في سلك المدرعات فقد كان يرغب في إكمال دراسته، في جامعة هارفارد، بالولايات المتحدة. وبعد أن تلقى وعدا بان يتم ترشيحه لرئاسة الدورية، بعد سنتين، أخلى يوني مكانه لجيورا زوريع.

كان داني يتوم في تلك الآونة- أيار ١٩٧٣- نائب قائد كتيبة دبابات في سيناء، وقد تلقى اتصالا هاتفيا من العقيد دوف تماري -رئيس شعبة جمع المعلومات، في شعبة الاستخبارات العسكرية- يسأله فيما إذا كان معنيا بالعودة إلى دورية هيئة الأركان والتنافس على منصب القائد؟؟ فرد بالنفي، لقد كان معنيا في هذه المرحلة بمواصلة مسيرته في الدبابات.

وفي الأول من حزيران ١٩٧٣ ترك ايهود الدورية، أي بعد حوالي شهر ونصف الشهر من عملية ربيع الشباب. وفي نهاية حفل الوداع، منحه رئيس الأركان بن اليعيزر الوسام الخامس لعمله في الدورية.

وفي نفس هذا الحفل، الذي كان اكبر حفل في تاريخ الدورية- تم بث الفيلم "مهمة مستحيلة" والذي تم إعداده على وتيرة المسلسل التلفزيوني المعروف في تلك الآونة، والذي اصبح أحد الرموز الميثولوجية للدورية.

ومن الجدير بالذكر، أن الفيلم المذكور اعد عام ١٩٧٢، فقد أعدت الدورية حفلا خاصا، وقام ابراهام ارنان بمفاجأة الحاضرين بالفيلم الذي بادر هو إلى طرح فكرته. وقد لعب دور البطولة فيه ابراهام ارنان، دوف تماري، عوزي يائيري، مناحم ديجلي وايهود -أي جميع قادة الدورية باستثناء يوسف قسطل.

وفي بداية الفيلم، يتسلم ابراهام ارنان مظروفا مختوما، يحتوي على أمر بتنفيذ عملية سرية داخل الحدود المصرية. ويأتي صوت رئيس الحكومة على خلفية البث قائلا: "إذا ما نجحت سنسعد بسعادة النصر، وإذا فشلت فسنتنصل من جميع المسئوليات".

ويقوم ارنان الذي يرتدي ملابس رئيس المافيا المأخوذ من فيلم "دون كورلياونه"، بعقد اجتماع عاجل لطاقمه الاستشاري للمهمات الخاصة. وحول الطاولة يجلس كبار رجال المافيا، مناحم ديجلي، عوزي يائيري، دوف تماري، وايهود بروج، وهم يرتدون حللا حديثة، وفي يد كل منهم سيجار.

يقوم (الدون) ابراهام بعرض المهمة أمامهم: اختطاف اربع راقصات مصريات وإحضارهن إلى البلاد كي يلعبن دور نجوم الحفلة. ويتم تكليف أربعة

أشخاص بالتنفيذ، هم : ابشه ادموفيتـــش وجبيلـــي الصغـــير، وكوبـــي يتســـيف وايلـــي جيل. ويتم تنفيذ العملية بنجـــاح.

قبل تركه للدورية، اجتمع ايهود مع رئيس الأركـــان بـــن اليعـــيزر الـــذي لـــم يخف محبته للضابط الشاب، وعرض عليـــه مســـار تـــرق ســـريع: دورة (مـــارينز) – مشاة البحرية الأميركية– في الولايات المتحدة، ووظيفـــة رفيعـــة بعـــد إنـــهاء الـــدورة. ومن الجدير بالذكر، أن دورة (المارينز) تعتـــبر فـــي الجيـــش الإســـرائيلي دورة رفيعـــة للغاية، ولا يتم إرسال الضبـــاط إليـــها الا إذا كـــانوا ضباطـــا فـــي الوحـــدات الميدانيـــة وبعد أن يكون قادة الجيش قد اعتبروهم زخما مســـتقبليا للقيـــادة الميدانيـــة. وقـــد ســـبقه إلى هذه الدورة : رفـــائيل ايتـــان، وابراهـــام ارنـــان، ومنـــو شـــيكد، ودوف تمـــاري، وعوزي يائيري، وعاموس يـــرون.

–بن اليعيزر: ما الذي تريد عمله حينما تعود مـــن الـــدورة؟؟

–ايهود : قائد لواء دبابات، لقد عملت كقـــائد لســـرية دبابـــات، وقـــائدا لكتيبـــة مشـــاة، والتواصل الطبيعي –حسب رأيي– هو قائد لـــواء دبابـــات.

–بن اليعيزر: لدي عدد كبير جدا من المرشـــحين لقيـــادة اللـــواء الرابـــع عشـــر أو لأي لواء نظامي آخر، بيد انه لا يوجد لـــدي مرشـــح جيـــد لمنصـــب رئيـــس شـــعبة جمـــع المعلومات في شعبة الاســـتخبارات العســـكرية. ولا اعتقـــد أن هنـــاك مـــن يمكـــن أن يقوم بذلك افضل منك، لقد عمل ابراهام ارنان في هـــذه الوظيفـــة أيضـــا، وقـــام بعمـــل جيد.

–ايهود : إذا كان الأمر على هذا النحو، فـــإنني أتنـــازل عـــن دورة المـــارينز، وأفضـــل أن اذهب إلى جامعة ستانفورد في كاليفورنيـــا لإتمـــام رســـالة الماجســـتير فـــي تحليـــل النظم.

بدا بن اليعيزر مندهشـــا، وقـــال: أنـــت تعـــرف أن الجيـــش لا يوافـــق علـــى إكمال الدراسة في جامعات مدنيـــة.

–ايهود: أرجو أن تسمحوا لي لقـــد آن الأوان لذلـــك.

–بن اليعيزر: دعني أرى ماذا يمكننـــا عملـــه.

انتهز ايهود فرصة دراسة بن اليعيزر لطلبه وقام بجولات في الوحدات العسكرية المختلفة لوداع الضباط والجنود الذين يعرفهم وقد التقى بلواءين هما إسرائيل طل، وايلي زعيرا اللذين أكدا له، أن لديهم وعودا بأن يصبح رئيس الأركان القادم، وألمحا له بأن لقاءه القادم بعد عودته، هو في مكتب رئيس الأركان. ولدهشته البالغة، حينما وصل إلى الولايات المتحدة واجتمع بالملحق العسكري اللواء موتي جور سمع منه نفس الأقوال. وقد سجل ايهود لنفسه ملاحظة حول أسلوب التهرب المتبع في الجيش، والذي سيواجهه قريبا.

أثار مطلب ايهود إكمال رسالة الماجستير عدم ارتياح في هيئة الأركان، فقد كان من المتبع حتى ذلك الحين، اختيار ضباط معينين وإرسالهم في دورات مارينز متقدمة. ولم يكن من المألوف خروج ضباط لإكمال رسالة الماجستير.

ناقشت شعبة الطاقة البشرية في هيئة الأركان الطلب، وقررت رفضه. شعر ايهود بالإهانة، وأعلن اعتزامه أخذ إجازة دون راتب من الجيش -وألا يلتزم بالعودة بيد أن بن اليعيزر لم يكن على استعداد لسماع ذلك، وخشي من أن يستجيب ايهود لعالم رجال الأعمال ويفقده الجيش. وفي نهاية المطاف، وافق الجيش على إكماله لدراسته.

وصل ايهود إلى جامعة ستانفورد باسمه الجديد "ايهود براك" لقد كان حتى تلك اللحظات ايهود بروج، وقرر أن يحول اسم العائلة إلى اسم عبري.

وصلت عائلة براك إلى ستانفورد في آب ١٩٧٣- ايهود و(نافا) وابنتهما ميخل- وكان ايهود مصرا على إنهاء دراسته في اقل من سنتين والعودة إلى الجيش. وهكذا، بعد سنوات طويلة من التخطيط العسكري، والعمليات أخذت عائلة براك تتأقلم مع وضع مختلف تماما وتتمتع بكل دقيقة من الحرية والارتياح النفسي.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ -أي قبل مضي أقل من شهرين على وصول العائلة إلى ستانفورد- اجتاحت القوات المصرية قناة السويس، واجتاز الجيش السوري الحدود، وفاجأ إسرائيل في حرب تشرين.

سمع ايهود عن بدء معارك حرب عـــام ١٩٧٣ لأول مـــرة مـــن التليفزيـــون، فسارع بالاتصال باللواء موطي جور –الملحق العسكري فـــي الســـفارة فـــي واشـــنطن.

–ايهود : ما هي الأخبـــار؟؟

–موطيه: يخيل إلي أننا لا نخسر حربـــا كبـــيرة.

–ايهود: ماذا تعني بنحن. إننا في واشنطن لواء في وظيفـــة رســـمية، وأنـــا مقـــدم، ولا اعتزم إضاعة الحرب الجارية فـــي إســـرائيل.

–موطيه: ربما من الأجدى أن تصبر يومـــا أو يوميـــن.

–ايهود: ولا حتى لحظة واحـــدة.

–موطيه: هناك مشـــــكلة فـــي الطـــيران إلـــى إســـــرائيل فـــالجميع يريـــــدون العودة إلى إســـرائيل.

–ايهود: أنت ملزم بتدبير مقعد لي على أول طـــائرة إلـــى البـــلاد.

–موطيه: يجب أن تعرف أن هناك ازدحاما كبيرا فـــي مطـــار كنـــدي.

–ايـــهود: ســـــأودع (نافـــا)، وأقلـــع فـــي أول رحلـــة جويـــــة مـــــن ســـــــان فرانســـيســـكو إلى نيويـــورك.

لم تكن هناك معلومـــات كثـــيرة متوفـــرة، وكـــل مـــا كـــان يعرفـــه، هـــو أن الجيشين المصري والسوري فاجـــا الجيـــش الإســـرائيلي، وأن معـــارك طاحنـــة تـــدور في سيناء وهضبة الجـــولان.

وبعد رحلـــة طويلـــة، وصـــل إلـــى مطـــار (كنـــدي) وهنـــاك وجـــد مئـــات الإسرائيليين يناضلون من اجل الحصول على مقعد فـــي طـــائرة العـــال المتجهـــة إلـــى إسرائيل، ولدهشته البالغة بـــرز اسـمه بيـــن أســـــماء المســــــافرين. لقـــد أوفـــى موطيه جور بوعـــده.

وفي نفس اليوم، وصل إلـــى إســـرائيل فـــي رحلـــة مـــن الولايـــات المتحـــدة، ضابط اخر من دورية هيئة الأركان، النقيب بنيامين نتنيـــاهو، لقـــد علـــق هـــو الاخـــر دراسته وعاد إلى إســـرائيل.

وجد ايهود في مطار اللد عوزي ديان بانتظـــاره، وقــد اتجــه الاثنـــان فــورا إلى هيئة الأركـــان.

لقد سبق له أن زار مقر هيئة الأركان عشرات المــرات، بيــد انــه لــم يســبق له أن شاهد مثل هذا الوضع. بدت الوجوه شــاحبة متعبــة حــد الإرهــاق، وذقــون لــم تحلق، وشعور بالارتباك والقلق في العيون، حتى رئيس الأركـــان بــدا منــهكا. ورغــم ذلك، كان اكثر الضباط الموجودين إصرارا على أن الدنيـــا لــم تنتــه، وأننــا ســنتغلب على الأزمــة.

وعندما رأى اللواء اهـــارون يـــاريف رئيــس شــعبة الاســتخبارات الســابق، عانقه، وقال له: الوضع صعب، صعب، انه لم يكن فـــي أي مـــرة ســابقة بمثــل هــذه الصعوبــة.

كانت هيئة الأركان قد تلقت قبل برهة وجـــيزة، أنبــاء حــول فشــل الــهجوم المضاد الذي شنه اللواء (بيرن)، وأن عشـــرات المدرعـــات التابعـــة لـــه، بقيــت فــي ساحة المعركة والنـــيران تأكلــها. ولأول مــرة، تــدرك هيئـــة الأركـــان، أن الامـــر لا يتعلق بضربة عسكرية عـــابرة.

توجه ايهود إلى رئيس الأركان، وقال: "ما هـــو أهــم مكـــان تريدنـــي فيـــه؟؟" فقال بن اليعيزر: في كل مكـــان، بيــد أننـــي اعتقــد أن أهــم مكــان الان هــو دعــم المدرعات، اذهب إلى اللواء مردخـــاي تســـيبوري، فـــهو يعمــل علـــى تشــكيل كتيبــة جديدة من مخازن، الطوارئ، ترأس الكتيبة، واخـــتر طـــاقمك مـــن الذيـــن جـــاءوا مـــن الخارج، وتوجه إلى سيناء، فالوضع هناك فظيـــع". وفـــي نفـــس الليلـــة، التقـــى ايـــهود باللواء تسيبوري، وحصل منه على التوجيـــهات الأوليـــة.

أجرى ايهود الكثير من الحوارات مع الضبـــاط فـــي هيئـــة الأركـــان، والذيـــن اتفقوا على انه في أعقاب تدمير قوة (بيرن)، فإن القـــوة التـــي تفصـــل بيـــن المصرييـــن وتل أبيب، هي قوة اللواء ارئيـــل شـــارون.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء – وبعد ثلاثـــة ليـــال متواصلـــة مـــن عـــدم النـــوم، وصل المقدم ايهود براك إلى (جولس)، وهناك شـــاهد مئـــات الجنـــود يجلســـون علـــى

الحشائش أمام قيادة قوات المدرعات، وجميعهم من المتطوعين الذين علقوا تعليمهم في الخارج وأعمالهم، ونزهاتهم، وقدموا لخوض الحرب.

وفي صبيحة اليوم التالي اجتمع مرة أخرى بتسيبوري والذي بدا رغم حالة الإرهاق الشديدة، واثقا من نفسه، وقال لايهود : الوضع سيء للغاية، ويتفاقم، أن الضربة التي لقحت (ببيرن) قد تؤدي لاهارتنا، وبمقدور المصريين الاندفاع شرقا، ولا توجد لدينا قوة لصدهم".

اعد تسيبوري بسرعة، كتيبة دبابات من مخازن الطوارئ: فصيلتان من دبابات (الباتون) التي يعرفها ايهود منذ تدريبه السابق على المدرعات. وفصيل دبابات (سنتوريون) التي لم يسبق له أن تعرف عليها، وفصيل من سلاح المشاة المدرع. وقال لايهود: الدبابة هي الدبابة، توجه مع ما هو متوفر، المهم أن تتجه بسرعة.

أدرك منذ اللحظات الأولى، أن الجنود يرغبون في التوجه بسرعة إلى الجبهة، فالمعلومات التي كانت تصل من الجبهة جعلتهم تواقين للتوجه إلى هناك، على جناح السرعة. ومن بين الضباط الذين كانوا يرغبون في ذلك، كان هناك ضابط شاب نال إعجاب ايهود منذ اللحظات الأولى، ويدعى موشيه (عبري) سوكنيك. ورغم أن الاثنين لم يلتقيا من قبل، الا أن صداقة وطيدة نشأت بينهما، وبقيت زمنا طويلا.

وفي أعقاب لقائه مع الضباط، توجه ايهود إلى وحدة مخازن الطوارئ لأخذ دباباته، وهناك شعر أن الدنيا أصبحت سوداء من شدة الغضب. فقد كان قسم من الدبابات (عاريا) تماما، دون مدافع رشاشة في البرج، وقسم منها دون تلسكوب أو أجهزة تنسيق نيراني. وقبل أن يشرع في الشتم فهم انه لا خيار آخر أمامه، وعليه أن يأخذ الدبابات ويتجه إلى سيناء، وهناك عليه تدبير أموره.

توجه ايهود إلى قيادة اللواء للحصول على أمر مهمة، وقابل قائد القطاع الجنوبي شموئيل جونان (جوروديش)، والذي بدا وكأن العالم كله تداعى فوق

رأسه. وكان الفريق السابق حاييم بارليف، قد عين قبل يوم واحد قائدا للجبهة الجنوبية.

ضغط (جورديش) على ايهود، كي يترك كتيبة الدبابات التي لا زالت في طور التكوين، وان يتوجه بكتيبة دبابات (تي-٣٤) روسية سبق أن غنمتها إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧، والاتجاه نحو البحيرات المرة، تحت غطاء دبابات مصرية لتدمير الدبابات المصرية بالقرب من قناة السويس.

وكي يدرس ايهود محور العمليات، طلب تزويده بصورة جوية، بيد أن شعبة الاستخبارات أفادت، بأنه لن يتوفر مثل هذه الصور، الا بعد عدة ساعات.

وبعد أن درس ايهود العملية، مع نائب قائد الكتيبة، آفي رومانو، أدرك انه بحاجة لأربع وعشرين ساعة، لطلي الدبابات وإجراء بعض المناورات، لذا عاد إلى جورديش. وقال له: يجب الانتظار حتى تصل الصور الجوية، وهو الامر الذي لم يرق لجورودويش. وقد سمع بارليف المحادثة بين الاثنين، فسأل جورديش عما يقوله ايهود، وحينما أعلمه، قال بارليف: ايهود محق، ومن المحتمل أن نكون بهذه العملية، كمن يضرب رأسه في الجدار. وهكذا تراجع جورديش عن العملية، وعاد ايهود إلى كتيبته الأصلية.

عملت الكتيبة في البداية، ككتيبة احتياطية، في منطقة (رفيديم)، وكانت القيادة تدفع بها إلى الأماكن المختلفة وفقا للتقارير الاستخبارية، والتي لم تكن في أغلبيتها ذات أساس من الصحة. فقد وصلت معلومات إلى قيادة القطاع الجنوبي، حول اعتزام المصريين إنزال فرقة مظليين في (رفيديم)، وشائعات حول مخطط مصري لمهاجمة المواقع المتقدمة للقيادة الجنوبية.

مارس ايهود ضغوطا من أجل تسلم مهام حقيقية، بيد أن بارليف، الذي أعاد التوازن للجبهة الجنوبية، هدأ من روعه قائلا: "أعدك أن تقاتل في هذه الحرب، بيد أننا بحاجة إلى كل دبابة وكل جندي وكل قائد. يجب أن نعمل أولا، على تهدئة الجبهة، كي نتمكن من التفكير والعمل بعقل".

في الخامس عشر من تشرين الأول، اجتـــاز المظليـــون بقيـــادة العقيـــد دانـــي ماط قناة السويس. وفي الوقت الذي كانت كتيبـــة ايـــهود تتخـــذ الاســـتعدادات اللازمـــة لاجتياز القناة، تمكن المصريون من قطع محور (طيرطور) المـــؤدي إلـــى القنـــاة.

وفي الســـابع عشـــر مـــن تشـــرين الأول، أرســـلت كتيبـــة المظلييـــن (٨٩٠) بقيادة المقدم اسحق مردخاي لفتح المحور المغلق. ولم تكـــن لـــدى قـــائد الكتيبـــة الـــذي نشر قواته واندفع شمالا أي فكـــرة بأنـــه يتجـــه إلـــى حضـــن موقـــع فرقـــة مصريـــة متخندقة بصورة جيدة، ويوجـــد معـــها لـــواء دبابـــات، وبطاريـــات مدفعيـــة وكتـــائب كوماندو مجهزة بصواريخ ســـاجر.

ولم تقم أي جهة في قيادة الجنـــوب، بـــإعلام قـــائد اللـــواء المتحـــرك باتجـــاه خنادق العدو، أن هذا الموقع قصف في صبـــاح نفـــس اليـــوم لـــواء مظلييـــن احتيـــاط، وكتيبة دبابـــات.

أتاح المصريون الفرصة للواء الإسرائيلي للاقـــتراب حتـــى غـــدا علـــى بعـــد عشرات الأمتار من هذا الموقع المعروف باسم المزرعة الصينيـــة. ثـــم فتحـــوا عليـــهم نيران الجحيم، وقد قاتل لواء المظلات بكل ما أوتي من قـــوة، بيـــد أن القـــادة والجنـــود تساقطوا بغـــزارة.

أعلم اسحق مردخاي بصوته الهادئ، القيـــادة، عـــن المعركـــة الشرســـة التـــي يخوضها ضد قوات كبيرة والإعداد الكبيرة التي سقطت مـــن قواتـــه. ورغـــم أن القـــائد حاول السيطرة على أعصابه الا أن الوضع كان ســـيئا للغايـــة، فقـــد كـــان المصريـــون يهددون في كل لحظة بالهجوم وإغراق المظلييـــن المنـــهكين بـــالنيران.

في حوالي الساعة الرابعة صباحا أيقظوا ايهود مـــن قيـــادة الفرقـــة، وأعلمـــوه بان المظليين يواجهون مشكلة، وأن على كتيبته أن تتجـــه إلـــى المنطقـــة.

وبعد إعداد سريع، انطلقـــت الكتيبـــة باتجـــاه الموقـــع، وبعـــد حوالـــي ثلاثـــة أرباع الساعة، حدث أول اتصال بين ايهود وعـــوزي يـــائيري قـــائد لـــواء المظـــلات، وقد طلب يائيري النجدة، وقال أن كتيبتـــه فـــي أزمـــة حقيقيـــة. وان أضـــرارا جســـيمة

لحقت بالجنود، وطلب أن يرسلوا إليـــه، فـــي أســـرع وقـــت ممكـــن، تعزيـــزات مـــن المدرعـــات.

-ايهود: من القائد هنـــاك.

-يائيري: اسحق مردخاي، ولديه إصابـــات جســـيمة.

-ايهود: قل له أن يصمد، أنا في الطريق إليكـــم، عندمـــا نقـــترب أعطونـــا إشـــــارة كي نتعـــارف.

اتصل عوزي يائيري بمردخاي وقال لـــه: ايـــهود فـــي الطريـــق إلينـــا، انـــه الرجل المناسب في مثل هذا الوقـــت.

قاد ايهود الكتيبة، وتقدم على رأسها، والـــى جـــواره المقـــدم يشـــاي يزهـــر – ضابط مظليين سابق، والذي أصر على الانضمـــام إلـــى الكتيبـــة عندمـــا ســـمع بأنـــها تسعى لإنقاذ المظليين. وفي ســـاعات الفجـــر الأولـــى اقـــترب ايـــهود بمدرعاتـــه مـــن نقطة الإشارة، بيد أن الضباب كان كثيفـــا، ولـــم يكـــن بالإمكـــان تحديـــد مكـــان لـــواء المظـــلات.

تمكن ايهود من الاتصال بمردخـــاي، وقـــال لـــه: أطلـــق قنبلـــة دخـــان كـــي أستطيع تحديد مكانكم، فاســـتجاب مردخـــاي، رغـــم الصعوبـــات التـــي كـــانت قائمـــة، ورغم إدراكه انه يكشف نفسه بذلك ويعرض لـــواءه لـــهجمات المصرييـــن.

شاهد ايهود الدخان الأحمر المتصـــاعد مـــن القنبلـــة، فقـــال لمردخـــاي:' لقـــد عرفت مكانكم، انتم على بعد كيلو متر منا، ســـأهاجم'، واندفـــع بدباباتـــه البـــاتون إلـــى الأمام، والى جانبه فصيل (سوكنيك) وحينما وصلوا إلـــى التلـــة التـــي كـــان المظليـــون يحتمون بها، شاهدهم أمامه، وغالبيتهم جرحـــى، ويـــتراجعون إلـــى الخلـــف، تجـــاوزهم ايهود، وقال لمسئولي فصائل كتيبته، عندما أعطي الامر، افتحـــوا النـــار. وعـــن بعـــد، شاهد مجموعة قيادة الكتيبة (٨٩٠) منغمسة في الرمـــال، وشـــاهد عشـــرات المظلييـــن منبطحين على الرمـــال.

فاجأ ظهور الدبابـــات، المصرييـــن لثـــوان بيـــد انـــهم ســـرعان مـــا تمـــالكوا أنفسهم، وردوا بهجوم بصواريخ ساجر مـــن الجنـــاح، وقنـــابل الدبابـــات مـــن الأمـــام،

مما أدى إلى إصابة الدبابات الأولى في كتيبة ايهود، وإضرام النيران فيها، وانضمت إلى القصف دبابات مصرية، كانت متخندقة أمامها.

واصلت الدبابات الإسرائيلية التي لم تصب هجومها، وشاهد ايهود مجموعة من الجنود المصريين وهي تصوب قذائف (الآر بي جي) إلى دبابته. فصرخ بقائد دبابته: ادهسهم، ادهسهم. هذا في الوقت الذي اعلمه قائد الفصيل الثاني أن اربع دبابات من دباباته الإحدى عشرة قد أصيبت.

توقف الهجوم، وأخذت الدبابات التي لم تصب في التغطية على قوات سلاح المشاة التي بدأت تخلي الجرحى المظليين إلى قناة خلفية. كانت هناك ثلاث دبابات تشتعل فيها النيران عن يمين ايهود، واثنتان تحترقان عن يساره.

حال بدء الهجوم، بدأ فصيل سلاح المشاة في إخلاء المظليين الجرحى إلى قناة مياه خلفية جافة في المزرعة الصينية، تبعد حوالي خمسمائة متر، وقد أصيبت عدة سيارات مدرعة، واشتعلت فيها النيران، ومن ضمنها سيارة قائد الفصيل. ولم يعد القائد يرد على الاتصالات كانت المدرعات تشتعل بالنيران في كل مكان.

أصبحت الكتيبة تتعرض لخطر الإفناء، وقد تساقطت الصواريخ وقنابل (الآر بي جي) من كل اتجاه.

نفذت الذخيرة من بندقية العوزي التي بحوزة ايهود، واخذ يستخدم القنابل اليدوية، ويلقي بها في كل اتجاه، على أمل أن يحد من هجوم وتحركات الجنود المصريين، يساعده يشاي يزهر. وفجأة لاحظ أن يزهر أصيب إصابة خطيرة فقد أطلق عليه أحد الجنود المصريين النار فأصاب شريانا مركزيا في رقبته. حاول ايهود وقف تدفق الدماء دون جدوى. وكانت القنابل تخطئ دبابته بأمتار معدودة.

أعلمه سوكنيك بأن فصيله مني بالمزيد من الإصابات، في حين أعلمه العقيد عوزي يائيري بأن سلاح المشاة تمكن من إخلاء غالبية المظليين الجرحى. وأن المظليين الذين لم يصابوا، بدأوا يستعدون للدفاع.

طلب ايهود من سوكنيك وضبـــاط آخريـــن، أن ينجـــوا بأنفســـهم، ويـــتراجعوا إلى الخلف إلي مواقع دفاعية. واتضح فـــي هـــذه المرحلـــة، أن ثمانيـــة جنـــود مظليين وضابطي دبابات جرحى من قوة ايهود، قد تخلفوا فـــي ســـاحة الميـــدان.

كان الوضع صعبا للغاية، وبينما دبابتان تلتهمهما النـــيران، لاحـــظ بـــراك خلـــف التلـــة، في المنطقة المكشوفة بين المصريين والقناة التـــي انبطـــح فيـــها المظليـــون الجرحـــى، لاحظ أن أحد قائدي الدبابتين قد نجح في الخروج من الدبابـــة المشـــتعلة والـــى جـــواره مجموعة من المظليين، وقد بـــدأ القـــائد يصـــرخ فـــي جـــهاز الإرســـال: "أنقذونـــا، أن المصريين يطلقون النار علينا من على بعد خمسين مـــترا، وهـــم يقـــتربون".

طلب ايهود إسنادا مدفعيا لوقف تقدم المصريـــين، وفـــي نفـــس الوقـــت، اعـــد قوة إنقاذ على سيارات مدرعة، وقـــد تطـــوع للمهمـــة ضابطـــان شـــابان مـــن قـــاعدة التدريب الثالثة، هما: جيورا شوهم، وجدعون دبورتســـكي لمهمـــة الإنقـــاذ، فـــي حيـــن واصل قائد الدبابة طلب النجدة. وفي هذه الأثنـــاء انضمـــت إلـــى المعركـــة دبابـــة مـــن لواء (نتكة نير) والتي هاجمت المصريين مـــن الجنـــاح.

اندفعت الســـيارات المدرعـــة بقيـــادة بـــراك، وفيـــها الضابطـــان المذكـــوران ومتطوعون آخرون من سلاح المشـــاة والمظليـــن إلـــى المنطقـــة المكشـــوفة، وقـــامت بتحميل الجرحى، والانسحاب إلـــى مكـــان مخبـــأ مـــن النـــيران. ولـــم تمـــض ثـــوان معدودة، حتى كان الجنود المصريون يتدفقـــون إلـــى المنطقـــة كالســـيل العـــرم. تـــأثر ايهود من الشجاعة التي أبداها الضابطان الشـــابان، وشـــد علـــى أيديـــهما واعـــدا بـــأن يلتقي بهما في أعقاب انتهاء الحرب. بيد انهما قتلا بعد أربعة أيـــام غربـــي القنـــاة.

وفي ساعات المساء، انطلقت بقايا الكتيبـــة ٨٩٠ ســـيرا علـــى الأقـــدام باتجـــاه القناة، في حين بقيت كتيبة ايهود في المنطقة، ثـــم جـــاءت كتيبـــة دبابـــات مـــن اللـــواء (٦٠٠) للحلول محلها. وبينما ايهود يعلم قـــائد الكتيبـــة بالدبابـــات المحروقـــة، والجنـــود المفقودين، هطل على الكتيبتين سيل من صواريـــخ الكاتيوشـــا، بيـــد أن أيـــا منـــهما لـــم يصـــب.

أدت معارك الإنقاذ التي خاضها ايهود لتخليـص المظليين إلـى خلـق توتـر خفي بين قائدي المعركة: ايـهود بـراك، واسـحق مردخـاي فقـد شـعر مردخـاي، بالضيق جراء الأوصاف التي تناقلتـها وسـائل الإعـلام حـول العمليـة، وقـال فـي العديد من المناسبات، أن الدبابات وصلت متأخرة جدا، وبعد زمـن طويـل مـن طلبـه الإسناد من قائد لواء المظليين. ولـم يعجبـه مـا قالتـه وسـائل الإعـلام أن كتيبـة الدبابات احتلت المزرعة الصينية، في الوقت الذي منـي هـو بالفشـل.

لم يكن اسحق مردخاي يعلـم أن اسـتدعاء كتيبـة ايـهود، جـاء بعـد زمـن طويل من استغاثته، وان الكتيبة استعدت في اقـل مـن سـاعة، كمـا كـان عليـه أن، يجتاز بدبابته منطقة كثبان رملية وعـرة طيلـة عشـرة كيلومـترات فيمـا هـو يقـوم بالتوجيه وفقا للتوجيهات التي تلقاها فقط. أضـف إلـى ذلـك، أن ايـهود لـم يخطـئ، حينما احتل المزرعة الصينية، بل على العكـس، فقـد اعـترف بـان كتيبـة الدبابـات التي كان يقودهـا - وعلـى غـرار الكتيبـة ٨٩٠، ودوريـة اللـواء الثمـانين قبلـه - اضطرت إلى النجاة بالتراجع إلى الخلف بسبب كـثرة المصـابين. لقـد أدرك الاثنـان، فيما بعد، انه لو كان الوضع معروفا مسبقا، لمـا كـان بالإمكـان تنفيـذ المهمـة التـي قام بها ايهود، الا من قبل قوة مشتركة من المظليـين والدبابـات، والمدفعيـة.

وفي ساعات الليل بدأت كتيبـة دبابـات البـاتون الجريـح، بـالتحرك غربـا باتجاه القناة، واجتازت القناة فوق جسر، وبعد حوالي ساعة مـن قطـع القنـاة وعندمـا اقتربوا من قناة المياه الحلوة، على الجانب الغربي مـن القنـاة شـرع المصريـون فـي قصفهم قصفا شديدا جدا. أوقف ايـهود دبابتـه، ونـزل تحتـها، وأخلـد للنـوم. ولـم تستطع القذائف وانفجاراتها إيقاظه من النـوم العميـق الـذي حـط عليـه بعـد يوميـن متتالين، بلا نـوم.

وبعد ساعتين، أيقظه أحـد الضبـاط، وقـال لـه: لقـد تلقـت الكتيبـة أمـرا بالتحرك كي تهاجم بطارية صواريخ. لقـد تذكـر قـائد الجبهـة، حـاييم بـارليف، أن ايهود يحب العمليـات الخاصـة، وكلفـه بمهاجمـة بطاريـة صواريـخ ارض - جـو كانت قد ألحقت بسلاح الجو الإسرائيلي خسـائر فادحـة.

اخترق ايهود بدباباته عمق الأراضـــي المصريـة فـي وضـح النـهار وهـو يطلق نيرانه في كل مكان –على غرار مـا كـان يفعـل إبـان ترؤسـه دوريـة هيئـة الأركان، بيد انه، هذه المرة، كـان علـى متـن دبابـة: حركـة، واخـتراق بـالنيران وتدمير الهدف ثـم العـودة باتجـاه القـوات الإسـرائيلية. وسـجل ايـهود أمامـه، أن مقاومة المصريين غربـي القنـاة، تختلـف عنـها شـرقي القنـاة، مثلمـا رآهـا فـي المزرعة الصينيـة.

كانت المهمة التالية للكتيبة تتمثل في مهاجمـة قـوات مصريـة فـي منطقـة المطار الأمامي في (فـايد).

وعندما عاد ايـهود إلـى المعسـكر حيـث تقـف المدرعـات، قـال لـه سوكنيك، أن هناك ناقلة جنود مدرعـة مفقـودة، مـن مدرعـات سـلاح المشـاة. وفي أعقاب إجراء اسـتجواب للجنـود اتضـح أن جنديـا شـاهد ناقلـة مصابـة بالقرب من خطوط المصريـين.

ويقول سوكنيك، كانت تلك لحظة صعبة، فقـد أدركنـا أن لدينـا مصـابين أو مفقودين بالقرب من خطوط المصريين. وضع ايـهود علـى جسـمه معـدات الجنـود، وملأها بمخازن الرصاص، وقال :أنا ذاهب للبحث عـن المدرعـة المفقـودة.

كان ايهود يدرك، أن ضباط الدبابات غـير مؤهليـن للتحـرك ليـلا، وخـلال الصدام المحتوم مع المصريين، لذا قرر الذهـاب للبحـث عـن المدرعـة، وطلـب ألا يرافقه أحد، كـان عليـه السـير عـدة كيلومـترات فـي المنطقـة القريبـة للخطـوط المصرية، واخذ معه جهاز رؤية ليلية. وبعد سير سـريع علـى الآثـار التـي تركتـها الدبابات خلفها، عثر على جنديين إسرائيليين جريحين مـن جنـود المدرعـة، قـالا لـه: أن المدرعة أحرقت بكل ما فيها، ولم يبق على قيـد الحيـاة سـواهما.

لقد تمكنت الكتيبة من أسر حوالي مائتي جندي مصـري خـلال القتـال. بيـد أنه لم يكن لديه فائض من الجنود لحراسة الأسـرى، لـذا نـزل ايـهود مـن الدبابـة، وصفهم في طابور ثلاثي، وعين أحد الضبـاط المصريـين مسـئولا عنـهم، وقـال لـه بالعربية انه لا يجب أن يتحركوا وإذا تحركوا سـيطلق عليـهم النـار.

سارت الدبابات إلـــى مســافة تمكـــن الأســـرى مـــن الفـــرار إذا أرادوا ذلـــك، وعندما عادت الدبابات في صبيحة اليوم التـــالي مـــن مهمتـــها، فوجـــئ ايـــهود برؤيـــة الجنود المصريين وهم يجلسون مثلمـــا تركـــهم.

لقد كانت تلك نهاية الحـــرب. ففـــي الرابـــع والعشـــرين مـــن تشـــرين الأول، دخلت اتفاقية وقف إطلاق النار حيز التنفيذ الفعلي علـــى الجبهـــة المصريـــة.

الفصل الحادي عشر

ايهود٠٠٠٠المدرعات٠٠٠٠٠الاستخبارات

نجحت توصية وزير الدفاع، موشيه ديان. وفي غضون أقل من شهر زُفّت البشرى لايهود بترفيعه إلى رتبة عقيد، وتسليمه زمام القيادة في لواء مدرعات نظامي.

كانت تلك أيام عصيبة بالنسبة للجيش. فقد نشرت لجنة (اغرنات) أجزاء من التقرير الذي ألقى على كاهل الكادر العسكري، المسؤولية عن حرب تشرين ١٩٧٣.

في تلك الفترة، استقال رئيس هيئة الأركان دافيد اليعيزر، وتظاهر آلاف جنود الاحتياط يوميا في القدس، مطالبين باستقالة حكومة جولدا مائير.

كانت الضربة التي تلقاها سلاح المدرعات في تلك الحرب عنيفة، فقد قتل الكثير من قادة الفرق والكتائب، وكانت الخطوة الأهم، ترميم السلاح.

كان ايهود يثق بقدرته على إنجاز هذه المهمة. وقد عين قائدا للواء النظامي رقم (٤٠١) الذي أمضى معظم الوقت في سيناء، سواء أكان ذلك في التدريبات أو العمليات التنفيذية، واختيار خطوط التمركز العسكري.

لم ينل تعيين ايهود رضا الجميع في سلاح المدرعات، لا سيما وانه كان المظلي الثاني الذي تمكن من الوصول إلى قيادة هذا اللواء ولم يسبقه إليه، إلا العقيد دان شومرون الذي كان ضابطا مظليا قديما، قاد اللواء في حرب ١٩٧٣، واعتبر أحد افضل القادة في اللواء آنذاك، خاصة وان دباباته لعبت دورا رئيسيا إلى جانب لواء (١٤) في التصدي للجيش المصري في سيناء.

اختلف المسؤولون في سلاح المدرعات بشأن تعيين قائد لواء (٤٠١) وكان منهم من قال أن قائد اللواء، يجب أن يكون قد خدم في سلاح المدرعات. بيد أن اللواء يسرائيل طل، رئيس شعبة العمليات، في مطلع عام ١٩٧٤، واللواء يكتوئيل آدم، الذي كان آنذاك قائد القوات في سيناء وعرف ايهود من قيادة المنطقة الشمالية، حسما القضية وأوصيا بتعيين ايهود وقد نظر موطي جور وشمعون بيرس الذي عين آنذاك وزيرا للدفاع، بعين الرضا إلى هذا التعيين.

وخلافا لموقف فرق المدرعات حاز ايهود، وخلال وقت قصير، على رضا طاقم اللواء رفيع المستوى، وكانوا جميعا من أفراد سلاح المدرعات منذ الصغر. فقد أذهلهم بمناورات غير عادية، بدت مختلفة تماما عن صورة الحرب التقليدية في سلاح المدرعات. وكانت العبرة المهمة التي استقاها ايهود من الحرب، ضرورة المبادرة المستمرة، التي تفقد العدو موازينه.

تبنى قائد الوحدة الجديد أسلوب المعارك الليلة، وكان يحرص على وصول الدبابات إلى أهدافها بطرق غير متوقعة، ليتسنى لها تطويق "العدو" ومفاجاته في أماكن لم يكن يتوقعها.

استغل براك علاقاته في هيئة الأركان العامة، ونجح في إكساب اللواء مزيدا من ساعات التدريب، والتعاون في المناورات اللوائية، مع تشكيلات سلاح المشاة. لقد استقى العبر من مأساة المدرعات في مواجهة الصواريخ، بذل الكثير من الجهود، على صعيد التعاون المشترك بين الدبابات سلاح المشاة والمدفعية.

أثارت المعرفة التي أبداها براك في الدبابات الأميركية، دهشة ضباط سلاح المدرعات. فقد كان يقود الدبابة بمهارة فائقة ويصيب أهداف الرماية بدقة. يقول داني يتوم، أحد قادة الكتائب الذين عرفوا ايهود منذ أيام دورية هيئة الأركان: "كان ايهود قائد لواء مدرعات ممتازا، وقد بنى فرقة قيادية متميزة كان سلاح المدرعات في تلك الفترة، يعاني من نقص في قادة الدبابات وقادة السرايا. وقد تم في قواعد التأهيل في سلاح المدرعات، تأهيل عدد من الضباط لهذه المهمة.

عمل لواء (٤٠١) كوحدة سلاح مشاه متميز فقد تدرب على عمليات توجيه ملاحي ليلية، إلى مسافات لم تكن مألوفة في سلاح المدرعات آنذاك، والفضل يعود لايهود، الذي طور أساليب حربية تهدف إلى رفع مستوى النجاح في مواجهة مشكلة الصواريخ المضادة للدبابات. ولقد توصلنا في المناورات الكبيرة، التي أجريت، إلى نتائج افضل من تلك التي توصل إليها المحترفون في سلاح المدرعات".

كان الكثير من الضباط في سلاح المدرعات غير راضين عن أسلوب تدريبات سلاح المشاة الذي فرضه براك في اللواء. وكان ابرز هؤلاء، العقيد يوسي بيلد، الذي قال "هذا ليس سلاح مدرعات، بل سلاح مظليين سلاح المدرعات يحارب بصورة أخرى".

غير أن اكثر ما أثار دهشة ضباط سلاح المدرعات، قدرة ايهود على التوجيه الملاحي. ففي إحدى المناورات الليلية، التي أجرتها إحدى الفرق في منطقة (تساليم) في النقب، اخطأ أحد ضباط الفرقة أثناء عملية توجيه ملاحي، وضل طريقه. شعر براك، الذي كان يستمع إلى شبكة الاتصال. إن أحد الضباط وقع في أزمة صعبة. ولم يعد يعرف المكان الذي هو فيه. كان كل ضباط الفرقة يستمعون إلى الحوار الذي جرى بين قائد اللواء والضابط الصغير:

–الضابط: "لا اعرف أين أنا".

–ايهود: "لا تقلق سنساعدك. انظر حولك، هل ترى هالة من الضوء".

–الضابط: "نعم أرى هالة من الضوء، لكنها بعيدة جدا".

–ايهود: "هل هذا الضوء على يمينك أم يسارك؟"

–الضابط: "على يساري".

–ايهود: "ابدأ بالسير وانظر ما إذا كانت كثبان الرمل ستنتهي بعد بضعة كيلومترات وتبدأ بالانحدار".

–الضابط: "لكن لا اعرف بأي اتجاه سأسير".

–ايهود: "انظر إلى الشمس واعتبر أن الساعة ١٢".

–الضابط: "حسنا أنا انظر".

–ايهود : الان سر باتجاه اليسار.

–الضابط: "أنا ابدأ السير".

بعد ربع ساعة – ايهود: "خرجت من الكثبان ووصلت إلى المنحدر؟".

–الضابط : "ربما لست متأكدا".

-ايهود : "انظر إلى الأمام. هل ترى هالة ضــوء كبــيرة بعيــدة وهالــة اصغــر علــى مسافة اقــرب؟".

-الضابط: "نعــم".

-ايهود: "سر باتجاه هالة الضوء الكبــيرة، وســتكون فــي طريــق الخــروج. ستســير طيلة الوقت -تقريبا- باتجاه اليمين، انظــر إلــى عــداد الســرعة، وتــأكد مــن عبــور مسافة ١٥كم، عندها ستصل إلى الطريق، وســأوجهك إلــى أن تصــل".

وبعد حوالي نصف ساعة، قال الضابط: "لقد وصلــت إلــى الطريــق".

لقد أضافت هذه القصة إنجازا جديدا إلى ســجل إنجــازات ايــهود فــي اللــواء وأزالت الانطباع بأنه قائد متبجــح ومبــالغ.

وعلى الرغم من عشقه للموسيقى الكلاسيكية، ومشــاهدة أفــلام الفيديــو، بيــد أن الجنود والضباط يذكرونه، كقائد لواء يحــرص علــى الانضبــاط والســلامة العامــة في المناورات. لم يكن مستعدا للتغاضي عن المشاكل التــي تتعلــق بانضبــاط الجنــود، ولم يكن يتردد في معاقبة الجنــود الذيــن يبــدون الاســتخفاف بالانضباطيــة التنفيذيــة. لكن كانت هناك بعض الاســتثناءات.

ففي إحدى الليالي، قدم إليه أحــد جنــود الاحتيــاط ويدعــى (زئيــف كولــر)، للمحاكمة. كان كولر قد مثل أمام قائد فرقته قبل ذلــك، وحكــم عليــه بالســجن الفعلــي، بسبب غيابه عن موقع المراقبة. لكنه استأنف الحكم ووصل إلــى قــائد اللــواء.

سمع ايهود حجته وفهم منه أن جنود الفرقة كــانوا قــد طلبــوا، ومنــذ فــترة طويلة، إحضار منشأة ما إلى موقع الرصد. واوضح الجنــدي، انــه دون هــذه المنشــأة لن يكون بالإمكان الرصد، ولن تكون هناك جدوى منــه، وان هــذا هــو ســبب غيابــه عن موقع الرصد. أعاد ايهود النظر في أقواله وقبــل الاســتئناف. وفــي اليــوم التــالي، تم وضع المنشأة في الموقع وبدأت عمليــة الرصــد.

كان الاختبار الرئيســي بالنســبة لــه كقــائد لــواء مدرعــات، اســتعادة ثقــة مقاتلي المدرعات بالدبابات. فالأثر السلبي الذي خلفته الحــرب، لــم ينتــه بســرعة ولــم

ينس المقاتلون مأساتهم في "يوم الغفران" ١٩٧٣ أمام صواريخ "ساجر" و"آر بي جي".

يقول ايهود: "لم يكن بالإمكان نسيان حرب ١٩٧٣، لدى الحديث عن الحرب القادمة، لا سيما وأن آثار دباباتنا المحترقة، كانت ما تزال قائمة في الصحراء. بوصفي قائد لواء، كان من واجبي استعادة ثقة المقاتلين بالدبابات. ولقد تمكنت من ذلك بفضل التعاون العميق والوطيد مع سلاح المشاة والمدفعية في مناورات أجريت على مستوى الكتائب والألوية. هذا الأمر، أشعر مقاتلي سلاح المدرعات بالأمان، وأن دباباتهم لن تكون عرضة للخطر، بفضل تواجد سلاح المشاة هناك للتفرغ لمواجهة كوماندو "العدو".

في الأول من أيلول ١٩٧٤، ولدت البنت الثانية لايهود. لم تسنح الفرصة للقائد الأب، بالتواجد إلى جانب زوجته في تلك اللحظات العصيبة. رغم أن عملية الولادة كانت صعبة للغاية، ورغم أن طفلته كانت في مرحلة الخطر انتظرت الزوجة (نافا)، زوجها. وحال وصوله، سألته عن مدى إمكانية عمله في منصب آخر، يجعله اكثر قربا من البيت لكنه أوضح لها، وكعادته إن المسار الذي اختاره، مسار قيادة حربية ومن وجهة نظره، هذه هي الطريقة الوحيدة للسير بالجيش إلى المدى البعيد. ولم تملك (نافا) إزاء هذا التبرير، سوى الإيماء بالموافقة.

وقبل نهاية العام انتقلت عائلة ايهود براك إلى شقة جديدة في(رمات هشارون) وقبل ذلك ببضعة أشهر، اخبر يوني نتنياهو، أنه يبحث عن شقة ليعيش فيها مع زوجته (برووريا). قص ايهود على زوجته ما سمع، وقد أبدت سعادة كبيرة لأن بجوار شقتها شقة شاغرة. بدأت العلاقات بين العائلتين تتوطد، وبدأت (نافا) بقضاء ساعات طويلة برفقة (برووريا)، أثناء انشغال الزوجين ايهود في المدرعات ويوني في دورية هيئة الأركان.

في فترة خدمته كقائد للواء المدرعات، قرر المتحدث بلسان الجيش الإسرائيلي وفي خطوة فريدة من نوعها، السماح لايهود براك، بإجراء مقابلة مع

مجلة (باماحانية الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي)، وقد أجرى اللقاء صحفي يدعى رفائيل بيسان. وخلال اللقاء قال ايهود الذي أشير إليه باسم العقيد ب:" لقد ولدت وكالكثيرين في كيبوتس. كبرت وترعرعت هناك. وتعلمت حتى فترة التجنيد. القوا بي في مدرسة الكيبوتس خارجا، بسبب أعمالي الصبيانية. تجندت في سلاح المدرعات بالجيش. أردت أن أكون في سلاح المدفعية، ولم يسمحوا لي. خدمت لسنوات في دورية هيئة الأركان، رغم أنه تم تحويلي في وقت متأخر إلى سلاح المدرعات.

ولما سئل ايهود عن قدرة الجندي المصري في الحرب قال:" بشكل أساسي، لا أظن أن الجنود المصريين، كجنود منفردين، حاربوا أفضل بكثير مما كانوا عليه في حرب حزيران ١٩٦٧ في جرادة. والفرق أن الجيش المصري حارب هذه المرة، بوحدات أكثر".

"في اليوم الأخير في السويس، وبعد ثلاثة أيام من وقف إطلاق النار، استمر عدد من الجنود المصريين المنفردين، في محاولاتهم الاقتراب من دباباتنا بأسلحتهم الخفيفة. كان من الواضح لهم، أنهم لن يتمكنوا من إبعادنا عن قناة السويس، كما لن يتمكنوا من تغيير النتيجة العامة للحرب. لكن، كانت تحدوهم الرغبة في محاولة ضرب عدد آخر من دباباتنا".

بيسان:" وماذا عن الدراسة"؟

براك:" علقت الدراسة، فأنا أرى فيها طريقاً لا ينتهي، من وجهة نظر الجامعة، أنا في إجازة إذا أردت العودة، في غضون عامين، فليس علي عمل أي شيء، من وجهة نظرهم، سوى إشعارهم بذلك مسبقا، ودفع الأقساط بالطبع، كان من الواضح بالنسبة لي، بعد تلك الحرب، أن مكاني هنا في الجيش وليس على مقاعد الدراسة. كان سلاح المدرعات، على وجه الخصوص، يعاني نقصاً في عدد الضباط، لا سيما الضباط برتب ما بين قائد شعبة وقائد كتيبة".

بيسان:" وعندئذ عدت مباشرة إلى سلام المدرعات"؟

براك:" نعم، لان الضرر الذي لحق بـــه، أقســى بكثـير مــن الأضـــرار التــي لحقـت بوحدات أخـــرى".

بيسان:" كيف استقبلك أفراد المدرعات كجنـــدي مظلـــي"؟

براك: لا تنس، أنني رغم ذلك، أجريت عمليـــة تحويـــل منظمـــة.

بيسان:" هل تشعر بتحسن على صعيـــد الجيـــش؟

براك:" باعتقادي أن العبرة الأساســية، تتعلــق بضـــرورة بنــاء قــادة أكـــثر اســـتقلالية وقـــدرة علـــى اتخـــاذ القـــرارات وحدهـــم، ضبـــاط يتمـــيزون بـــالقدرة علـــى تحمـــل المســـئولية".

قبل انتـــهاء عـــام ١٩٧٥، وبعـــد عـــام ونصـــف العـــام مـــن عملـــه كقـــائد لواء(٤٠١)، دعي ايهود إلى مكتب رئيس هيئة الأركـــان، موطـــي جـــور.

كان غور جديا، قبل ذلك بوقت قصير، قتل العقيـــد، عـــوزي يـــائيري، أثنـــاء هجوم مسلح على فندق" سافوي". كان يـــائيري قبـــل ســـقوطه، مســـاعد رئيـــس شـــعبة الاستخبارات، لشؤون العمليات. وانطلاقا من تقديـــره الشـــديد لكفـــاءة بـــراك التنفيذيـــة، طلب منه القبول بهذا المنصـــب. بيـــد أن بـــراك لـــم يكـــن ســـعيدا بذلـــك. فـــالمنصب المعروض، يقوم على أساس التخطيط التنفيذي وليـــس القيـــادة. لكـــن فـــي مثـــل تلـــك الظروف، وفي ظل تدخل موطي ونائبـــه يكتوئيـــل آدم لـــم يكـــن هنـــاك منـــاص مـــن القبول.

كان هذا المنصب، منصبه الأول فـــي هيئـــة الأركـــان، وكـــان اصغـــر عقيـــد هناك، لكنه رغم ذلك، كان على قـــدر المســـؤولية.

أراد رئيس هيئة الأركان، أن يبقـــى ايـــهود إلـــى جانبـــه، كعـــراب للعمليـــات الخاصة في الجيش الإسرائيلي، بيـــد أنـــه كـــان مـــن الواضـــح لبعـــض ضبـــاط هيئـــة الأركان أن ايهود لن يكتفي بمهمة التخطيط فقط، ومـــن وجهـــة نظـــره، هنـــاك مجـــال للربط بين التخطيط والتنفيذ، تماماً مثلما عمل في عملية "ربيـــع الشـــباب" فـــي بـــيروت كان يدرك أن الضابط الـــذي ســـيقود الجيـــش الإســـرائيلي إلـــى أي مكـــان هو: ايهود بـــراك.

الفصل الثاني عشـــــر

عملية عنتيبي

ايهود يشارك في تحرير الرهائن

يوم الأحد، ٢٧-٦-١٩٧٦، كان أقصى أيام الصيف الحارة. في الساعة ٨:٥٩، أقلعت طائرة" ايرباص" تابعة لشركة الطيران الفرنسية" اير فرانس" في الرحلة (١٣٩) من مطار بن غوريون إلى باريس. كان على متن الطائرة ٢٨٨ مسافرا، معظمهم إسرائيليون خرجوا لقضاء الإجازة الصيفية في فرنسا.

في الساعة ١١:٣٠، هبطت الطائرة في أثينا، نزل منها (٣٨) مسافرا، وصعد ٥٨. كان من بين أولئك الذين صعدوا، أربعة أشخاص، وصلوا قبل ذلك بوقت قصير، على متن رحلة لشركة "سنغافورة ايرلينز" من البحرين في الخليج العربي: رجل وسيدة يحملان جوازي سفر ألمانيين، ورجلين يحملان جوازي سفر كويتيين مزيفين.

كان مطار أثينا معروفاً بتدني مستوى الأنظمة والإجراءات الأمنية فيه. وما حدث في ذلك اليوم، أكد صحة ما يشاع عنه: إذ أن أحداً لم يقم بتفتيش المسافرين الأربعة، الذين ساروا باتجاه الهدف: طائرة: ايرفرانس".

أما مضيفة الطائرة الضجرة، فاكتفت بنظرة سريعة خاطفة على تذاكر سفرهم، وتمنت لهم رحلة ممتعة، غير أن أحدا لم يقم بتفتيش حقائبهم وأكياسهم التي أخفوا فيها رشاشات صغيرة من طراز"سكوربين"، مسدسات، قنابل يدوية ومواد ناسفة.

جلس الألمانيان، اللذان كانا يبدوان كزوجين رومانسيين في مقدمة الطائرة، فيما جلس الفلسطينيان في المؤخرة، في قسم السياح.

في الساعة ١٢:٣٥، وحسب كلمة سر تم الاتفاق عليها مسبقا، نهض الأربعة من مقاعدهم، وعبأوا رشاشاتهم، اقتحم الألمانيان غرفة الطيار، فيما هدد الفلسطينيان بأسلحتهما، ركاب الطائرة. وأعلنوا اختطاف الطائرة، على يد خلية "تشي جيفارا" من قطاع غزة.

تجول الفلسطينيان بأسلحتهما بين المقاعد وجمعا جوازات السفر. كانت من بين المسافرين الإسرائيليين، ابنة مدير المفاعل النووي في ديمونة، بيد أنهم لم يكتشفوا أمرها: بعد ذلك، قام الخاطفون باحتجاز النساء والأطفال في مقدمة

الطائرة التي تم تحويل اسمها إلى "حيفا المحررة" في حيـن تـم احتجـاز الرجـال فـي المؤخرة أطلع المسلح الألماني قائد الطـائرة علـى خارطـة كـانت بحوزتـه، وحـدد الهدف النهائي، وكان مطار عنتيبي في أوغنـدا. فـي تلـك الأثنـاء، لـم تكـن هيئـة الأركان على علم بشيء بعـد.

بعد ساعة ونصف الساعة، هبطت الطائرة فـي مطـار (بنغـازي) فـي ليبيـا، وأطلق الخاطفون سراح مسـافرة بريطانيـة.

وصل نبأ اختطاف الطائرة إلى هيئـة الأركـان العامـة، التـي بـدأ ضباطـها وعلى رأسهم براك، بدراسة المعطيات الواردة مـن مطـار ليبيـا. تذكـروا مـا حـدث في الجزائـر عـام ١٩٦٨، وكيـف اضطـرت حكومـة إسـرائيل آنـذاك للخضـوع لخاطفي طائرة"العال" واطلاق سراح عدد من المعتقلين فـي سـجونها. لـم يكـن لـدى هيئة الأركان، أي معلومات حول المطار أكثر مـن خرائـط وصـورة جويـة واحـدة قديمة. لا شك في أن الظرف كـان صعبـاً.

في تلك الأثناء وتحديداً فـي العاشـرة ليـلاً، كـانت الطـائرة المختطفـة قـد أقلعت من مطار ليبيا، وهبطت بعد بضع سـاعات فـي عنتيبـي، حيـث كـان هنـاك بانتظارها ثلاثة مسلحين اخريـن.

لاحظ المسافرون الذين تم إنزالهم مـن الطـائرة إلـى قاعـة المسـافرين، أن جنود جيش أوغندا، يتعاونون مـع الخـاطفين. وفـي صبيحـة اليـوم التـالي زارهـم الرئيس الأوغندي، (عيـدي أميـن)، وسـخر أمامـهم مـن حكومـة إسـرائيل، التـي غدرت به، ولم تقف إلى جانبه، في حربه ضـد تنزانيـا.

كان العقيـد ايـهود بـراك، مسـاعد رئيـس شـعبة الاسـتخبارات لشـؤون العمليات، بين أوائل الذين تلقوا نبأ اختطـاف الطـائرة.

وقد عهد إليه رئيس شعبة العمليات، اللـواء يكتوئيـل آدم، بمتابعـة تطـورات العمليـة. كان اللواء آدم، قد حل محل رئيس هيئة الأركان، موطـي جـور، الـذي كـان آنـذاك في مناورة كبيرة جنوب إسـرائيل.

طار موتي مباشرة من المنـــاورة إلـــى جلســة الحكومـــة، التـــي كـــانت قـــد التأمت على خلفية ما يجري في عنتيبي وفـــي الطريـــق، تـــم الاتصـــال بيكتوئيـــل آدم ، وعلم أن رئيس هيئة الأركان سيصل في الســـاعة التاســـعة مســـاءا، وان عليـــه دراســـة الوضع، والتفكير فيما سيتم عمله بشأن ما يجـــري فـــي عنتيبـــي.

وفي غضون ساعة، وصل رئيس هيئـــة الأركـــان إلـــى مكتبـــه. نظـــر إلـــى مجسم الكرة الأرضية الموضوع في زاوية الغرفـــة، واتصـــل بيكتوئيـــل ادم.

موطي:" كوتي ماذا سنفعل فـــي عنتيبـــي"؟

كوتي:" لا أعرف في هذه الســـاعة"

موطي:" ماذا، ألم تصلك الأوامـــر بدراســـة القضيـــة؟. لقـــد ســـألني رئيـــس الحكومـــة رابين، ما إذا كان هناك خيار عسكري، وقلت له نعم يوجد. أريـــد الـــرد حـــالا.

كوتي:" قل لي موتي، هل رأيت موقع عنتيبي هذه على مجســـم الكـــرة الأرضيـــة"؟

موطي:" ليس بعد. لكن ينبغي إيجاد طريقـــة للعمـــل".

استدعى موتي، براك من مكتبه في الطـــابق العلـــوي، واجتمـــع ثلاثتـــهم فـــي قاعة الاجتماعات.

موطي:" حتى صبيحة يوم غد، أريد معرفة مـــا يمكـــن عملـــه فـــي عنتيبـــي. ادع مـــن تشاء، وقم بكل ما ينبغي أريد جوابـــا".

اســـتدعى ايـــهود علـــى الفـــور (موكـــي يتســـار)، (عمـــيرام ليفيـــن)، قـــائد الكوماندو البحري، و(جابي زوهر) من شـــعبة الاســـتخبارات. طـــاقم تخطيـــط خاصـــا. وفي تلك الأثناء، اتصل قائد سلاح الجو، اللواء بيني بيلـــد، ليعلـــم ايـــهود بـــأن رئيـــس مكتبه سيقدم كل ما في وســـعه، وأن لدى أفـــراد مـــن ســـلاح الجـــو معلومـــات عن مطار عنتيبـــي.

في غضون ساعتين، وصلت التصورات الأوليـــة عـــن القاعـــة القديمـــة فـــي المطار، بيد أن دليل الطيـــارين المدنـــي، كشـــف النقـــاب عـــن وجـــود قاعـــة جديـــدة، إضافة إلى القديمة، وتركيبة معقدة من المدارج. كمـــا كشـــف محـــاذاة المطـــار لبحريـــة فكتوريا. من وجهة نظر موكي يتســـار، الـــذي ســـبق وأن تواجـــد فـــي أوغنـــدا، فـــإن

الأوغنديين ليسوا جديين، ويمكن عمل اكثر ما يمكن تصوره من النظرة الأولى لكن، مقابل ذلك، وصلت، معلومات استخبارية، تفيد بان كتيبة حراسة أوغندية تتواجد في المطار وما حوله.

في تلك الليلة، تبلورت عدة أفكار تنفيذية ممكنة، لوضع يتواجد فيه ٤-٥ مسلحين في أجواء أوغندية محايدة. وقد اجمع المسؤولون، على ضرورة مفاجأة الخاطفين، للحيلولة دون تعرض أي من الرهائن للخطر. وكان بين الأفكار المطروحة، إنزال زوارق وعلى متنها عدد من المقاتلين إلى بحيرة فكتوريا، التسلل إلى القاعة القديمة في المطار، قتل المسلحين واطلاق سراح الرهائن. وكانت هناك فكرة أخرى، تقترح إنزال طائرة منفردة وعلى متنها مركبتان أو ثلاثة- تكون إحداها- وفقا لاقتراح كوتي يتسار"مرسيدس" سوداء- تسير من المدرج الجديد إلى القاعة القديمة وتسيطر بشكل مفاجئ على القاعة وتقوم بتصفية المسلحين.

وللحقيقة، كانت هذه الفكرة العملية، أساسا تم الارتكاز إليه في التخطيط لعملية دورية الأركان.

في الساعة السابعة صباحا، طرحت الأفكار على مكتب رئيس هيئة الأركان. كانت قد طرحت أفكار أخرى، بيد أنها رفضت نظرا لافتقارها لصعنر المفاجأة .

أصدر موتي أوامر بالتركيز على داسة الفكرتين الأوليين. وألقى ايهود على عاتق قائد الكوماندو البحري، مهمة محاولة إنزال القوارب، وعلى عاتق يتسار مهمة دراسة فكرة الطائرة المنفردة ومحاولة إدخال عدد من المركبات إليها.

نفذت التجارب في اليوم ذاته وقد فشلت محاولة إنزال القوارب. فيما بدت فكرة الطائرة المنفردة ممكنة تماما. في الوقت ذاته، أمر رئيس هيئة الأركان، سلاح الجو، بدراسة الجانب التنفيذي للرحلة إلى عنتيبي ذهابا وإيابا.

بعد ذلك، التأم المجتمعون في مكتب شمعون بيرس، لإعادة النظر في المقترحات المطروحة. لم يهتم بيرس كثيراً بالتفاصيل، لكنه كان يرى ضرورة لتنفيذ عملية عسكرية. وحسب اعتقاده، لا مجال لإمكانية تعاون الرئيس الأوغندي، عيدي أمين معهم، ومن المحتمل أيضا، أن يبدي تعاطفه مع الخاطفين.

كانت هذه التقديرات مثيرة للقلق، فالعامل المشترك بين كل تلك الأفكار التي طرحت، والتي يتوقع مع نجاحها، هو الافتراض ببقاء الأوغنديين على الحياد، وان يسمحوا للجيش الإسرائيلي، أو لأي عنصر أجنبي آخر، بالهبوط في المطار، وتسلم الرهائن، والجنود الذين قاموا بتصفية الخاطفين. وإذا ما تبين أن الأوغنديين لن يقفوا مكتوفي الأيدي، فسيكون الوضع أكثر تعقيداً.

في صبيحة اليوم التالي، وصلت إلى إسرائيل أولى المعلومات، فقد أفادت المسافرة البريطانية التي أطلق الخاطفون سراحها في مطار بنغازي، بأن خلية الخاطفين تتألف من أربعة فقط، بينهم ألمانيان. كانت التقديرات الأولية في شعبة الاستخبارات تشير إلى أن الحديث يدور عن أعضاء المنظمة الإرهابية الألمانية "بادر مينهوف" التي تتعاون، وبشكل واسع، مع منظمات فلسطينية.

أما المعلومات التي وصلت في اليوم الثالث للعملية، فقد كانت أكثر إثارة للقلق. حيث عزل الخاطفون المسافرين الإسرائيليين عن المسافرين الأجانب، وطالبوا إسرائيل بإطلاق سراح عشرات المعتقلين الفلسطينيين، كما طالبوا حكومة ألمانيا الغربية، بإطلاق سراح عدد من المعتقلين، وطالبوا فرنسا كذلك بدفع فدية، قيمتها خمسة ملايين دولار.

كانت تلك الأنباء مزعجة وسيئة، رغم وجود جوانب إيجابية فيها: فبداية سيكون في المطار عدد قليل من الرهائن، وسيتمكن براك ثانية، من استجواب الرهائن الذين سيطلق سراحهم بعد حوالي ١٢ ساعة عن المبنى الداخلي القديم للمطار، إجراءات الحراسة، مستوى التعاون مع الأوغنديين وغير ذلك.

بعد ذلك، تم وعلى وجه السرعة، تعيين طـــاقم كلـف بالتوجـه إلـى بـاريس لاستجواب الرهائن الذين سيتم إطلاق سراحهم، وكان يضـم اللـواء(احتيـاط) رحبعـام زئيفي، من مكتب رئيس الحكومة، وعميرام ليفين من طـاقم التخطيـط التـابع لـبراك.

غير أن المعلومات التي وصلـت مـن ليفيـن، غـيرت الصـورة تمامـا، إذ تبين أن هناك عددا آخر من المسلمين فـي أوغنـدا، وأن الأوغندييـن يتعـاونون معـهم ويشاركون في مهام الحراسة، وان التفـاصيل التـي تتعلـق بمبنـى قاعـة الانتظـار، الغرف والأبواب في القاعة القديمة، كلها بحوزة ليفي، وأنـه حسـب انطبـاع الرهـائن الذين تم إطلاق سراحهم، ليست هناك قـوات حراسـة خاصـة فـي المطـار والقاعـة الجديدة. وعليه تم التوصل إلى تقدير جديد، يفيـد بأنـه لا منـاص مـن إرسـال قـوة كبيرة إلى مطار عنتيبي، لقتل المسلحين، وتخليـص الرهـائن الذيـن انخفـض عددهـم من حوالي ٢٠٠-١٠٠، وفي ضوء التقارير التـي تتحـدث عـن عـدم وجـود قـوات حراسة مكثفة في المطار، بدا بالإمكان إحكام السـيطرة علـى القاعـة الجديـدة، طيلـة الوقت اللازم لتنفيذ العملية، وإدخال كل القوة والرهائن إلـى داخـل الطـائرة.

استدعى كوتي دان شومرون الذي عكـف، منـذ يوميـن، فـي قيـاد سـلاح المشاة والمظليين، على دراسة إمكانية تنفيذ عمليـة واسـعة، وقـد طلـب منـه طـرح خطته، ووافق على أسسـها.

كانت الخطة تقوم على أساس تكليف قوة دورية هيئـة الأركـان بـالعمل فـي القاعة القديمة، وفقا لفكرة الطائرة المنفردة ومجموعة السـيارات التـي سـتدخل إليـها، وهكذا، تبلورت خطة إنزال قوة كبيرة في عنتيبي تتألف مـن وحـدات مختـارة، تقـوم بإطلاق سراح الرهائن، تصفية المسلحين وكل من يتعاون معـهم ونقـل الرهـائن إلـى إسرائيل. وقد أمر كوتي أن يكون دان شومرون، قائد العلميـة وايـهود بـراك نائبـه.

اجتمع ايهود بالعميد دان شومرون، قـائد سـلاح المشـاة والمظلييـن، وبـدأوا استكمال تفاصيل الخطة، التي طرحت في ذلك الوقـت، أمـام رئيـس هيئـة الأركـان ووزير الدفـاع.

منذ اللحظة التي تقرر فيها تنفيذ العمليــة العســكرية، بــدأت النقاشــات حــول تركيبة القوة التي ستقوم بتنفيذها. حاول ايهود الضغط من أجــل تمكيــن دوريــة هيئــة الأركان، لعب الدور الرئيسي في القاعة القديمــة-تصفيــة المســلحين وإطــلاق ســراح الرهائن. كان قــائد الوحــدة يونــي نتنيــاهو، خــلال الأيــام الأولــى التــي أعقبــت اختطاف الطائرة، في مهمة تدريب في ســيناء، وكــان موكــي بتســار نائبــه، يطلعــه، خطوة بخطوة، على مجريات الأحداث. لكن، فــي تلــك المرحلــة تحديــدا، بــدا الأمــر أكثر جدية، فاستدعاه موكي للعــودة.

وافق دان شومرون على طلب بــراك، وتــم تكليــف دوريــة هيئــة الأركــان بمهمة اقتحام القاعة القديمة في مطار عنتيبــي، إلــى جــانب مقــاتلين مظلييــن بقيــادة متان فلنائي، وطاقم من لواء جولاني، بقيادة العقيــد، أوري ســاغي-ايزنبــيرغ.

كان يوم الجمعة ٢-٧-١٩٧٦ يوما بائسا بالنســبة لايــهود بــراك، فقــد عــاد رئيس هيئة الاستخبارات اللواء شلومو غازيت، الــذي كــان فــي الخــارج حتــى ذلــك اليوم، وحاول منع براك مــن المشــاركة فــي العمليــة، وقــد جــرى بينــهما الحــوار التــالي:

غازيت:" ايهود، أنــت تعــرف الكثــير مــن الأســرار، ولا يجــب علينــا تعريضــك للخطر. ستكون كارثة إذا وقعت في الأسر، ولست مســتعدا للموافقــة علــى مشــاركتك في العمليــة".

كان غازيت يتذكر ما حــل بــالعقيد، عــوزي يــائيري، الــذي ســبق ايــهود براك، إلى منصب مساعد رئيس شعبة الاســتخبارات لشــؤون العمليــات، وقتــل فــي عملية تخليص الرهائن في فندق "سافوي" بتــل أبيــب.

غازيت:" أنت اليوم ضابط رفيــع المســتوى فــي شــعبة الاســتخبارات، ولســت قــائد وحدة لست مســتعدا لأن يحــدث لــك مــا حــدث لعــوزي يــائيري، الــذي خــاض عملية"سافوي" دون ضرورة لست مستعدا لان تتعــرض لنفــس الخطــر. مــن وجهــة نظري، الأمر منته. وسأتوجه إلى رئيس هيئــة الأركــان".

براك:" أنا أناشدك لا مبرر لمخاوفك. إذ ليس من الممكن أن أقع في الأسر في عنتيبي. كنت في أماكن أكثر تعقيدا وقد خرجت منها.

غازيت:" كنت آنذاك قائدا لدورية هيئة أركان، والوضع كان مختلفاً".

براك:" هذه المهمة هامة جداً. إنها عملية لها خصوصيتها. الأشخاص هناك بحاجة لذوي الخبرة الكبيرة، ولن تمنعني من المشاركة في العملية.

بعد ذلك، التقى ايهود موطي جور، رئيس هيئة الأركان. وجرى بينهما الحوار التالي:-

ايهود:" موطي سيأتي إليك شلومو غازيت وسيحاول إقناعك بمنعي من المشاركة في العملية".

جور:" فليحاول. لقد انتهيت الآن من الحديث في هذا مع رئيس الحكومة، اسحق رابين، وأخبرته بأنه دان شومرون سيقود العملية، وستكون أنت نائبه، وقد بدا لي موافقا.

براك:" موطي أعلم أن يوني نتنياهو سيتقبل الأمور بصعوبة.

جور:" يوني صغير. يحتاج إلى خبرة في مثل هذه العملية. أنا أهتم قبل كل شيء بما هو أفضل للعملية. ضع يوني نائبا لك في القوة".

براك:" حسنا سأخبره".

جور:" افضل أن يقوم دان شومرون بذلك. فهو قائد العملية".

براك:" وسأطلب التحدث إلى يوني بعد أن ينهي حديثه مع دان.

خرج ايهود من مكتب رئيس هيئة الأركان، وأسرع إلى المجموعة القيادية في منزل المظلي في رمات جان وفي المدخل، شاهد دان شومرون ويوني نتنياهو، منهمكين في الحديث. انتظر قليلا حتى ينتهيا، ثم اقترب من يوني ، الذي بدا مضطربا ومهموما.

ايهود:" هذا قرار رئيس هيئة الأركان. وباعتقادي، أنها توصية من كوتي".

يوني : أعلم. شرح لي دان. أريدك فقط أن تعلم أنه لو كان أحد غيرك، لما كنت سأوافق. كنت سأشعر بالألم. كل جنود القوة سيكونون من الوحدة وينبغي أن

أكون قائدهم. أنت الشخص الوحيد الذي أقبل تخويلـــه بـــهذه المهمـــة، والوحيـد الـــذي سيتفهم المحاربون طبيعة تعيينـــه.

وقف الاثنان متواجهين للحظة، والصمت يخيـــم عليـــهما. وضـــع ايـــهود يــده على كتف يوني ، نظر في عينيه وقال له:" يونـــي . أفـــهم شـــعورك. كنـــا ســـوية فـــي الكثير من العمليات كقائد ومرؤوس. الان. هذا قـــرار والعمليـــة جديـــة أكـــثر مـــن أن ننشغل بذلك. أفهم شعورك. وثق بـــي. ســـأفعل كـــل شـــيء لكلـــي لا تتضـــرر. أنـــت ستكون نائبي في القوة، وســـتختار مـــهمتك".

يوني :" أريد قيادة القوة واقتحام القاعـــة نفســـها.

ايهود: حسناً. لندخل إلى المجموعـــة".

بعد مضي سنوات على هذا الحوار، نشر عيـــدو نتنيـــاهو، الشـــقيق الأصغـــر ليوني في كتابه "المعركة الأخـــيرة ليونـــي " صـــورة مختلفـــة لمـــا حـــدث وحســـب أقواله، لم يكن يوني ينوي التنازل بسهولة عن تلـــك المهمـــة.

يقول عيدو نتنياهو في كتابه:" كـــان يونـــي يشـــعر بالامتعـــاض، إزاء قـــرار تعيين ايهود براك قائداً لدورية هيئة الأركان. لـــم يكـــن يونـــي ينـــوي إبقـــاء الوضـــع على ما هو عليه، فالقوة التي ستتواجد في ساحة المعركـــة ســـتكون كلـــها مـــن جنـــود الوحدة، ويوني ، بوصفه قائد الوحـــدة، كـــان يشـــعر بأنـــه الشـــخص الوحيـد الـــذي ينبغي أن يكون قـــائدهم".

" في فجر يوم الجمعـــة، جلـــس ايـــهود ويونـــي وحدهمـــا، وربمـــا نشـــبت بينهما مشادة حول مســـألة قيـــادة الدوريـــة. اســـتعرض ايـــهود مـــع يونـــي تفـــاصيل الخطة، وأبدى اقتراحات تنفيذيـــة لمرحلـــة مـــا بيـــن الـــهبوط فـــي عنتيبـــي، الحركـــة السريعة إلى القاعة والـــهجوم.

"شعر يوني من ملاحظات ايهود، أنـــه يعـــتزم قيـــادة العمليـــة بنفســـه، ولـــن يكتفي بمجرد الإشراف عليها، وكان ايـــهود الـــذي شـــعر بتوتـــر يونـــي ، يظـــن بـــأن ساعات قليلة من النـــوم، ستســـاعد يونـــي علـــى فـــهم قـــرار قيـــادة ســـلاح المشـــاة والمظلييـــن".

وعلى أية حال، كان ايهود يعتزم السماح ليوني بالإشراف على قوة الدورية لئلا يمس بصلاحياته كقائد للوحدة، ولكن، كان من المفترض، أن يكون مصدر الصلاحيات الأعلى في منطقة الهجوم واقتحام القاعة.

كان من الصعب تجاهل المشاكل التي واجهها يوني آنذاك، في دورية هيئة الأركان، وكان ايهود ونائب رئيس هيئة الأركان، اللواء يكتوئيل آدم، يدركان طبيعتها. فقبل اختطاف الطائرة ببضعة أسابيع فقط، توجه عدد من قدامى الضباط في دورية هيئة الأركان، إلى آدم، وتذمروا أمامه من أن يوني يمر بحالة نفسية صعبة، وأن أسلوبه في القيادة ليس كما كان عليه في السابق.

يعتبر مثل هذا الامر نادرا جدا في دورية هيئة الأركان، ولم يحدث قبل ذلك سوى مرة واحدة فقط، عندما كان مناحيم ديجلي قائد الوحدة، وتوجه عدد من الضباط إلى ايهود براك، الذي كان قد تحول آنذاك إلى سلاح المدرعات، وتذمروا أمامه من أسلوب عمل ديجلي.

كان هذا هو السبب في توجه يكتوئيل إلى رئيس الحكومة، اسحق رابين ليقنعه بتعيين ايهود براك قائدا لقوة دورية هيئة الأركان، التي ستقتحم قاعة مطار عنتيبي لقد كان كوتي يثق تماما بيوني ، بيد أن ما سمعه من ضباط الدورية أزعجه.

كان يوني يعيش أزمة شخصية عميقة، ولم يتضح ذلك إلا بعد وفاته، ففي ٢٩-٦-١٩٧٦، أي قبل وفاته بخمسة أيام، وفي ذروة الاستعدادات لإطلاق سراح الرهائن، كتب يوني إلى (برووريا) زوجته رسالة يقول فيها:" أنني أواجه مرحلة حاسمة في حياتي، وفي داخلي أزمة عميقة تضعف فهمي وتصوراتي. أنا أشعر بالتعب معظم الوقت، لكن هذا جزء فقط من المشكلة، لقد فقدت حسي بالرغبة في الإبداع والتجديد. والأمر صعب بالنسبة لي.

كان ايهود أحد أشد المقربين من يوني ، هذا إن لم يكن الأكثر قربا. ذلك أن شقيقيه لم يكونا آنذاك في الوحدة بيبي لم يكن في إسرائيل وأصدقاؤه خارج

الوحدة، لم يتفهموا طبيعة الاختبارات الصعبة، التي كـــان يواجهـــها فـــي الوحـــدة كمـــا لم يتفهم زملاؤه في الوحدة تعقيدات حياته الخاصــــة كإنســـان عـــادي.

كان ايهود المقرب الوحيد الـــذي أدرك هذيـــن الجـــانبين لـــدى يونـــي . كمـــا كان الجهة التي أوصلت يوني إلـــــى منصبـــه فـــي الوحـــدة، ودربتـــه علـــى أســـلوب القيادة. كان يدرك بأن يوني جدير بقيادة الوحدة وبلـــوغ مـــا هـــو أبعـــد. وقـــد شـــعر ايهود أن من واجبه، بوصفه صديقه وقائدة سابقا، مساعدته علـــــى تجـــاوز تلـــك الفـــترة الصعبة. كان الوضع صعباً جداً بالنســـبة لـــه. فالصداقـــة التـــي جمعـــت بينـــهما فـــي العمليات التنفيذية المشتركة، وضعت فجأة علـــى محـــك الاختبـــار.

بدأ التعارف بينهما مطلع عـــام ١٩٦٩. كـــان يونـــي يصغـــر بـــراك بأربعـــة أعوام، وكان قائد أطقم المســـــتجدين، أمـــــا بـــراك، فقـــد عـــاز انـــذاك إلـــى الوحـــدة كتائب لقائدهـــا.

كان يوني نتنياهو، أكبر ســـــنا مـــن بقيـــة ضبـــاط دوريـــة هيئـــة الأركـــان. ضابطاً مظلياً تسرح من الجيش، قبل حرب حزيران وقـــد شـــارك فـــي الحـــرب كقـــائد سرية في معركة دارت رحاها في الهضبة السورية واصيـــب فـــي مفصلـــه. ثـــم عـــاد إلى الجيش النظامي مع بداية حرب الاستنزاف وكـــــان حديـــث الـــزواج مـــن (توتـــي). كان طالباً متميزاً، علق دراسته ليعود إلـــــى الجيـــش، إلـــى الوحـــدة التـــي خـــدم فيـــها شقيقه بيبي نتنيـــاهو.

لقد اكتشف ايهود ضابطاً يتسم بالجدية والنضـــــوج، والشـــعور بـــالحيرة رغـــم ذلك. قائداً، عرف كيف يتحدث مع جنوده بـــهدوء. لقـــد أحـــب لقاءاتـــه معـــه، ووجـــد نفسه ينشغل معه أكثر فأكثر، وينزع إلى أحاديث خاصــــــة لا تتعلـــق بمـــا يجـــري فـــي الوحـــدة.

توطدت العلاقة بين الضابطين حتـــى بلغـــت حـــد الصداقـــة الحميمـــة، خـــلال الرحلات الطويلة إلى مناطق التدريب وخـــلال الاســـتعدادات للعمليـــات الخاصـــة. وقـــد فتح يوني -الذي كان جميع أفراد عائلتـــه باســـتثناء شـــقيقه الصغـــير بيبـــي، يعيشـــون

خارج إسرائيل- قلبه لقائده. كان تقدير كـل منـهما للشـخص الآخـر متبـادلاً، وكـان ميلهما للموسيقى مشـتركا.

تحدث يوني لايهود عن شعوره بالحيرة إزاء انشـغاله بالخدمـة فـي الوحـدة التي أخذت جل وقته وغيابه عـن زوجتـه، كمـا تحـدث لـه عـن مشـاعر الشـوق والحنين إلى ذويه في الولايات المتحدة الأمريكيـة، الذيـن يعيشـون فـي مـنزل يتسـم بالتقشف والبساطة، وعن علاقاته المقعـدة معـهم.

كان يوني واسع الاطلاع على تـاريخ (أرض-إسـرائيل)، حتـى أنـه عـرف معارك يهودا المكابي، كما لـو أنـها حدثـت قبـل ذلـك بعـامين، وليـس قبـل آلاف السنين. كان من المهم بالنسبة لـه، أن يعـرف أدق التفـاصيل عـن الوحـدة منـذ أن أنشأها ابراهام ارنان وحتى اللحظة التي وصل فيـها إليـها.

أكثر يوني من الحديث عن شقيقه الصغير بيبي حتـى أنـه فـي مرحلـة مـا، اعترف بان أحد الأسباب التي حدت به للتطوع للخدمة فـي دوريـة الأركـان، رغبتـه في التواجد قرب أخيه وحمايته، ولم يكف عن الاهتمـام بشـؤونه، ليـس نـزولاً عنـد رغبة والديه، بل لأنه كان يحبه حبـاً جمـاً.

كان يوني يدرك طبيعة موقف بـراك الرافـض لإشـراك اثنيـن مـن عائلـة واحدة في نفس العملية، لذلك، حاول استغلال علاقـات الصداقـة التـي تجمعـه بـبراك لإقناعه بتفضيله على بيبي في العمليات الخاصة، وكـان يـدرك بأنـه، بـهذه الطريقـة، سيبعد بيبي عن المخـاطر.

وإضافة إلى العلاقة التي تربطـه بيونـي ، كـان لايـهود علاقـات بشـقيقه الصغير، بيبي، بيد أن الحديث يدور هنا عـن علاقـات مـن نـوع آخـر، فقـد كـان ايهود وفي مناسبات كثيرة، أستاذ بيبي، كمحارب وكقـائد طـاقم أيضـا.

يقول ايهود:" لقد كان الطابع الودي مع قـادة الأطقـم، جـزءاً لا يتجـزأ مـن عملي في الوحدة. كانت العلاقة المباشرة بين قائد الوحـدة والضبـاط، تفـوق مـا هـو مألوف في كتائب المظليين، التي لم تكن مشـاركة قـادة الكتـائب فيـها فـي نشـاطات قادة السرايا، بمثل هذا العمـق".

وعندما وقع الاختيار علـــى بيبـــي لتنفيــذ أول عملياتـــه فـــي الوحـــدة، عمـــل براك كموجه له ورافقه طيلـــة اشـــهر الاســتعداد للعمليـــة، حيـــث خـــرج معـــه إلـــى التدريبات وتابعه عن كثب في المناورة النهائيـــة، التـــي لا يمكـــن أن تصـــدر الموافقـــة على تنفيذ عملية خارج الحدود دونـــها.

قبل تلك العملية، واجه ايهود مشـــكلة كبـــيرة، كـــان عليـــه توحيـــد الطـــاقمين في طاقم واحد يقوم بعمل واحد. احتار القـــائد التنفيـــذي للطـــاقم تشـــاور مـــع منـــاحيم ديجلي الذي كان قد التحق بدورة مشاة البحرية في الولايـــات المتحـــدة، وتقـــرر أخـــيرا اختيار بيبـــي.

كانت السعادة تغمر بيبي، وقد شكر ايهود علـــى اختيـــاره، بعـــد ذلـــك بوقـــت قصير وصل شقيقه يوني ليشكر ايهود أيضا علـــى اختيـــار شـــقيقه. ورغـــم مخاوفـــه من العمليات الميدانية، الا أنه تمكن من السيطرة على نفسه ولـــم يضغـــط علـــى ايـــهود ليستثني يوني منـــها.

وعلى أية حال، شعر ايهود أن اختيـــاره لبيبـــي، أدخـــل الســـرور إلـــى نفـــس يوني، الذي اعتبر الأمر، بمثابة اعتراف بقـــدرة شـــقيقه الصغـــير علـــى قيـــادة عمليـــة خطيرة ومعقدة خارج الحـــدود.

يقول ايهود:" كان يوني نتنياهو شـــخصية تتســـم" بنبـــل الأخـــلاق، التصميـــم، الثقافـــة، والحساسية". لقد عرفته رجلا يتميز بالجدية والإخـــلاص فـــي كـــل عمـــل يقـــوم بـــه، ومع ذلك كنت اشعر بأنه يحس بشيء من وخز الضمـــير. أحسســـت بأنـــه يشـــعر أنـــه لا يتمكن من تقديم كل ما يريـــد".

منذ اللحظة التي عرفـــت فيـــها يونـــي الإنســـان، القـــائد والصديـــق، تعـــهدت برعايته وكنت أدرك انه سيأتي يوم يصبح فيـــه قـــائد الوحـــدة لطالمـــا تبادلنـــا أطـــراف الحديث حول الحياة في الجيش وخارجه. ولقد شـــعرت، منـــذ بدايـــات معرفتـــي لـــه أن في داخله قوة قيادية كبيرة، ليس أنا فقط، بل ابراهـــام ارنـــان ورئيـــس هيئـــة الأركـــان، اللذان اعجبا به وأحباه. كان يوني بالنســـبة لـــهما، أفضـــل المرشـــحين لخلافـــة ايـــهود

في نيسان ١٩٧٣ في قيادة الوحدة، بيد أن ايهود قرر التوصية لتعيين (جيورا زوريع)، الذي كان أكبر سنا وأقدم من يوني في الوحدة.

ويضيف ايهود:" ربما توقع يوني أن أوصي بتعيينه لكنني أرى من الأفضل أن يقود كتيبة مدرعات وأن يكتسب الخبرة، قبل أن يعود كقائد. وقد قبل يوني اقتراحي. وبعد أن أنهى مهمته كقائد كتيبة مدرعات، أدرك أن هناك(جيشا إسرائيليا) خارج الوحدة وسلاح المظليين، وإذا اراد الوصول بعيداً فإن عليه أن يتعرف إليه.

كانت فترة الخدمة في المدرعات، ومرحلة الدراسة بعد ذلك في جامعة (هارفارد)، من أجمل أيام (يوني)، وقد أخبرني بذلك أكثر من مرة. لقد تسلم يوني زمام قيادة الوحدة، بعد (جيورا زوريع) في نيسان ١٩٧٣، عندما أصبح أكثر فهماً ونضوجاً.

وعلى الرغم من حساسية وخصوصية العلاقة التي جمعت بينهما، اضطر ايهود لمواجهة القرار المهني، الذي حرم يوني من قيادة دورية هيئة الأركان.

في تلك الأثناء، بلغت الاستعدادات للعملية مرحلة متقدمة، حيث أصدر وزير الدفاع (بيرس) موافقته، فيما أبدى (رابين)، رغم موافقته على مبادئ الخطة، بعض التحفظ، وقد توجه إلى رئيس الموساد، اللواء (احتياط) (اسحق حوفي) وقال له:" لقد وافقت مبدئيا، على العملية، لكنني لن أحرر موافقتي النهائية، قبل أن يتم التأكد من أمرين: أولهما: عدم وجود عقبات وقناة أو حائط بين القاعتين القديمة والجديدة، وثانيهما، أن يكون الرهائن في القاعة القديمة، قبل الهبوط في عنتيبي، لا أريد أن يحدث لنا ما حدث لقوة" رينجرز" الأمريكية التي خرجت لإنقاذ الأسرى في شمال فيتنام، واتضح لهم فيما بعد أن الأسرى ليسوا في المكان.

وقد تعهد رئيس هيئة الأركان، (موطي جور)، من جانبه، بنقل رسالة بهذا الشأن، إلى رجل الموساد، (ناحوم أدموني)، الذي توجه إلى كينيا.

وفي الساعة الثانية من فجر يوم الجمعة، غادر ايهود مكتب يوني في الوحدة لأخذ قسط من الراحة، فيما واصل يوني و(موكي بتسار) مناقشة التفاصيل.

في ساعات ما قبل الظهيرة، عاد ايهود ويوني إلى قاعدة الوحدة، واتفقا على تشكيلة القوة التي ستشارك في الهجوم. كان العميد (دان شومرون)، قائد الوحدة، يشرف على عملية التوجيه الميداني في القاعدة والتي وصلت إليها جميع القوات، لدراسة أدق تفاصيل المهمة العسكرية، استعداداً للمناورات التي ستجري لمختلف الوحدات بعد ذلك. في تلك الأثناء، تم استدعاء ايهود للرد على مكالمة هاتفية وصلت إليه، كان'كوتي آدم' على الخط الآخر.

كوتي: احضر إلى مكتبي حالا ايهود، لكن ايهود شعر بأن نبرات صوته لا تبشر بخير.

ايهود: كوتي أنا في منتصف عملية التوجيه الأخيرة. ولا أستطيع مغادرة الموقع الان".

كوتي:" ليس هناك خيار آخر، ايهود غادر القاعدة وعد حالا".

خرج ايهود على الفور لمقابلته. كان يخشى أن يكون قد حدث شيء ما، تسبب في تشويش كل ما تم الاتفاق عليه.

وفي مكتبه، كسر (كوتي) حاجز الصمت وقال:" إنني مضطر لإلغاء مشاركتك في العملية. عليك التوجه بعد ساعتين، على متن طائرة خاصة إلى نيروبي، عاصمة كينيا، للإشراف على عملية تزويد الطائرة بالوقود في طريق العودة، إعداد مستشفى متنقل، تجهيز منظومة اتصال بنا، بغرفة القيادة المنقولة جواً، وبالمسؤولين في إسرائيل، والتنسيق مع الكينيين الذين لا يعرفون شيئا بالطبع. فإذا طرأ تشويش على سير العملية في عنتيبي، سنضطر للعمل من نيروبي".

ايهود:" هل جننت؟ عليك أن تجد شخصاً آخر غيري. باستثناء، (دان) لا أحد يعرف كل تفاصيل العملية مثلي".

كوتي:" فكرت باللواء يونه افراتي. أنه في طريـــق العــودة. ثــم أنننـــي ســأكون فـــي كينيا وسأكون بحاجة إلى وجود شخص بجانبي، يفهم العمليــــة وتفاصيلــها جيــداً.

ايهود:" أنت مخطئ. إنهم بحاجة لي فـــي عنتيبـــي. ويمكـــن أن تجــد غــيري ليقــوم بالمهمة في كينيـــا".

كوتي:" أعرف. ولكن للأسف لا خيار أمامي. ولا وقـــت أمامنـــا للاختـــلاف".

ايهود:" (دان) يعرف ذلـــك؟".

كوتي:" نعم. وكان الامر صعباً عليه. ليس هناك خيـــار. إنـــها الأوامـــر".

شعر ايهود في تلك اللحظة، وكأن السماء بثقلـــها قــد ســقطت عليــه. خــرج محطماً من مكتب نائب رئيس هيئــــة الأركـــان، وتوجــه إلـــى منزلـــه فـــي (رمـــات هشارون) لتبديل ملابسه وتوديع (نافا) وابنتيه. اخبر (نافا) بأنـــه ســيخرج فـــي مهمـــة إلى أوروبا. لكنها كانت تدرك تمامـــاً، بأنـــه ســيخرج فـــي مهمـــة تتعلـــق بالطـــائرة المخطوفـــة.

في ساعات ما بعد الظهيرة، أقلعت طائرة بيوينغ مـــن مطـــار بـــن غوريـــون، وعلى متنها عدد من الأطباء، الممرضين، مستشفى متنقل وايـــهود بـــراك بـــالطبع.

وقبل الإقلاع، اتصل ايهود بـــالعميد برويكـــا بـــوران، الســـكرتير العســـكري لاسحق رابين، وأخبره بأنه متوجه إلى نـــيروبي. ثـــم اتصـــل بجـــادي زوهـــر، أحـــد ضباط شعبة الاستخبارات، والذي كان عضـــواً فـــي طـــاقم التخطيـــط الـــذي يترأســـه واتفق معه على أن يكون ضابط اتصالـــه فـــي إســـرائيل. اتفقـــا فيمـــا بينـــهما علـــى شيفرات ســـرية.

وأراد ايهود أن يكون الاسم السري لرئيس الحكومـــة اســـحق رابيـــن،"صـــهر ابرميلا". وكان"ابرميلا" ابراهام بن آرتشي صهر رابين والاســـم الســـري للعملـــة" بـــار متشـــعيه".

يقول ايهود:" طرت إلى كينيا والألم يعتصرنـــي. للمـــرة الأولـــى فـــي حيـــاتي يتم إلغاء مشاركتي في عملية كنت جزءاً مهما منـــها، هـــذا إذا لـــم أكـــن فـــي قلبـــها.

طيلة الطريق إلى نيروبي لم أتوقف عن التفكير في الأمر. كيف يعقل أن أكون على متن الطائرة في طريقي إلى كينيا، وليس مع المحاربين".

كان بانتظاره في نيروبي، (ناحوم ادموني)، رجل الموساد، وعدد آخر من كبار الشخصيات في الجهاز. وقد اجتمع في نيروبي مع ايهود في محاولة للوصول إلى معلومات دقيقة حول ما يحدث في عنتيبي.

بعد العملية بسنوات نشرت صحيفة" ديلي اكسبرس" البريطانية، جزءا من تلك الجهود وقالت:" أن الموساد جند ضابطا بريطانيا متقاعدا، رجل أعمال، عاش في كينيا. كان طيارا هاويا، يملك طائرة صغيرة".

ووفقا لأقوال الصحيفة، خرج الشخص المذكور بتاريخ ٣-٧-١٩٧٦ فجرا، في رحلة إلى عنتيبي. وصور لصالح الموساد، المطار وما حوله. لم تؤكد إسرائيل أبدا هذا الأمر، لكن ما كشفته الصحيفة، أثار حفيظة (عيدي أمين)، حاكم أوغندا، الذي دعا الطيار البريطاني، عقب ذلك إلى زيارة مصالحة في أوغندا. وبعد الزيارة الحارة، وقبل أن يصعد إلى طائرته عائدا إلى حيث أتى، قدم له (عيدي أمين) هدية خاصة: شبلين في قفص شحنا على متن الطائرة. وفي طريق العودة انفجرت الطائرة وتحطمت وبذلك أنهى عيدي أمين حسابه.

في صبيحة السبت، وصلت الصور التي التقطت في عنتيبي إلى غرفة القيادة في كينيا، نظر ايهود بتركيز ووجد الإجابات على الجوانب التي أثارت قلق رئيس الحكومة: إذ لا يوجد هناك عقبات أو حواجز بين القاعتين القديمة والجديدة في مطار عنتيبي.

اتصل ايهود على الفور، برئيس هيئة الأركان وقال له:" كل المعلومات التي طلبها اسحق رابين في طريقها إليك. فيما يتعلق بالسؤال الأول، الرد إيجابي، وليس هناك عقبات وبمقدوركم العبور".

كان الاتصال مشوشا، وليس من الواضح ما إذا كانت المعلومة قد وصلت. نقلت المادة المصورة بطائرة "بوينغ" التي خرجت على الفور من كينيا

إلى شرم الشيخ٠٠ وقد وصلت الأفلام إلى قوة دان شومرون قبل بضع دقائق فقط من الإقلاع لتنفيذ العملية.

شعر براك في لحظة ما، أن (موطي جور)، لم يدرك بالضبط، طبيعة المادة التي ستصله. فعمد إلى الاتصال برجل اتصاله، جادي زوهر، الذي جلس في هيئة الأركان في تل أبيب وقال له:"أعلم موتي وسكرتير" صهر ابرميلا" أن كل شيء على ما يرام. وفيما يتعلق بالسؤال الأول: يمكن تنفيذ بار مشتعيه". وقد قام (زوهر) بدوره بنقل المعلومات إلى العميد (افرايم بورن)، السكرتير العسكري لرئيس الحكومة.

ومع وصول المعلومة الاستخبارية والمادة المصورة، أخذ قائد العملية، (دان شومرون) الموافقة على الإقلاع، لكنه لم يتسلم الموافقة على تنفيذ العملية. في تلك الساعة، عقد رئيس الحكومة، اسحق رابين، جلسة لمجلس الوزراء في تل أبيب، وأمر سكرتيره العسكري، بإصدار أوامره إلى الطائرات بالإقلاع والتحليق إلى حين صدور الموافقة النهائية. في تلك اللحظة، وصلت المعلومة التي كان ينتظرها اسحق رابين من كينيا، والتي تفيد بأن الرهائن سيكونون مع حلول الظلام على عنتيبي، في القاعة القديمة للمطار وعندئذ، صدرت الموافقة ونقلها موطي إلى غرفة القيادة المنقولة جواً، والتي ينتظر في داخلها، اللواء (كوتي آدم)، قائد سلاح الجو، اللواء (بيني بيلد) وقائد القوة العميد (دان شومرون).

كان ايهود في كينيا، بانتظار اتصال هاتفي من (جادي زوهر). وعندما سمع كلمة"صهر ابرميلا سيصل حتماً إلى بار متشعيه"، أدرك أن الطائرات الإسرائيلية في طريقها نحو الهدف.

كان ايهود على علم بالوقت المحدد لهبوط الطائرات، وكان يدرك أن استمرار العملية لأكثر من ساعة، يعني أن الوضع بات معقداً. وعندما أقلعت الطائرات فقط، وعلى متنها الرهائن، تلقى التقرير الأول بالكود السري من تل

أبيب: لقد فقدت القـوة عنصـرا واحـدا. هنـاك إصابـات. الطـائرات فـي طريقـها للتزود بالوقود من نيروبي الهبوط بعـد سـاعة".

استقبل ايـهود الطـائرات علـى مـدرج المطـار. وعندمـا فتحـت أبـواب طائرة"هيركوليس" الأول، وجد نفسه يعانق دان شـومرون. كـان شـومرون أول مـن أخبره بمقتل يوني في العمليـة.

دخل ايهود إلى الطائرة ليودع صديقه. كـانت علامـات الذهـول والصدمـة، ما تزال تعلو وجوه الرهائن. أشار أحدهم إلى سـرير ملقـى وسـط الطـائرة. كشـف ايهود الغطاء ونظر إلى وجه يوني الشاحب. حملـق فـي وجهـه، ودعـه، ثـم نـزل من الطائرة وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وشعر بجرح عميـق فـي داخلـه.

اتجه نحو موكي بتسار وعانقه. قال له موكـي:" لقـد أصيـب يونـي بعـد أن نزلنا من السيارة وانفصلنا عنه. ويبدو أنه أصيـب برصـاص جنـدي أوغنـدي مـن برج للمراقبة. بعد ذلك، تسلمت القيادة، واتصلت بـدان شـومرون وأعلمتـه بـالأمر، واستكملنا العملية. عدت إليه وعلمت بأن الطبيب لم يتمكـن مـن إنقـاذه.

سار ايهود باتجاه عدد من المقـاتلين- عومـر بـار-ليـف، شـاؤول موفـاز وامنون بيلد، جميعهم قادة القوات في الوحدة، ثـم عـاد إلـى غرفـة القيـادة واتصـل برئيس هيئة الأركان: لقد هبطت الطائرات وقتل يونـي خـلال العمليـة.

موتي:" هل حقا ما تقـول"؟

ايهود" نعم، وقد تم نقل الجرحى لتلقـي العـلاج. عمليـة الـتزويد بـالوقود، سـتنتهي بعد ساعة تقريبا. وسأتصل بك عندما تقلـع الطـائرات جميعـها".

بعد ذلك اتصل ايهود بمنزله في (رمـات هشـارون) كـانت السـاعة الثانيـة فجرا. تحدث إلى (نافا)، ثم أخبرهـا بمقتـل يونـي. وطلـب منـها اطـلاع زوجتـه (بروريا) على الأمر، بدل أن تعرف من مصـدر آخـر.

ايهود: "عليك عمل ذلك. لقد رأيت يوني قبل قليـل وودعتـه، بعـد دقـائق سـيعلنون عن العملية في الراديـو".

أقفلت (نافا) الخط، ثم نزلــت إلــى شــقة يونــي و(برورپــا). كــانت تتمنــى وهي تقرع الجرس أن لا تجيــب (برورپــا).

فتحت (برورپا) الباب. لم تكن (نافــا) قــادرة علــى الحديــث قــالت لــها أن ايهود هاتفها من نيروبي. ثم أردفت قائلة:" وقد أصيـــب يونـــي خــلال العمليــة"، ثــم أضافت:" وجراحه خطيرة". ثم انفجرت بالبكاء. أدركت (برورپــا) مــا حــدث. وبعــد بضع ساعات وصل ضباط من الوحدة وأخبروها بمــا حــدث.

بعد ذلك بيومين، دفن يوني في جبــل هرتســل بــالقدس، لــم يحضــر ايــهود مراسيم التشييع، حيث اضطر للبقاء فــي كينيــا يوميــن إضــافيين للاهتمــام بشــؤون الجرحى في المستشفيات، ولحل مشاكل ظــهرت فــي أعقــاب العمليــة فــي عنتيبــي. وبعد ثلاثة أيام فقط، عاد إلى إسرائيل، ثم توجــه إلــى مــنزل (بــن تســيون)، وكــان لقاؤه الأول بذوي يونــي.

صافحه (بن تسيون نتنياهو) وقال:" لقــد ســمعت عنــك الكثــير مــن يونــي، الذي كان يكن لك مشاعر الود والتقدير". تحدثت (تســيلا نتنيــاهو)، والدمــوع تنــهمر من عينيها:" لقد تحدث عنك يوني كثيرا في رســائله، ولطالمــا رغبــت فــي التعــرف إلى هذا القائد الذي أحبه... وهنا علق ايهود بقولــه:" كــان يونــي مثــيراً للدهشــة، أنه شخص نادر الوجــود".

اراد بيبي أن يسمع من ايهود، الكثــير عــن الأيــام والســاعات التــي ســبقت عملية عنتيبي. كانا يتحدثــان كشــخصين تجمعــهما كارثــة مشــتركة، وليــس كقــائد وحدة وضابط صغير تحدث بيبي عن مسألة تقســيم الإرث ومــا تركــه يونــي، وأراد من ايهود التدخل للوصول إلى تسوية مــع (برورپــا). بــذل ايــهود أقصــى طاقاتــه للمصالحة بين ذوي يوني وزوجتــه (برورپــا)، لكــن جــهوده هبــت أدراج الريــاح، وقد تسببت هذه المحاولة، فيما بعد بقطــع العلاقــات بينــه وبيــن ذوي يونــي، الذيــن زعموا بأن ايهود أبدى تعاطفه مــع (برورپــا).

بعد عملية عنتيبي ببضعة أشهر، وصلــت إلــى ايــهود رســالة مــن يونــي، كان قد أرسلها إليه عام ١٩٧٣ في جامعــة ســتانفورد، لكــن حــرب تشــرين ســبقت

وصول الرسالة، التي سلمت إليه بعد ثلاث سنوات. وقد أثنى يوني في رسالته على ايهود وكال له المديح. قرأ ايهود الرسالة، مرة تلو الأخرى، والدموع تنهمر من عينيه، وما زالت تلك الرسالة حتى اليوم، في بيت ايهود و(نافا) براك.

الفصل الثالث عشر

اللواء الصغير في هيئة الأركان
وضع نظرية بناء الجيش الإسرائيلي وشارك في غزو لبنان

في مطلع عـــام ١٩٧٧ تــرك (ايــهود بــراك) شــعبة العمليــات فــي هيئــة الأركان، وتوجهت العائلة- ولدت له بنت أخرى تدعـــى يــاعيل- مــرة أخــرى إلـــى الولايات المتحدة الأميركية. بهدف اســتكمال الدراســة.

التحق ايهود بجامعة"ستانفورد" كان هذه المرة أكــبر وأكــثر نضجــا وخــبرة، بيد أن الأهداف التي وضعها لنفسه قبل ذلك بأربع ســنوات، لــم تتغــير. إنــه مصمــم على إنهاء الدراسة ونيل شهادة معتمدة في غضون أقــل مــن عــامين، والعــودة بعــد ذلك، إلى الجيش الإســرائيلي.

وخلافا لفـــترة دراســته فــي القــدس، التــي اعتــاد خلالــها التغيــب عــن المحاضرات، لم يضيع ايهود في جامعة"ستانفورد" محـــاضرة-تقريبــا. وســرعان مــا أنهى الدراسة وعاد إلى الجيـــش.

لم يخف ايهود خلال اتصالاته مـــن الولايــات المتحــدة، رغبتــه فــي قيــادة فرقة مدرعات نظامية- وهي مرحلـــة مـــن الضـــروري أن يجتازهـــا مـــن يريـــد أن يصبح ضابطا رفيع المستوى على المســـار القيــادي.

للمرة الأولى في حياتـــه العســكرية، يصطــدم بــراك بعقبــة ليســت ســهلة. وسرعان ما اكتشف من اعتاد الدخول بحريـــة إلـــى مكــاتب الألويــة، حتــى عندمــا كان ضابطا صغيرا في الوحدة، أن الوصول إلـــى قيــادة فرقــة نظاميــة، ليــس أمـــرا ســهلا.

وكما كانت الحال عليه في مواجهات سابقة، وجد ايـــهود أمامـــه هـــذه المـــرة خصما قديما. ففي نيسان ١٩٧٨، عين (رفائيل ايتـــان) رئيســا لهيئــة الأركــان خلفــا لموطي جور. كان رفائيل بانتظار هذه اللحظـــة ليصفـــي حســاباته.

لم ينس رفائيل لايهود مناوراته التي قـــام بـــها فـــي منافســاته الخفيــة، علـــى العمليات الخاصة. وقد كان لديـــه مرشـــحان قديمـــان مـــن ســلاح المدرعـــات لقيــادة الفرقتين النظاميتين- يوسي بيلد للفرقة النظاميـــة الجنوبيـــة وعمـــيرام متســـناع للفرقـــة النظامية الشمالية. كان أيضا لدى قائد القطاع الشمالي، اللـــواء افيجــدور"يــانوش" بـــن جال ما يقوله. فقد كان"يانوش"، صديــق رفــائيل، يفضـــل تنصيـــب عمـــيرام متســـناع

قائدا للفرقة الشمالية. ولم يجـد نفعـا تدخـل نـائب رئيس هيئـة الأركـان، اللـواء يكتوئيل آرام، واللواء دان شـومرون.

تعتبر قيادة الفرقة الشمالية النظامية، مطمـح كـل ضـابط رفيـع المسـتوى، يرنو للوصول إلى رتبة لـواء. تسـلم ايـهود آنـذاك فرقـة احتياطيـة-كـانت فرقـة متميزة قادها اريك شارون في حرب ١٩٧٣، بيد أنها اليـوم فرقـة احتياطيـة.

واجه ايهود التحدي الجديد بكل شجاعة وقوة وصمـم علـى إكسـاب الفرقـة، القدرة العملية التي تتمتع بها الفرقـة النظاميـة.

تمكن ايهود مـن إثبـات قدراتـه بعـد بضعـة اشـهر. فقـد بـادر الجيـش الإسرائيلي إلى إجراء مناورة ثنائية على مستوى الفرق، فـي منطقـة سـيناء. تجمـع بين فرقة براك الاحتياطية وفرقة يوسي بيلـد النظاميـة.

بذلت الفرقتان جهودا كبيرة فـي إطـار الاسـتعدادات، وأعـد قـائد القطـاع، دان شومرون، هيئة تحكيم لتحديد الفرقـة الفـائزة. بيـد أن الضبـاط الذيـن شـاركوا في المناورة، لم ينسوا بعد ذلك الأشهر الطويلة التي لـم يـهدأ الجـدل خلالـها، حـول الجهة الفائزة. سجل براك لنفسه على هامش هـذه المنـاورة إنجـازا متمـيزا. فقبـل أن تبدأ، استدعى قدامى دورية هيئة الأركـان وعلـى رأسـهم العقيـد موكـي بتسـار لخدمات احتياطية خاصة. وقد عين بتسـار قـائدا لوحـدة اسـتطلاع خاصـة، تابعـة للفرقة، ألقيت على عاتقها مهمة سرية- تشـويش "منظومـة الخصـم".

جرت المناورة كالمناورات السابقة فـي الجيـش الإسـرائيلي، غـير أن أحـدا في فرقة يوسي بيلد، لم يلحظ وحدة الاستكشـاف التـي نجحـت فـي اخـتراق غرفـة قيادة الفرقة ليلا، حيث تمكن موكي ومعاونوه مـن شـل حركـة منظومـة الاتصـال والسيطرة في قيادة الفرقة الخصم. كما نجحـوا بواسـطة جـهاز خـاص، فـي نـزع قطعة مهمة جدا من غرفة الاتصال تعتبر ضرورية للاتصـال مـع الوحـدات.

كانت الاضطرابات التي نشبت عقـب المنـاورة ، فريـدة مـن نوعـها. وقـد أمر اللواء دان شومرون، الذي أشرف علـى المنـاورة بوقفـها مؤقتـا إلـى أن يتـم العثور على القطعة المفقـودة.

في نهاية عام ١٩٧٩، تسلم براك قيادة الفرقة النظامية في الجنوب، خلفاً ليوسي بيلد. وقد وصل إلى هذا المنصب بعد أن أثبت نفسه كضابط مدرعات بارع نشط، أجرى مناورات ناجحة، وسجل رقماً قياسياً كقائد ميداني يملك القدرة على تفعيل قوات كبيرة. وقد كان العقيد، داني يتوم، احد قادة الالوية في الفرقة.

كان دان شومرون قائد القطاع، وعلاقاته كانت جيدة بطبيعة الحال مع ايهود وبلغت ذروتها في عملية عنتيبي، حيث شارك براك شومرون في أفكاره بشأن تشكيل وحدة خاصة، وقد أبدى شومرون تحمسه للفكرة، وكما يبدو، كانا يثقان بأنه لو كانت هناك وحدة مماثلة في حرب تشرين ١٩٧٣، لكانت صورة الحرب خلال الأيام الأولى مختلفة تماماً.

غير أن رفائيل، لم يكن يحب المفاجآت. وقطعاً تلك التي يشارك فيها دان شومرون وايهود براك.

في الثالث والعشرين من نيسان ١٩٨٠، وفي ذروة مناورة الفرق في سيناء، وصل النبأ المفجع: لقد مات ابراهام أرنان الذي شكل دورية هيئة الأركان بعد صراع دام عشر سنوات مع مرض السرطان.

طار براك إلى تل أبيب، وقام بتأبين ارنان، منفذاً بذلك وصيته التي كتبها قبل وفاته بسنوات طويلة. وقد دفن أرنان في جبل هرتسل بالقدس بالقرب من "دادو" ويوني نتنياهو.

في نهاية عام ١٩٨١، نفذت الفرقة النظامية مناورة كبيرة في سيناء، كانت آخر المناورات الكبيرة، قبل نقل سيناء إلى السيادة المصرية، وقد كان من بين الحضور، اريئيل شارون، الذي عين وزيراً للدفاع منذ تموز ١٩٨١، وقد تابع باهتمام مجريات المناورة، واعجب بسرعة حركة الدبابات وسرعة بديهة قائد الفرقة وأثنى على براك وصافحه بحرارة.

بعد انتهاء المناورة ببضعة أسابيع، دعي العميد براك إلى مكتب رئيس هيئة الأركان، رفائيل ايتان. كان اللقاء قصيراً. ورفائيل كعادته، لم يكثر من الكلام. قال له:" قررت تعيينك رئيسا لشعبة التخطيط في هيئة الأركان. وسيدخل

التعيين حيز التنفيذ بتاريخ ١-١٢-١٩٨١، وسيتم ترفيعك إلى رتبة لواء "بالنجاح والتوفيق".

صافح ايهود رئيس هيئة الأركان. وبعد أن اصبح خارج المكتب فقط، تمكن من إطلاق ابتسامة واسعة. لقد نجح في الصعود من رتبة مقدم إلى رتبة لواء. وقبل أن يصبح في الأربعينيات من عمره، كان أصغر لواء في هيئة الأركان العامة التي يترأسها رفائيل. وقد ولدت قبل ذلك بوقت قصير ابنته الثالثة عنات.

كانت شعبة التخطيط، الأقل أهمية في هيئة الأركان، بيد أن براك كان يثق بقدرته على تغيير هذا الانطباع، إذ أثبت أهمية أوراق العمل والتخطيط التي سيقدمها. وبالفعل، أصبحت شعبة التخطيط في عهد براك، نشطة ومهمة على صعيد وضع تقديرات استراتيجية للأيام العادية وللطوارئ. ولم يكن براك ينتظر المهام، بل يخلقها.

كانت المهمة الأولى ، إعداد"نظرية بناء القوة العسكرية الإسرائيلية"، ولطرحها أمام وزير الدفاع. وقد أدهش وضوح أسلوب طرح الخطة ومضمونها أعضاء هيئة الأركان، بينهم رئيس شعبة الطاقة البشرية، رئيس شعبة الإمداد والتموين، ونائب رئيس هيئة الأركان، الذين وجدوا من الصعب التصديق بأن الخطة طرحت على يد لواء، وصل إلى الشعبة قبل ذلك بثمانية أيام فقط. أما رفائيل، فقد سعد بانشغال اللواء الصغير في أمور لم تبد، من وجهة نظره، على رأس سلم الأولويات، لكنها كانت مهمة لمستقبل الجيش الإسرائيلي على المدى البعيد.

وجد براك الفرصة أمامه، لتطبيق كل ما تعلمه أثناء إعداده رسالة الماجستير في مجال تحليل المنظومات. وقد قرر التخطيط لحاجات الجيش الإسرائيلي على خلفية تقليص مكثف لميزانية الدفاع. وبذلك، تكون شعبة التخطيط، قد أخذت على عاتقها مهمة التخطيط الاستراتيجي الإشراف على

منظومة الاتصال في ساعات الطوارئ، وفحص الاحتياطي في مخازن الطوارئ.

في تلك الأيام، بدأت شعبة التخطيط تطبيق نتائج لجنة "اغرنات" في كل ما يتعلق بوحدات مخازن الطوارئ، كي لا يتكرر ما حدث في تشرين أول ١٩٧٣.

غير أن المسألة الأهم التي رافقت براك في شعبة التخطيط، وعلى مدى سنوات خدمته، إلى أن أنهى مهامه كرئيس لهيئة الأركان هي: تحديد اتجاهات لتطوير المعدات الحربية ونظرية العمل في ساحة الحرب المستقبلية.

في مقابلة أجريت معه في مطلع عام ١٩٨٢، طرح اللواء براك أفكاره حول مهمة شعبة التخطيط فقال:" أنه مجال تتنافس فيه وبشكل يومي، مع العدو دون أن تعرف ما يفعل، الحروب تُحسم فوزاً أو خسارة وفق مستوى نجاح الجيوش في تحديد اتجاهات العمل الصحيحة في الفترة الواقعة بين الحروب، والعمل وفقاً لها.

ويجدر بنا التنويه هنا، إلى أنهم ما زالوا يعزون لبراك حتى اليوم، الفضل في دفع مسيرة تطوير العاب الحرب المحوسبة، لا سيما وأنه درس بشكل نظري منظومات أسلحة حديثة، لمعرفة مدى تأثيرها على ساحة الحرب في نهاية القرن العشرين.

تسلم براك إلى جانب منصبه في شعبة التخطيط، مهمة أخرى لساعة الطوارئ: نائب قائد الجيش. فقد أصر وزير الدفاع، ارييل شارون، على تعيين براك قائداً للجيش، بيد أنه استسلم أخيراً لرأي رفائيل، الذي احتفظ بالمنصب للواء افيجدور(يانوش) بن جال، الذي كان آنذاك في فترة الدراسة في الولايات المتحدة، بعد أن أنهى مهامه كقائد للمنطقة الشمالية. وقد تم التوصل إلى تسوية يقود ايهود بمقتضاها الجيش، ويعده للحرب. لكن في حال اندلاع الحرب، سيعود "يانوش" ليتسلم عملياً، قيادة الجيش، وسيكون ايهود نائبه.

لم يشهد الجيش الإسرائيلي سابقات كثيرة من هذا النوع، وحسب تقديرات هيئة الجيش، سيكون هذا الربط بين'يانوش' وبراك مثيراً للإشكالات. وبعد مرور فترة غير طويلة، اتضحت صحة هذه التقديرات، عندما وجد الجيش نفسه في مواجهة ألوية المدرعات السورية في لبنان. كان براك يدرك بأن هذا الامر سيثير الاشكالات، لكنه لم يشأ الاعتراض على قرار رئيس هيئة الأركان.

في عام ١٩٨٢، بدأت تهب رياح الحرب. فقد توالت الاستعدادات وحالات التأهب مرة تلو الأخرى، وعادت منظومات الحرب إلى وضعها الطبيعي مرة تلو مرة. بيد أن تقديرات الجيش، كانت واضحة، وتشير إلى اقتراب موعد المواجهة المباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

بدأت المواجهة. وبتاريخ ٣-٦-١٩٨٢، تم إطلاق النار على سفير إسرائيل في بريطانيا، شلومو ارغوب، كان وزير الدفاع آنذاك في زيارة رسمية لرومانيا، وقد عاد على وجه السرعة إلى إسرائيل. وعلى الرغم من غيابه، اتخذت حكومة بيغن قراراً لا رجعة فيه، يقضي بمحاربة(الإرهاب) القادم من لبنان. وقد كانت هذه الفرصة التي انتظرها زمناً طويلاً.

خرج ايهود براك إلى قيادة الجيش. كان'يانوش' ما يزال في الخارج ولما تم استدعاؤه، غادر جامعة هارفارد، واسرع على متن أول طائرة، إلى إسرائيل. بعد ذلك، بدأ اللواءان الاستعدادات الأخيرة للحرب.

كانت مهمة الجيش، كما وصفها قائد القطاع الشمالي، المسؤولة عن القطاع الشرقي لسهل البقاع، الذي كانت تتمركز فيه قوات سورية. وقد تقرر، أن لا تبادر إسرائيل إلى شن هجوم ضد السوريين، إذا ما التزموا جانب المحايدة. وفي حال تدخلهم لمساعدة المسلمين، سيجدون (أنفسا)سهم في مواجهة جيش مستعد لخوض الحرب.

لم يلعب الجيش دوراً مركزياً في المعارك التي جرت خلال الأيام الثلاثة الأوائل. فقد اقتحمت الفرق بقيادة(اسحق مردخاي) ،(افيجدور كهلاني)، (عمنوئيل سيكل)، (مناحيم عينان)، لبنان وتحركت شمالاً. وفي اليوم الثاني

للحرب. وبعد احتلال مدينة(حاصبيا)، تسلم الجيش المسؤولية عن القطاع الشرقي. توجهت الفرقة إلى الشمال باتجاه بحيرة"القرعون" وسهل البقاع. كانت الرسالة الموجهة للسوريين واضحة- إذا تدخلتم، نحن هنا.

استعرت الحرب في القطاع الشرقي، في يومها الخامس، حيث دفع الجيش الإسرائيلي بقواته نحو الشمال، وتدخلت القوات السورية في سهل البقاع لصد القوات الإسرائيلية. عندئذ، أمر وزير الدفاع، اريئيل شارون بتغيير تكتيكي، يقضي بضرب السوريين في كل مكان يحاولون فيه التدخل في الحرب.

في ذلك المساء، تلقى الجيش الإسرائيلي الأوامر للتحرك شمالاً، واحتلال طريق بيروت-دمشق، كخطوة استراتيجية تهدف إلى قطع الجيش السوري عن بيروت.

بلور قائد الجيش، اللواء افيجدور بن جال خطة الحرب التي كانت تنص على السيطرة على "مثلث توبلانا"- مفترق طرق استراتيجي يتحكم بقرية السلطان يعقوب التي تبعد مسافة بضعة كيلومترات جنوب طريق بيروت -دمشق- تحت جنح الظلام، وشن الهجوم من هناك في الصباح. وفي وقت متأخر، وصلت الأوامر من قيادة القطاع بالاستعداد للدفاع، واتفق "يانوش" مع براك على أن يكون الدفاع على نفس الخط.

خرج "يانوش" ليلا إلى المجموعة القيادية في القطاع الشمالي. وكان قبل ذلك، قد أمر نائبه براك، والعميد عميرام متسناع بالبدء في دفع قوات الجيش إلى مواقعها.

في الساعة الواحدة والنصف فجرا، عاد"يانوش" وفوجئ بأن القوات ما تزال بعيدة عن أهدافها، وقد أخبره براك ومتسناع بأن هناك مشكلة، حيث أرسلت قوة مدرعات متقدمة، تقريرا يتحدث عن صدامات مع السوريين، وأنه يخشى مع ذلك، أن يكون الحديث حول تبادل لإطلاق النار، بين القوات الإسرائيلية، بطريق الخطأ. ففي وقت مبكر من ذلك اليوم، هاجمت طائرة من سلاح الجو قافلة دبابات تابعة للجيش الإسرائيلي، وتسببت في حدوث خسائر

كبيرة. والخوف من حدوث أخطاء مصيرية أخـــرى، تعرقـل تقـدم الدبابـات باتجـاه مفترق "طرق توبلانـا".

أمر ايهود براك جميع القوات بالتحرك في مواقعها وبـدأ التـاكد مـن أمـاكن وجودها. في غضون ذلك، تشكل لديـه انطبـاع بـأن إحـدى القـوات، تتواجـد فـي منطقة جنوبية تبعد كثيراً عما تم تحديده في التقـارير الـواردة حتـى الآن. فـي تلـك الأثناء ذكرت نفس القوة، أنـها(شـخصت) وجـود صواريـخ سـورية علـى ظـهر مدرعـات.

كان"يانوش" قد وصل في تلك السـاعة مـن القطـاع الشـمالي، ولـم يـدرك طبيعة ما يجري، فأمر بفتح النـار علـى السـوريين. غـير أن متسـناع، الـذي راوده نفس الشعور الذي راود براك، وشك فـي وجـود أمـر غـير طبيعـي فـي التقـارير، طلب من "يانوش" التريث للتأكد من أن الحديث لا يدور حـول قـوة تابعـة لنـا. وقـد أخذ "يانوش" برأيـه.

أمر براك قـائد الكتيبـة، بـالنزول مـن الدبابـات والتحـرك بحـذر باتجـاه الصواريخ للتأكد من أن الحديث يدور حـول وحـدة سـورية. وبعـد وقـت قصـير، وصل التقرير عبر أجهزة الاتصـال، وتبيـن أن تلـك القـوة، وحـدة تابعـة للجيـش الإسرائيلي. لقد نجحوا بأعجوبة في الحيلولـة دون حـدوث كارثـة.

معركة السلطان يعقوب

كانت الساعة الثانية فجراً، وتلقت القـوات ثانيـة، الأمـر بمواصلـة التحـرك باتجاه الـهدف- مثلـث توبلانـا. ومـع أول بصيـص للنـور، أعلـن قـائد كتيبـة المدرعات التي تحركت منفردة، الاصطدام بكمين سـوري، ووقـوع عـدد كبـير مـن الجرحى. عند ذلك فقط، تأكد قـائد الجيـش مـن أن قسـماً مـن القـوات لا تعـرف مواقعها بالتحديد. وتبين أن الكتيبة المنفردة، تتواجد علـى مسـافة ثلاثـة كيلومـترات شمال (مثلث توبلانا)، وتخوض معركة مع قوة سورية فـي أطـراف قريـة السـلطان يعقوب، وأن كتيبة جيورا ليف، التي أعلنت ظهر يـوم الخميـس أنـها تتواجـد علـى السلسلة الصحراوية فوق مثلث توبلانا، كانت تتواجد في حقيقـة الامـر علـى مسـافة

ثلاثة كيلومترات جنوب الموقع. ولقد تسببت هذه التقارير في تضليل قيادة الكتيبة وقيادة الجيش.

أمر "يانوش" أحد ألوية المدرعات بالتحرك باتجاه القوة الإسرائيلية التي وقعت في الكمين السوري لمساعدتها، وقد أرسل قائد الجيش قوات أخرى للمساعدة، كما انضم العميد عميرام متسناع إلى قوات كتيبة يوم -طوف سامية، التي حاولت الاتصال مع القوة المنفردة، فيما تم إرسال ايهود براك ومعه العقيد، شموئيل اراد وقوة مظليين احتياطية، بقيادة دوبي هلمان، لاعداد قوة من سلاح المشاة.

كذلك، توجهت قوة أخرى مدرعة، بقيادة العقيد جيورا ليف، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لبلدية (بيتح تكفا)- إلى القوة لانقاذها من الكمين. وقد أعلن قائد القوة، المقدم عيرا عفرون، أن الوضع صعب.

كان جيورا ليف، أول الواصلين إلى نهاية السلسلة الصخرية فوق" مثلث توبلانا" وفي اللحظة التي اشرف فيها على المنطقة، أوصى "يانوش" على الفور بإصدار الأوامر إلى كتيبة عيرا عفرون، بالتوجه جنوبا نحو قواتنا. وافق "يانوش" على ذلك. واعد العميد مزراحي قوة مدفعية مكثفة قامت بالتغطية لاتمام عملية الانسحاب، ثم توجهت القوة جنوبا.

خسائر إسرائيلية كبيرة

استمرت المعركة في قرية السلطات يعقوب حتى ساعات الظهيرة. كانت النتائج صعبة، حيث وقع عدد كبير من الجرحى، وأكلت النيران عددا كبيرا من الدبابات، فيما فقد عدد من الجنود-كلهم مقاتلون في سلاح المدرعات،- احترقت دباباتهم ووجدوا انفسهم بين الجنود السوريين والمسلحين.

ومقابل التقارير السيئة الواردة من قرية السلطان يعقوب، وصلت إلى قيادة الجيش تقارير تحدثت عن وجود كتيبة دبابات سورية من طراز (T-72) تتحرك باتجاه القرية المذكورة. وقد طلب "يانوش" موافقة رئيس هيئة الأركان على ضربها. وافق" يانوش" وأعد العميد يوسي بيلد، أحد كبار قادة الجيش كمين مدرعات للدبابات السورية، ويمكن القول بأن نجاح العملية، وإضرام النار في

عشرات الدبابات السورية، دون وقوع أي إصابات في صفوف افرادنا، قد أسهم في تحسين المزاج السائد في قيادة الجيش، عقب فشل عملية السلطان يعقوب.

في صبيحة اليوم التالي، بدأ قائد الجيش التحقيق مع قادة الوحدات، الذين كان يفترض أن يصلوا إلى مشارف"توبلانا". وأن يتمكنوا من السيطرة على طريق بيروت- دمشق. وقد تبين أن بعض قادة الألوية، اخطأوا في تحديد الموقع الذي تواجدوا فيه في الليلة السابقة، مما أدى إلى تشويش صورة الوضع وفشل الخطة.

تجدر الإشارة إلى أن بعض ضباط الجيش، المقربين من"يانوش" القوا عبء المسؤولية عن الفشل على عاتق اللواء أيهود براك، بذريعة أن "يانوش" خرج إلى المجموعة القيادية في القطاع الشمالي، وكان نائبه هو المسؤول عن تحركات القوة.

غير أن الحقيقة كانت مختلفة فوقوع القوة في الكمين السوري، كان قبل بزوغ الفجر، وبعد ساعات من عودة"يانوش" إلى قوة الجيش، وهذا يعني أنه أشرف في تلك الساعة على القوات. كذلك، دافع براك عن اللواء بن جال، في جميع التحقيقات التي جرت في فترة الحرب وما بعدها، وزعم أنه غير مسؤول عن الفشل في السلطان يعقوب.

الفصل الرابع عشــــــر

ايهود٠٠٠رئيسا للاستخبارات العسكرية
عارض "الشريط الأمني" بجنوب لبنان وتنبأ بالخسائر الجسيمة

بتاريخ ٧-٢-١٩٨٣، نشرت لجنة كوهين نتائجها في قضية مذبحة مخيمات اللاجئين، (صبرا وشاتيلا) قبل ذلك بخمسة اشهر، وتحديداً بتاريخ ١٨-٩-١٩٨٢، انتقم عدد من الجنود اللبنانيين لمقتل الرئيس اللبناني (بشير الجميل)، وقتلوا مئات الفلسطينيين، في مخيمات اللاجئين غربي بيروت.

أثارت الصور الفظيعة للمذبحة، هزة في إسرائيل والعالم، وقد وجهت انتقادات شديدة للجيش الإسرائيلي الذي لم يمنع حدوث المذبحة في المنطقة الواقعة ضمن حدود سيطرته ومسؤوليته القيادية.

أثارت نتائج اللجنة، ضجة جماهيرية وسياسية في إسرائيل. فقد اضطر وزير الدفاع، اريئيل شارون للاستقالة من منصبه.

وألقت اللجنة بالمسؤولية على أربعة ضباط في الجيش: رئيس هيئة الأركان، رفائيل ايتان، الذي تم توجيه اللوم إليه، لكن لم تتم تنحيته، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اللواء يهوشع ساغي، الذي اضطر لاعتزال منصبه، قائد القطاع الشمالي، أمير دورون وقائد سلاح المشاة والمظليين، العميد عاموس يارون، اللذين حرما من شغل مناصب قيادية على امتداد ثلاث سنوات.

رأى براك بأن اللجنة كانت قاسية أكثر مما ينبغي على قيادة الجيش ووزير الدفاع، فقد كانت استقالة شارون ضربة قوية. كيف لا، وهو يكن له التقدير الشديد، وهو الذي قال أكثر من مرة، أن براك الضابط اللامع في الجيل الجديد، في هيئة الأركان مرشح لأن يصبح قائد قطاع.

لم يخف ايهود رغبته في الوصول إلى منصب قائد قطاع. كانت شعبة التخطيط في هيئة الأركان، من وجهة نظره، محطة مثيرة، تعلم فيها الكثير عن طابع ونشاطات هيئة الأركان العامة، لكنها تظل رغم ذلك، مجرد محطة على طريق السير نحو الأمام. كانت قيادة القطاع الشمالي على رأس أولوياته، تليها قيادة القطاع الجنوبي، وكان يرى بأن تقرير لجنة كوهين، سوف يتيح المجال لحملة تعيينات جديدة، ووجد نفسه مرشحا لأحد تلك المناصب.

بعد نشر نتائج لجنة كوهين ببضعـــة أســابيع اســتدعي اللــواء بــراك للقــاء شخصي مع نائب رئيس هيئـــة الأركـــان، اللـــواء موشـــيه ليفـــي، الـــذي كـــان مـــن المفترض، أن يعين في غضون وقت قصير، رئيســـاً لهيئـــة الأركـــان العامـــة، خلفـــاً لرفائيل.

كان رئيس هيئة الأركان الجديد موضوعياً. قال له:" لقد قررت تعيينـــك رئيســاً لشعبة الاستخبارات. من وجهة نظري، أرى بأنك الأفضل لشغل هذا المنصب".

لم يستطع ايهود إخفاء دهشته. حاول إقناع ليفـــي وقـــال لـــه:" أشـــكرك علـــى هذا الاقتراح، لكنني أرى أن منصب قـــائد قطـــاع يناســـبني أكـــثر. كـــان طـــابع كـــل مسار خدمتي، تنفيذياً. لذلك، أنا واثق من وجود مـــن هـــم أفضـــل منـــي لشـــغل هـــذا المنصـــب".

لم يقتنع ليفي بذلك، وقد أوضح لـــبراك مـــدى الأهميـــة التـــي يعزوهـــا لتعييـــن ضابط مثله في منصب رئيس شعبة الاســـتخبارات. لـــم ينجـــح ايـــهود فـــي زحزحتـــه عن موقفـــه.

وفي لقاء آخر، حاول موشـــيه ليفـــي، بالتعـــاون مـــع وزيـــر الدفـــاع موشـــيه ارنس، وقائد سلاح الجو، اللواء دافيد عفـــري، الضغـــط مجـــددا علـــى بـــراك لقبـــول المنصب، وقد استجاب هذه المرة لطلبهم. وفـــي ختـــام اللقـــاء، اتفـــق وزيـــر الدفـــاع ارنس، ونائب رئيس هيئة الأركـــان علـــى تســـجيل إجمـــال للقـــاء، لـــدى الســـكرتير العسكري لموشيه ارنـــس، ينـــص علـــى أن يكـــون التعييـــن محـــددا بمـــدة عـــامين بالضبط، يعين براك بعد انقضائها قـــائدا لقطـــاع.

لم يدرك ايهود في ذلك الوقت، أن المســـؤولية عـــن التعييـــن ملقـــاة فـــي واقـــع الامر، على عاتق داني يتوم، الســـكرتير العســـكري لوزيـــر الدفـــاع، ارنـــس، الـــذي حضر لقاء ارنس وموشيه ليفي، والذي أوصـــى بتعييـــن ايـــهود بـــراك، بـــدل أمنـــون ليفكين شاحك، الذي اقترح ليفي تعيينه فـــي البدايـــة.

أصاب اللقاء ايهود براك بخيبة أمل. إنها المـــرة الأولـــى التـــي تتعرقـــل فيـــها خطته.

بدأ براك الاضطلاع بمهامـــه الجديـــدة بتـــاريخ ٨-٣-١٩٨٣. دخـــل مكتـــب رئيس هيئة الأركان، حملق في صور جميع من سبقوه إلى هــــذا المنصـــب منـــذ عـــام ١٩٤٨. كانوا تسعة، استقال ستة منهم علـــى خلفيـــة اخفاقـــات اســـتخبارية أو حـــوادث خارجية: ايسر باري، بنيامين جيبلـــي، حـــاييم هرتســـوغ، يهوشـــفاط هركـــافي، ايلـــي زعيرا ويهوشع ساغي، فيمـــا أنـــهى الثلاثـــة الأخـــرون،–مـــائير عـــاميت، اهـــارون ياريف وشلومو غازيت، مهام مناصبهم في الوقـــت المحـــدد.

كان معظم رؤساء الاســـتخبارات ضباطـــا قيـــاديين وليســـوا ضباطـــا مقـــاتلين، يحظون بتقدير كبير في هيئة الأركان بيد أن أحدا منهم لـــم يصـــل إلـــى رئاســـة هيئـــة الأركـــان.

أحسّ بـــراك فـــي اجتماعـــات التعـــارف مـــع كبـــار المســـؤولين فـــي ســـلاح الاستخبارات، وخلال أيامه الأولى هناك، بأنه يتوق إلـــى زملائـــه فـــي دوريـــة هيئـــة الأركان والوحدات الميدانية التي تولى قيادتها. بـــدت لـــه الأجـــواء الجديـــدة، غريبـــة بعض الشيء، بالنسبة لشخص أمضى أكـــثر أيـــام خدمتـــه العســـكرية فـــي الميـــدان. غير أنه سرعان ما أعاد النظر في الوضع، وفي غضـــون بضعـــة أشـــهر بـــدأ يشـــعر بـــالرضى.

اكتشف ايهود عمق المسؤولية والطاقـــة الكامنـــة فـــي هـــذا المنصـــب. كـــان يدرك أهمية شعبة الاستخبارات في الوســـط الاســـتخباري، كمـــا كـــان يـــدرك عمـــق الأذى الذي خلفه قرار لجنة(اغرنات) بشـــأن تنحيـــة رئيـــس الشـــعبة، اللـــواء يهوشـــع ساغي. وكان أول قراراته، التعاون مـــع عنـــاصر الاســـتخبارات الأخـــرى، وتحويـــل شعبة الاستخبارات إلى منظومة فاعلـــة نشـــطة–وخلاقـــة، تتفـــوق علـــى اســـتخبارات العدو والمنظومات الاستخبارية الأولـــــى.

كان أول لقاءاته التـــي أجراهـــا فـــور تسـلمه زمـــام منصبـــه، مـــع اللـــواء (احتياط) شلومو غازيت، الـــذي عيـــن رئيســـا لشـــعبة الاســـتخبارات عقـــب حـــرب تشرين ١٩٧٣، ونجح في استكمال مـــهام منصبـــه.

وقد أشار عليه غازيت بقولـــه:" كرئيـــس لشـــعبة الاســـتخبارات، أنـــت ملـــزم بالقراءة المتواصلة. أبدا في الصباح مـــع صحيفـــة "هـــآرتس" وأخبـــار إذاعـــة (بـــي. بي.سي) بعد ذلك استمع إلى أحداث الساعة في الراديـــو. وهنـــا، تكـــون قـــد عرفـــت ٦٠% مما يجـــب عليـــك تحصيلـــه، وستســـتكمل ٤٠% مـــن خـــلال قـــراءة المـــواد الاســـتخبارية.

شكر براك غازيت علـــى نصائحـــه، لكنـــه قـــرر العمـــل أكـــثر مـــن ذلـــك. واستجابة لنصائح ايتمار رابينوفيتش، الذي اصبح فيمـــا بعـــد صديقـــه المقـــرب، بـــدأ ايهود قراءة كتب التاريخ. وفي أحد الأيام، وقـــع بيـــن يديـــه كتـــاب تحـــت عنـــوان:" ذكريات من لبنان" أعده دبلوماسي يدعـــى (أزيلـــي) عـــام ١٨٥٠.

كان أزيلي قنصلاً فرنسياً في لبنان. بـــدأ بـــراك بـــالقراءة وذهـــل ممـــا قـــرأ، وكأنه لم يمض ١٣٠ عاماً منذ ذلك الحيـــن. المســـيحيون نفـــس المســـيحيين، الـــدروز هم الدروز والقضية نفس القضية. كـــانت العائلـــة الدرزيـــة المســـيطرة علـــى جبـــال الشوف هي عائلة جنبلاط. في أحـــد الأيـــام هـــاجم الـــدروز قريـــة مســـيحية واجلـــوا سكانها. استنجد السكان بالفرنسيين، الذين اكتشفوا خلال وقـــت قصـــير مـــدى التعقيـــد القائم في لبنـــان.

أثار الكتاب حماس براك، وقد أخـــذه معـــه إلـــى إحـــدى جلســـات الحكومـــة، حيث شرح للوزراء أوجه الشبه بين الماضي والحـــاضر فـــي لبنـــان.

نجح براك أكثر من سابقيه ومن خلال التنســـيق مـــع رئيـــس هيئـــة الأركـــان في خلق قناة للحوار المباشـــر مـــع رئيـــس الحكومـــة ووزيـــر الدفـــاع. وقـــد كـــانت التقارير السرية، التي قدمها اليهما، مختلفة عما اعتـــادا عليـــه فقـــد حلـــل المعطيـــات، واضاف نتائج معللة، وبـــدت الصـــورة الاســـتخبارية التـــي وصلـــت إلـــى مســـؤولي الأجهزة السياسية والأمنية، في مســـتوى آخـــر.

قبل أن يتسلم زمام منصبـــه الجديـــد، اعتـــاد رؤســـاء شـــعبة الاســـتخبارات. الظهور وبشـــكل مســـتمر أمـــام الهيئـــة السياســـية والمجلـــــس الـــوزاري لتقديـــم

التقديرات الاستخبارية بيد أن مستوى الثقة بهم، تراجع إلى حد ما، عقب المغامرة في لبنان.

تسلم براك زمام منصب رئاسة شعبة الأركان في عهد حكومة مناحيم بيغن وبعد ظهوره مرات عديدة أمام الحكومة، توجه اسحق شامير، الذي خلف مناحيم بيغن، إلى رئيس هيئة الأركان، موشيه ليفي، وطلب منه استدعاء رئيس شعبة الاستخبارات في أوقات أكثر تقاربا وحسب أقوال اسحق شامير وموشيه ارنس، في وقت لاحق، فقد كانت قدرة براك على الصعيد الاستخباري مذهلة وقد نجح في كسر روتين جلسات الحكومة.

في تلك الفترة، بدأت تتبلور علاقات الصداقة بينه وبين سكرتير الحكومة، دان مريدور وقد خلق المستوى الثقافي المتقارب، وسرعة البديهة لغة مشتركة بينهما، أسهمت في توطيد عرى هذه الصداقة خارج جلسات الحكومة أيضا.

دعي براك في إحدى جلسات الحكومة لتقديم تقدير استخباري في قضية محددة. كان رئيس الحكومة، اسحق شامير في الخارج، وقد ترأس جلسة الحكومة بدلا منه دافيد ليفي. وبينما هو يقرأ التقدير، تدخل ليفي بقوله:" لا ليس هكذا......".

فوجئ براك وبدا له أن ليفي يعترض على تقديره الاستخباري، وبعد انتهاء الجلسة فقط، قال له ليفي، أنه اراد طرح تقدير من جانبه، وأنه كان يرى بأنه -أي براك- تجاوز الوقت المحدد له.

ويمكن القول، أنه باستثناء هذه الحادثة المخجلة، كانت العلاقات بين ليفي وبراك على مر السنين، علاقات تقدير ومودة، كان ليفي من وزراء الليكود القلة، الذين أيدوا الانسحاب من لبنان، وقد أوضح أن مباحثاته مع ابنه جاكي المظلي الذي خدم في لبنان، أسهمت والى حد كبير، في بلورة موقفه هذا.

وفي لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، التي دعي إليها باستمرار" نجح براك في كسب صداقة جديدة مع يوسي سريد. وعندئذ بدأت الوشايات من

وراء ظهره، وكان هناك من يقـــول أن رئيــس شــعبة الاســتخبارات يــهتم بتوطيــد علاقاته السياسية، ويخصص لها وقتـــاً أكــثر ممــا يخصصــه العمــل الاســتخباري. وأن من يريد العثور على براك، فليبحث عنه فـــي مبنـــى الكنيســت، ومكتــب رئيــس الحكومة، وليس في شــعبة الاســتخبارات.

يقول العميد عاموس جلعاد، رئيس قسم الأبحــــاث فــي شــعبة الاســتخبارات: "بعد تسلم براك مهام منصبه، استدعاني لمقابلتــــه. كنــت قــد أعــددت ملفـــاً تضمــن إجمال مشروع استخباري عكفت عليه، وقد كنت على قناعـــة بأنــهم ســيطلبون منــي طرح القضيـــة".

رأى براك أنني أبدا بفتح الملف، فاشار إلي بحركة يـــد كـــي أتوقــف وقـــال:" ليس لهذا استدعيتك. أريدك أن تصبح رئيســـاً لمكتبـــي".

قلت له على الفور: "نعم أقبل". ولم اشــعر بـــالندم علـــى ذلـــك ولـــو للحظـــة. كانت تلك الفترة من أجمل مراحل حيــــاتي. كـــان بـــراك مختلفـــاً عمـــن ســبقوه فـــي شعبة الاستخبارات. بدا أكثر انفتاحاً وتشجيعاً للإبـــداع. كـــان يســـمح بحريـــة الحـــوار بل ويشجعها. كان يبدو في بعض الاحيان كما لو أنه يفقـــد الســيطرة، بيـــد أنـــه كـــان دائماً يدرك اللحظة التي ينبغي التوقف عندها. بعـــد ذلـــك، أدركـــت أن هـــذا أســلوب تبناه من أجل منح ضبـــاط شـــعبة الاســتخبارات حريـــة الإبـــداع، وتشـــجيعهم علـــى التفكير بشكل مختلف. أقصد النظر إلى الجيش الإســـرائيلي بعيـــن العـــدو.

لقد لمست آثار هذا التغيـــير فـــي شـــعبة الاســـتخبارات. بـــدا الجـــهاز أكـــثر حيوية ونشاطا، واتخذت أساليب التفكـــير طابعـــا جديـــداً ولقـــد اكتشـــفت فـــي بـــراك ميزة، انفرد بها عن كل من سبقه اعني القدرة علـــى رؤيـــة مـــا وراء الأفـــق والقـــدرة التحليليـــة".

كان تقدير الوضع الاستخباري الذي قـــدم مطلـــع عـــام ١٩٨٣ يتحـــدث عـــن إمكانية كبيرة لخوض حرب مع سوريا في الشمال. وبناء علـــى هـــذا التقديـــر، الـــذي اعد في عهد يهوشع ساغي، بنى الجيـــش الإســـرائيلي خطتـــه للعمـــل. وكـــانت تلـــك

التقديرات، تشير إلى أن الرئيس السوري، ينـــوي حقـاً، خــوض حــرب، قــد يقحــم فيها الأردن أيضاً، وقد تتسبب في وقف مسيرة الســلام مــع مصــر.

تقدير استخباري جديد ومغاير

غير أن براك بدأ وبعد تسلمه زمام منصبـــه ببضعـــة اشـــهر، وبعـــد أن درس تشكيلات الجيش السوري ونوايا قادته، بإعداد تقديـــر جديـــد للوضـــع يختلـــف تمامـــا عن تقدير ساغي وقد توصل براك إلى نتيجة تقول بـــأن احتمـــال خـــوض حـــرب مـــع سوريا ليس كبيراً، وكشف للمرة الأولى، خطـــراً يـــهدد الأمـــن القومـــي الإســـرائيلي، حتى لو كان على المدى البعيد، من جانب العراق وزعيمـــها صـــدام حســـين.

لقد أتـــاح تقديـــر الوضـــع الجديـــد، الفرصـــة أمـــام بـــراك، لتقديـــر كفاءتـــه الاستخبارية. صحيح أن ســـوريا اســـتأنفت جـــهودها ســـعيا للوصـــول إلـــى تـــوازن استراتيجي ضد إسرائيل، وتمكن السوريون بعد حـــرب لبنـــان، مـــن ترميـــم جيشـــهم، بما في ذلك سلاح الجو ومنظومة الصواريخ التـــي أصيبـــت بـــأضرار بالغـــة، بيـــد أن كل تلك المعطيات- المقلقة في حد ذاتها- لم تخلق صـــورة حـــرب وشـــيكة.

فاجأ براك الجميع ولأكثر من مـــرة، بـــإجراء مباحثـــات طويلـــة مـــع ضبـــاط (ثانويين)- برتبة ملازم أول وملازم ثان- وقد اســـتمع، وفـــي أوقـــات متقاربـــة، إلـــى آراء وتقديرات بدت مختلفة عن تلك التي يطرحها كبـــار الضبـــاط فـــي الاســـتخبارات مثل هذه المناقشات أذهلته وأثارت اهتمامه غير مـــرة كـــان يـــدون المعلومـــات التـــي يجمعها في مذكرة صغيرة يحتفظ بها وقد ساعدته تلـــك المعلومـــات، إلـــى حـــد كبـــير، في بلورة تقدير الوضع الاســـتخباري.

اعتاد بـــراك قبيـــل أن يطـــرح تقديراتـــه الاســـتخبارية أمـــام رئيـــس الحكومـــة ووزير الدفاع، قراءة آلاف الوثـــائق وإجـــراء عشـــرات اللقـــاءات والنقاشـــات. كـــان يطرحها بداية أمام هيئة الأركان. ومن ثم أمـــام الهيئـــة السياســـية.

ولقد أثـــار التحـــول الكبـــير فـــي تقديـــرات الاســـتخبارات -إمكانيـــة كبـــيرة لخوض الحرب عام ١٩٨٤، مقابل تقديـــر يشـــير إلـــى عـــدم وجـــود فـــرص لحـــرب

وشيكة- دهشة هيئة الأركان، ورئيس الحكومة والوزراء بعد ذلك. بيد أن براك قال:" هذا تقدير شعبة الاستخبارات، وأنا مسؤول عنه".

أعجب ضباط شعبة الاستخبارات بالأسلوب الذي تبناه ايهود براك في بلورة تقدير الوضع، لا سيما المساواة في التعامل مع جميع الضباط على اختلاف رتبهم. وكان الشعور السائد بأن الأخطاء التي ارتكبت في حرب تشرين ١٩٧٣،، والتي كان أساسها تجاهل تقديرات الضباط ذوي الرتب المتدنية، لن تعود في عهد براك.

كان براك يرى أن من الضروري إجراء زيارات مفاجئة، والحرص على المتابعة الدائمة، لمعرفة حقيقة ما يجري، في الوحدة أو القاعدة.

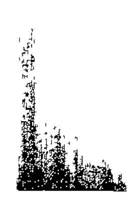
ذات مرة، أعلن نيته زيارة القاعدة الاستخبارية في شمال إسرائيل. بدأت الاستعدادات والتحضيرات لهذه الزيارة في القاعدة، واستغرقت أسبوعين.

هبط براك في مروحية رئيس هيئة الأركان في القاعدة، تبادل بضع كلمات مع القائد، استعرض سريعا حرس الشرف، وبدل الدخول إلى مكتب قائد القاعدة، طلب التوجه إلى سكن الجنود. وهناك كانت الصورة مختلفة، حيث القذارة والإهمال. بعد ذلك فقط، عاد إلى مكتب القائد ووبخه بشدة.

بعد وقت قصير من تسلمه زمام منصبه الجديد، وصلت معلومات استخبارية مهمة بشأن جنود(الناحل) الثمانية، الذين اختطفهم المسلحون من موقع مراقبة في شرق بيروت في أيلول ١٩٨٢. وتبين أن ستة منهم وقعوا في قبضة منظمة التحرير الفلسطينية واثنين وقعا في قبضة منظمة احمد جبريل.

وقد أوضحت المعلومات الاستخبارية أن المسلمين يعتزمون نقل المخطوفين إلى طرابلس، شمال لبنان. فقرر رئيس الاستخبارات استغلال عملية نقلهم، وبدأت دورية هيئة الأركان استعداداتها، غير أن العملية ألغيت عقب إلغاء نقل المخطوفين.

كانت هذه الفترة، فترة عمل قاسية بالنسبة لبراك، استغرقت كل ساعات الليل والنهار-تقريبا. وقد وصف براك- في احتفال أجري له قبل اعتزاله الخدمة



في الجيش- أيامه في شعبة الاستخبارات فقال:" كانت أياما طويلة وصعبة ومتعبة، سواء أكان ذلك من الناحية الجسمانية، أو من حيث نقل المسؤوليات.

لقد شعرت في شعبة الاستخبارات تحديدا، وأكثر ممن أي منصب آخر، ضرورة تقاسم المسؤوليات، ورفع مستوى الصلاحيات. لتتجاوز مجموعة الأشخاص الذين كانوا إلى جانبي، كنت سأغرق في بحيرة طبريا، ولم أكن لأتمكن من مهام القيادة.

يراودني، دائما، شعور بقصر الوقت. وكي يتسنى لك الوصول إلى النتائج المطلوبة، ينبغي العمل على أكثر من مسار، في نفس الوقت.

لدي عشر أصابع ورأس واحد. وهذا لا يكفي لكل ما اعتقد انه ينبغي التفكير فيه، والتخطيط له، وتنفيذه. اليوم ٢٤ ساعة وقد تعلمت أن عدم إراحة الجسد لساعات في النوم، تؤثر على مستوى الأداء. المجموعة النشطة فقط، هي التي تستطيع خلق نموذج يكون العمل، وفقا له، مجديا."

لقد رافقت مأساة حرب تشرين ١٩٧٣، براك، منذ اليوم الأول له في شعبة الاستخبارات، وكلما تعمق في معرفة الجهاز وأفراده- في ذلك الحين- كان يصعب عليه، أكثر فأكثر، استيعاب ما حدث.

وللوقوف على أسباب ما حدث، بدأ براك قراءة قصص تاريخية وأبحاث تناولت مشاكل ومفاجآت استخبارية، مثل عملية"بربروسا" التي فاجأ فيها الجيش الألماني روسيا، في ٢١-٦-١٩٤١، والهجوم الياباني على ميناء (بيرل هاربر) في ٧-١٢-١٩٤١.

وجد براك تماثلا عجيبا بين العثرات التي وقع فيها كبار ضباط الاستخبارات في تشرين أول ١٩٧٣، وبين نهج عناصر الاستخبارات في روسيا والولايات المتحدة عام ١٩٤١. لقد كان سبب الفشل الذريع للعمليات الثلاث، بلورة الفهم الخاطئ.

جند براك جميع العقول في شعبة الاستخبارات للعمل على تقليص إمكانية تكرار ما حدث إلى الحد الأدنى، بهدف عدم إفشال الجيش الإسرائيلي،

وربما لأنه كان حريصا على عدم إنهاء مهامـــه بعـــثرة. فكـــر فـــي الإنـــذار المبكـــر وكان هذا، من وجهة نظره، الإنجاز الأكـــثر أهميـــة خـــلال ســـنوات خدمتـــه الثـــلاث كرئيس لشعبة الاســـتخبارات.

لم يكتف براك بالجانب النظـــري لمســـألة الإنـــذار. وقـــد عمـــد إلـــى إدخـــال عنصر جديد إلى سلاح الاستخبارات، تمثل في وحـــدة رقابـــة، تضـــم أفضـــل العقـــول في السلاح، تتابع تقديرات الأبحـــاث. لـــم يكـــن مطلوبـــا مـــن أفـــراد هـــذه الوحـــدة، المشاركة في المهام الشاملة للأبحاث ولا تحديد نوايـــا العـــدو، بـــل محاولـــة الكشـــف عن الخيارات المتاحة أمامه للهجوم. وقد رأى براك فـــي هـــذه الوحـــدة، جـــزءً مـــهماً في المنظومة الاســـتخبارية.

في مطلع عام ١٩٨٥، حسمت أجـــهزة الأمـــن إحـــدى المســـائل التـــي تعتـــبر حساسة بالنسبة للأمن الشامل، وهي انسحاب الجيـــش الإســـرائيلي مـــن لبنـــان وإقامـــة الشريط الأمني في جنوب لبنـــان.

كانت المواقف والآراء فـــي هيئـــة الأركـــان، متضاربـــة إزاء هـــذه القضيـــة. كانت الأغلبية، بمن فيها قائد القطاع الشـــمالي، أوري أور، تثـــق بـــأن إقامـــة شـــريط أمني وربطه مع جيش جنـــوب لبنـــان، أفضـــل الطـــرق لحمايـــة المســـتوطنات فـــي الشمال.

غير أن براك عارض إقامة منطقة أمنيـــة، تقـــوم علـــى أســـاس إقامـــة عـــدد من المواقع، وقال في جلسة عقدت للحكومة وهيئـــة الأركـــان، أن مثـــل هـــذا الخـــط، سيبدأ كخط تكنات على محاور طرق مســـيطرة، وســـينتهي كخـــط تحصينـــات يشـــبه خط بارليف. وكي تتسنى حماية الجنود، سنضطر إلـــى حمايـــة المواقـــع. بعـــد ذلـــك، سنضيف إليها جدرانا من الإسمنت. ثم ســـنقوم بشـــق طـــرق إليـــها وسننشـــئ ثكنـــات للدفاع عن محاور الحركـــة.

ومن أجل تعزيز المواقع، سنرسل إليها قوافـــل إمـــدادات، ســـتحتاج إلـــى مـــن يرافقها ويقوم على حمايتـــها. ودون أن نشـــعر، ســـنجد أنفســـنا بقـــوات كبـــيرة، فـــي لبنان، وفي وضع الدفاع عن النفس. وســـنصبح أســـطورة خياليـــة".

في المقابل، اقترح رئيس شعبة الاستخبارات، تشكيل ثلاثة ميليشيات في لبنان: ميليشيا درزية في الشرق، مسيحية في الوسط، وشيعية في الغرب، بحيث تكون كل ميليشيا مرتبطة بطائفتها في لبنان.

تسرب الجدل الدائر إلى خارج هيئة الأركان. وقد كشف الصحفي الأمريكي توم فريدمان، مراسل صحيفة"النيويورك تايمز"، الذي خدم لسنوات في لبنان، النقاب عن حقيقة ترؤس رئيس الاستخبارات، مجموعة من ضباط هيئة الأركان والاستخبارات الإسرائيلية، تتبنى مواقف معارضة لمواقف وزير الدفاع، اسحق رابين ورئيس هيئة الأركان موشيه ليفي.

وحسب أقوال النيويورك تايمز، فقد أيد رئيس الحكومة، شمعون بيرس رئيس شعبة الاستخبارات، غير أنه قرر التنازل تجنباً لحدوث المواجهة مع وزير الدفاع اسحق رابين. وفي مطلع عام ١٩٨٥ تم حسم القضية، وقررت هيئة الأركان، تعزيز التواجد الأمني الإسرائيلي في الشريط الأمني.

لم تقتصر أهمية الإنذار المبكر- المسألة التي شغلت فكر براك إلى حد بعيد-على المستوى الاستراتيجي فقط، بل لعبت دورها على صعيد إحراز انتصارات تكتيكية غير قليلة، والحيلولة دون حدوث كوارث كبيرة، كان أبرزها على الإطلاق، ربما، تلك التي وقعت قبالة شواطئ أسدود.

ففي تاريخ ٢٠-٤-١٩٨٥، أي عشية الاحتفال بذكرى الاستقلال، كانت سفينة الصواريخ(موليدت) تقوم بأعمال الدورية، قرب حدود المياه الإقليمية الإسرائيلية.

على مسافة من هناك، في تل أبيب، تتبع رئيس شعبة الاستخبارات وعدد من ضباط الاستخبارات تحركاتها. قبل ذلك ببضعة اشهر كانت قد سرت شائعات حول إمكانية قيام الجناح البحري لحركة فتح بتنفيذ عملية مساومة، لإطلاق سراح عدد من المعتقلين الفلسطينيين، ومحاولة مهاجمة مبنى هيئة الأركان.

كان ياسر عرفات في تلك الأثناء، قد عـــهد إلـى نائبـه، أبـو جـهاد بمهمـة التخطيط للعملية. وتمت الاستعدادات فــي الجزائــر.

اختار أبو جهاد عناصر العملية وكان معظمـــهم مــن قــادة "فتــح" المتمــيزين في المناطق. وقد عين محمود العـــالول، أحـد كبـار شـخصيات فتـح فـي الضفـة الغربية والذي نجح في العبور من الضفة إلى الأردن ومـــن ثـم إلـى الجزائـر، قــائداً للعمليـة.

استغرقت التدريبات أسابيع طويلة، وقد شـملت السـباحة لأكـثر مـن عشـرة كيلومترات يومياً والتدرب على مختلف أنواع الأسلحة. كـانت قلـة منـهم تلـك التـي عرفت الهدف النهائي للعملية: الهبوط في شـاطئ بيـت-يـام فجـر يـوم الاسـتقلال، السيطرة على حافلة (دان) واقتياد الرهائن إلــى تـل أبيـب، وبـدء عمليـة مسـاومة، تثير الرأي العام العـالمي.

في أعقاب الشكوك التي ثـارت آنـذاك، أمـر رئيـس الأركـان موشـيه ليفـي باتخاذ استعدادات خاصـــة، فقـام سـلاح البحريـة بتعزيـز دورياتـه خـارج الميـاه الإقليمية الإسـرائيلية.

قام المسلحون بإعداد سفينتي شحن كبـيرتين توطئـة لتنفيـذ العمليـة، وقـاموا يوميا بإجراء مناورات لتحميل وإنزال الزوارق المطاطيـــة مــن السـفينتين.

وقبل أسبوعين من الانطلاق تم تفجـير إحـدى السـفينتين، فقـام أبـو جـهاد بإعلام ياسر عرفات فوراً، ولم يكن لدى الاثنين أدنى شـك فـي أن عمـلاء الموسـاد هم الذين أغرقوها، في حين تجـاهلت إسـرائيل الحـادث تمامـاً. وتـم اتخـاذ قـرار بمواصلة الإعداد للعملية، مع توخي الحـذر البـالغ.

وقبل يوم الاستقلال الإسرائيلي بأسبوع، أبحـرت مـن الجزائـر تحـت جنـح الظلام سفينة الشحن التي تحمل اسم" انـافيروس"، وبعـد أربعـة أيـام وصلـت إلـى ميناء بور سعيد المصرية، والتحقت بقافلـة سـفن كـانت تبحـر فـي القنـاة، باتجـاه البحر الأحمـر.

وفي أقصى الطرف الجنوبي من القناة، استدارت السفينة، والتحقت بقافلة سفن أخرى كانت تبحر في قناة السويس في طريقها إلى البحر المتوسط ولا شك أن هذه المناورات البحرية كانت ترمي للتخلص من المراقبة المحتملة، وقد أطلق ربان السفينة في جهاز الارسال كلمتي السر اللتين تم اختيارهما" الطريق نظيف".

وبعد خروجه من قناة السويس، عقد الربان اجتماعاً لرجاله، وأعلمهم بالمهمة الموكلة إليهم، وبمدى أهميتها، فقال:" هذه أهم عملية تنفذها حركة فتح حتى اليوم، بل هي أهم من قتل الرياضيين الإسرائيليين في ميونيخ ١٩٧٢".

على بعد قليل من (أنافيروس) كان قائد زورق الصواريخ الإسرائيلي"موليدت" -الوطن- على وشك إنهاء حراسته، والتحرك عائداً إلى ميناء اسدود، وكان الزورق الذي سيحل بدلاً منه في الحراسة في طريقه إلى الموقع، حينما ظهرت على شاشة الرادار ظلال سفينة تتجه شرقاً.

أعلم قائد الزورق (موليدت) قائد السلاح بوجود سفينة مشبوهة، فأمره قائد السلاح. اللواء أبراهام بن شوشان، بأن يطلب من السفينة أن تعلن عن هويتها، وبدلاً من أن ترد السفينة على الزورق، تلقى الزورق صلية من رشاش.

أمر قائد(موليدت) بفتح النار على السفينة، إذ أصابتها مدافع(فولكان) الرابضة على متنه إصابة قاتلة، مما أدى إلى اشتعال النار فيها. وقد واصل الزورق الاقتراب من السفينة وهو يواصل إطلاق النار عليها. وقد أدى هذا الوضع إلى إصابة بعض المسلحين على ظهر السفينة، وقام قسم آخر بإلغاء الزوارق المطاطية في الماء، في محاولة للفرار من السفينة المصابة، بيد أنهم استسلموا في نهاية المطاف للزورق الحربي. وبعد دقائق معدودة، غرقت انافيروس.

اتصل قائد سلاح البحرية برئيس هيئة الأركان، موشيه ليفي، وبرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ايهود باراك وأعلمهم بأن ملف السفينة(أنافيروس) قد أغلق.

وفي أيلول ١٩٨٥ سيطر المسلحون على يخت إسرائيلي في ميناء لارنكا القبرصي وقتلوا ثلاثة إسرائيليين وقد قادت التحقيقات إلى تونس، حيث قيادة منظمة التحرير.

عرض براك أمام هيئة الأركان ثم أمام وزير الدفاع، اسحق رابين، والمجلس الوزاري المصغر، ملف تونس الآخذ في التضخم، وقال: لا يجب، بأي حال من الأحوال، أن نسمح بمنح حصانة "للإرهاب" في أي مكان يتواجد فيه، وإذا كان راس الإرهاب موجوداً في تونس، فيجب تحطيمه مما سيؤدي إلى قطع ذيل الإرهاب فوراً.

لقد اعتقد رؤساء المنظمات الفلسطينية، إن مكانتهم في تونس خارج متناول يد إسرائيل، بيد أنهم سرعان ما أدركوا أن الامر ليس على هذا النحو.

أوصى براك بالقيام بعملية مشتركة بين سلاح الجو والكوماندو، وشرعت دورية هيئة الأركان بالتدرب على نماذج، بيد أن الحكومة أرادت عملاً سريعاً. أما الخيار الثاني فكان يتمثل في الهجوم الجوي.

ضم رئيس الأركان ليفي، صوته إلى صوت رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية براك، وطرح الخيار أمام وزير الدفاع ورئيس الحكومة شمعون بيرس، فأوصى بيرس أمام المجلس الوزاري بالقيام بعمل جوي ضد قواعد المنظمات في تونس.

وفي الأول من تشرين الأول ١٩٨٥، تم تنفيذ أطول هجوم جوي سبق لسلاح الجو الإسرائيلي أن نفذه. وقامت خلاله طائرات (أف-١٥) بمهاجمة مراكز منظمة التحرير على الساحل التونسي. وقد جاءت النتائج مذهلة: فقد قتل عشرات الأشخاص، وعلى رأسهم قائد القوة-١٧ والحارس الشخصي لعرفات.

كان رئيس شعبة الاستخبارات أثناء الهجوم في غرفة العمليات المتقدمة، وأصغى إلى تقارير الطيارين. وقد أفاد المقدم طيار يوآل بلوشو أنه بدأ الهجوم، ثم أعلن أن هناك عطباً ما حيث لم تتحرر القنابل الموجودة اسفل الطائرة، ولم ينجح في التغلب على هذا العائق، فقال باختصار: سأتجه نحو البحر.

ومضت عدة دقائق شديدة التوتر، قبل أن يـــأتي صوتـــه مـــرة أخــر
كل شيء على ما يرام لقد انضممت إلى السرب مـــن جديــد.

لم يستطع الهجوم على تونس تصفية الإرهاب فلم يمـــض ســوى أر
حتى سيطر أربعة مســـلحين علـــى الســـفينة(اكيـــلا لاورو)، وهـــي ســـفين
إيطالية، كانت تبحر علـــى طـــول ســـواحل البحـــر الأبيـــض. وقـــد عمـــ
الاستخبارات العسكرية إلى تشكيل غرفـــة عمليـــات أماميـــة اســـتعداداً لقيـــ
بالعمل ضد السفينة، بيد أن هذا الاستعداد انتهى عندمـــا قـــام الأربعـــة بتســـلي
إلى السلطات المصرية في بور ســـعيد.

نجحت وحدة التنصت في شـــعبة الاســـتخبارات أثنـــاء الخطـــف مـــ
محادثة هاتفية بين الخاطفين وقـــائد جبهـــة تحريـــر فلســـطين(ابـــو العبـــاس
أسمى نفسه خلال الاتصال باسم شيفري هو أبـــو خـــالد، وقـــد جـــاء الاتصـ
النحو التـــالي:

أبو خالد: كيف حالك يا مـــاجد؟

ماجد: على ما يرام، الحمـــد لله.

أبو خالد: اسمعني. أولاً يجـــب أن تتعـــامل مـــع الرهـــائن بصـــورة جيـــدة ج
تعتذر لهم ولطاقم السفينة، والربان وقولوا لهم: أنكم لـــم تكونـــوا تقصـــدون ا
على السفينة، قولوا لهم هدفكم الأساسي هـــل تســـمعني؟

ماجد: لقد تحدثنا معهم، وقلنا لهم أن هدفنا لم يكن الســـيطرة علـــى الســـفينة.

ومن الجدير بالذكر، أن مصـــر أطلقـــت ســـراح خـــاطفي الســـفينة فـــي
تسليمهم لأنفسهم، وخرجوا من مصر في طائرة إلى ليبيـــا. وفـــي الطـــائرة كـ
العباس، وثلاثة من مختطفي السفينة. وعندما خرجـــت الطـــائرة مـــن المجـــال
المصري، قامت طائرات أميركية باعتراضها، وإرغامـــها علـــى الـــهبوط فـــ
تابعة لحلف الناتو في جزر سيشل، وتم اعتقـــال أبـــو العبـــاس، بيـــد أنـــه تمك
الخروج من المعتقل والتوجـــه إلـــى ليبيـــا. وتفيـــد مصـــادر أجنبيـــة أن الأ

تمكنوا من اعتراض الطائرة بفضـــل معلومـــات وصلتـــهم مـــن شـــعبة الاســـتخبارات العسكرية الإســـرائيلية.

وفي نهاية عام ١٩٨٥ انتهت ثلاثة ســـنوات مـــن الخدمـــة لايـــهود بـــراك فـــي رئاسة شعبة الاستخبارات. وغادرها تاركاً خلفـــه جـــهازاً واثقـــاً مـــن نفســـه. وانتقـــل من الشعبة إلى قيادة المنطقة الوسطى، وحل محله اللـــواء امنـــون شـــاحك.

الفصل الخامس عشر

ايهود براك....قائداً للقطاع الأوسط
تعليم الدرس الأول في السياسة بين المستوطنين

انتهت فترة عمل ايهود في شـعبة الاسـتخبارات فـي كـانون الثـاني ١٩٨٦، والتي طالت مدتها لثلاث سنوات. واتضح له مـن خـلال المحادثـات التـي أجراهـا مع رئيس الأركان، (موشـيه ليفـي)، أن وظيفتـه القادمـة، سـتكون قـائد القطـاع الأوسط.

لقد أسهمت فترة عمله في شـعبة الاسـتخبارات فـي تحسـين مكانتـه داخـل الجيش الإسرائيلي وعلى المستويات السياسـية والأمنيـة الرفيعـة. فقـد أتـاحت هـذه الكوارث الفرصة للتعرف عليه أكـثر مـن التعـرف علـى أي ضـابط آخـر رفيـع، باستثناء رئيس الأركـان.

كان براك يحب التقارير الاستخبارية التي تتيـح لـه فرصـة المشـاركة فـي جلسات الحكومة. والمجلس الـوزاري، كمـا أن رؤسـاء الحكومـات الثلاثـة الذيـن عمل معهم: (مناحم بيغن) و(اسحق شامير) و(شمعون بـيرس)، لـم يخفـوا ارتياحـهم وتقديرهم لتقديراته العسكرية، وعلـى وجـه الخصـوص (اسـحق شـامير)، بوصفـه كان قائداً لحركة"ليحي" إبـان حـرب ١٩٤٨، وعضـوا تنفيذيـا فـي الموسـاد. هـذا إضافة إلى وجود اسحق رابين كوزير للدفاع، والذي كـان يعـرف بـراك، ويكـن لـه الكثير من المـودة.

وفي طريقه إلى الخارج في يومـه الأخـير فـي الشـعبة، مـر بـراك أمـام صور رؤساء الشعبة، وعرف أن صورته ستنضم إليهم منـذ الغـد. لقـد أصبـح أحـد ثلاثة رؤساء لشعبة الاستخبارات، الذيـن انـهوا مـهام عملـهم مثلمـا خططـوا منـذ البداية، دون إقالة أو توبيخ أو وصمة ما، إضافة إلى تاريخـه العسـكري الكبـير.

وفي تعقيبه على هذه الفترة من عمله، قـال ايـهود:" يدمـن الإنسـان العمـل الاستخباري، مثلما يدمن(الأفيون)، يدمن السـعادة الكامنـة فـي العمليـات التنفيذيـة، والتكنولوجية، والسياسية والاستخبارية. ويدمـن صـراع العقـول الذكـي واللانـهائي في مواجهة خصوم يبذلون كل ما بوسـعهم لإفشـاله".

لم يكن تعيينه قائدا للقطاع الأوسط ترفيعـا كبـيرا، فقـد كـان بـراك يفضـل مهمة أخرى، قائد القطاع الشمالي مثـلا، أو نـائب رئيـس الأركـان. بيـد أن هـاتين

الوظيفتين لم تكونا شاغرتين، حيث وعد وزير الدفاع، اللواء (يوسي بيلد)، بتسلم القطاع الشمالي، في حين كانت الوظيفة الثانية رهناً برئيس الأركان موشيه ليفي، الذي لم يكن من المعجبين بايهود براك. وربما كان عدم محبة ليفي له عائدة إلى عدم شعوره بالارتياح بالعمل مع براك، وربما يكون قد ورث من (رفائيل ايتان)، و(افيجدور بن جال) شكوكيتهم تجاه ايهود، فقد حذراه من أن ايهود طموح ولا يرى سوى منصب واحد، وهو منصب رئيس الأركان. لم يكن ليفي معادياً لبراك، مثلما بدا في بعض الاحيان، بيد أنه كان متحفظاً من السباق الذي يخوضه نحو القمة.

كان براك يدرك أن تعيين ليفي رئيسا للأركان لم يأت على أرضية كونه الأفضل من البقية، بل لكونه أقدمهم وأكبرهم سنا، ونظرا لان عدد الذين كانوا يكرهونه أقل من الآخرين. لقد كان ليفي أقل الضباط الذين تنافسوا على منصب رئيس الأركان تأثيرا.

ورغم كونه قد قضى غالبية خدمته العسكرية في المظلات، الا أنه لم يترأس كتيبة مظليين نظامية أو لواء مظليين نظاميا، وهما الشرطان اللذان يعتبران ضروريين جداً لبلوغ القمة والضباط الثلاثة الآخرون الذين نافسوه على المنصب. (افيجدور بن غال)، و(دان شومرون)، و(أمير دروري) كانوا أكثر نضجا منه لتسلم المنصب، أضف إلى ذلك أن تاريخهم العسكري كان أغنى منه بكثير على صعيد تولي قيادة أطر عسكرية.

راقب ايهود الصراع الدائر بين الضباط الأربعة، ورغم أنه كان لا يزال، آنذاك، ضابطاً شاباً برتبة لواء، الا أنه كان يدرك أنه سيخوض هذه المنافسة إن عاجلا أو آجلا، وأراد أن يتعلم كيف يجب أن يخوضها، والمواطن التي يجب أن يركز عليها آنذاك.

واتضح له أن الكفاءة ليست كافية، فقد كان يعلم أن الألوية الثلاثة بن غال وشومرون وأمير دروري لا يتحدث أحدهم مع الآخر، وبالتالي فلن يوافق على أن يكون نائبا لأي رئيس أركان منهم قد يحظى بالمنصب، وربما إن كان

أحد الأسباب التي جعلت موشيه ليفي يحظـــى فـــي نهايـــة المطـــاف بـــالمنصب، هـــو رغبة القيادة العليا في تهدئة الأوضاع داخل هيئـــة الأركـــان.

ناضل رفائيل ايتان نضالاً شديداً من أجل نقل المنصـــب إلـــى بـــن غـــال، بيـــد أن الائتلاف الذي ضم أرئيل شارون واللواء إســـرائيل طـــل، ونـــائب وزيـــر الدفـــاع مردخاي تسيبوري، نجح في إحبـــاط مســـاعيه.

ولم يخف بـــراك رغبتـــه آنـــذاك، فـــي رؤيـــة صديقـــه دان شـــومرون فـــي المنصب، وربما خشي مـــن محاولـــة جماعـــة موشـــيه ليفـــي- وكلـــها مـــن سـلاح المظلات- الوقوف أمام ترقيته. أضف إلـــى ذلـــك، أنـــه خشـــي مـــن تـــأثير (رفـــائيل ايتان) على رئيس الأركان الجديد، وكـــان يـــدرك أن (رفـــائيل) ليـــس مـــن المعجبيـــن بـــه.

ورغم كل ذلك، فاجأ (موشيه ليفي) الجميع، ففي كـــل مـــا يتعلـــق بـــه، كـــان رئيس أركان معقولاً جداً، ومحترفا وموضوعيـــا. ورغـــم أن ايـــهود لـــم ينضـــم إلـــى الجوقة التي أحـــاطت بليفـــي مـــن المظليين ، الا أنـــه كـــان يعتقـــد أن آراء (ليفـــي) مقبولة ومعقولـــة.

تسلم براك قيـــادة(كفـــير) -القطـــاع الأوســـط، وخلفـــه صـــف طويـــل مـــن المعجبين والكارهين. وكان المعجبـــون يعتقـــدون أن لديـــهم قـــائدا فـــذا لا يشـــق لـــه غبار، ومفكر ورابط الجأش وجـــريء وموســـيقي موهـــوب، حســـاس، وقـــادر علـــى تأبين زميله (يوني نتنياهو)- الذي سقط في عنتيبي بكلمة تقطـــع نيـــاط القلـــب.

اما الكـــارهون، فقـــد رأوا فيـــه إنســـانا يصعـــب التعـــامل معـــه، متعجرفـــا، مفاخراً بنفسه، ونافذ الصبر ويحتقر الذين يقلون عنـــه ثقافـــة.

ويقول أحد الضباط رفيعي المستوى: مـــن الصعـــب التجـــادل مـــع (بـــراك)، فكل نقاش معه يتحول إلى نقـــاش مثقفيـــن، يصعـــب مجاراتـــه فيـــه نظـــرا لســـرعة بديهته، وقدرته على التحليـــل. إن الذيـــن يتجـــادلون معـــه دون أن يتمتعـــوا بالثقافـــة العالية، سرعان ما يجدون أنفســـهم عـــاجزين عـــن مجـــاراة ألفاظـــه وحججـــه التـــي تتدفق كالسيل العرم. وهو يشكل خطرا على رؤسائه، فـــهم يشـــعرون أنـــه يدفـــع بـــهم

إلى الزاوية، وقدراته تتفوق عليـــهم. إنـــه قـــادر علـــى الجلـــوس مـــع ســـائق ســـيارة ليوضح له ببســـــاطة الطريق إلـــى هـــدف مـــا، أمـــا حينمـــا يجلـــس مـــع الضبـــاط الكبار، فهو ليس على اســـــتعداد لإعادة مـــــا يقـــول مرتيـــن، بـــل يطلـــب منـــهم أن يفهموا حتى الماحاتـــه.

ويقول خصومه: أنه يعتبر جميـــع المـــهام والوظـــائف مجـــرد محطـــة علـــى طريق منصب رئاسة الأركان، وربما كان هذا الســـبب خلـــق انطباعـــاً حـــول بـــراك يفيد بأنـــــه لا ينظـــر الاّ إلـــى جســـام الأمـــور، ويخصـــص وقتـــاً هامشـــياً للمســـائل الصغـــيرة.

ولم يستطع حتى خصومه أن يتجـــاهلوا العمليـــات المســـجلة باســـمه: ســـابيناء، اختطاف الضباط السوريين، ربيع الشباب، وغيرها مـــن عشـــرات العمليـــات. بيـــد أن البعض أشار ايضاً إلى معركة (الســـلطان يعقـــوب)، والتـــي تعتـــبر النقطـــة الســـوداء الوحيدة في تاريخ (براك) العسكري، ولم يكفوا عـــن توجيـــه أصـــابع الاتـــهام، حينمـــا اتضح أنه نائب قائد سلاح المدرعات، وأن المسئولية تقـــع علـــى عـــاتق قـــائد الســـلاح افيجدور بن جـــال.

* * *

لم يحظ ايهود براك بالهدوء فترة طويلـــة فـــي أعقـــاب توليتـــه منصـــب قـــائد القطاع الأوسط واشتعلت النيران على الحدود الأردنية. ففـــي التاســـع والعشـــرين مـــن كانون الثاني ١٩٨٦ هـــاجم المســـلحون دوريـــة تابعـــة للجيـــش الإســـرائيلي كـــانت تتحرك على طريق الدوريات علـــى بعـــد قليـــل مـــن مســـتوطنة محولـــة فـــي غـــور الأردن، مما أسفر عن مقتل جنديـيـــن.

وصل ايهود براك إلى المنطقة، بعد فـــترة قصـــيرة مـــن الحـــادث، وبعـــد أن أجرى تحقيقا قصـــيرا، تنبـــه إلـــى أن ضباطـــاً وجنـــوداً أردنييـــن يقومـــون بتمشـــيط المنطقة. وبعد عدة ساعات بعث الأردن إلى إسرائيل رسالة جـــاء فيـــها:" لـــن نســـمح للمسلحين بالمساس بـــالجيش الإســـرائيلي".

عندما كان ايهود في شعبة الاستخبارات تلقى الكثير من المعلومات حول اللقاءات التي تجري مع الملك الحسين وكبار رجال مملكته. وكان يدرك إلى أي حد يعنى الملك بالسلام، لذا أمل في أن تتغلب الرغبة الجامحة على أحداث من هذا القبيل.

أولى براك أهمية كبيرة لمسالة إعداد الجبهة في قطاعه للحرب.

لقد تلقى ايهود في القطاع الأوسط أول درس سياسي فقد كان هناك مائة ألف مستوطنا، في مواجهة مليون فلسطيني، وقائد لواء واحد كان عليه المناورة بينهما بصورة دائمة. وقد نجح في غضون عدة أشهر في خلق اتصال مع كبار زعماء المستوطنين يسرائيل هرئيل، اوري ارئيل، وشيله جيل، وبنحاس فلرشتاين، يوآل بن نون، بني كتسوفر وغيرهم.

كان براك يصغي إلى المستوطنين خاصة حينما يتحدثون عن الأمن، وعن المشاكل التي يواجهونها على الطرقات. وتعلم التمييز بين النواة المستقرة للمستوطنين، وبين الزعامة المشاغبة من أمثال الحاخام ليفنغر، وباروخ ورجال كهانا.

لقد تمكن قبل اثنتي عشرة سنة، من اكتشاف زخم الخطر الكامن في المجموعة المتطرفة التي سكن معظم أعضائها في تل الرميدة في الخليل وفي عدد صغير من المستوطنات في قلب منطقة عربية وفي منطقة صحراء القدس.

وكأن هذه البؤرة الهائلة من التوتر لم تكن كافية، فقد وجد نفسه، في الكثير من الأحيان، مضطرا لإطفاء بؤر نار صغيرة هنا أو هناك.

فذات مرة قدم زعماء اليسار، وبينهم نشطاء حركة "السلام الآن" وشخصيات يسارية من إسرائيل للتضامن مع الفلسطينيين، وكان من الواضح دائما أن مثل هذه الزيارات التضامنية تنتهي دائما بمواجهات. وقد انتهت هذه الزيارة أيضا بمواجهة شديدة.

وكان ضمن أعضاء اليسار عضو الكنيست شولاميت ألوني، وأوري أفنيري. وقد كان نشطاء حركة كاخ بانتظارهم قرب الخليل. وسرعان ما تحول

السباب والشتائم، إلى مواجهات عنيفة، لم يكن الجيش مستعداً لها، ووجد الجنود أنفسهم واقعين بين فكي كماش بين محرضي اليمين، ونشطاء اليسار. مما اضطر القائد لطلب النجدة، فتوجه براك في طائرة هليوكبتر من قيادته إلى المنطقة لتهدئة الأوضاع. وفي ساعات المساء، بدا على شاشات التليفزيون (زعران) اليمين وهم يضربون أعضاء اليسار، وقائد القطاع وحفنة من الجنود يحاولون حماية أوري أفنيري بأجسادهم.

أجرى براك مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية واتهم المستوطنين بانتهاك التفاهم، والتصرف بصورة غير مناسبة تجاه الجنود.

سرعان ما خمدت هذه المواجهة بين براك والمستوطنين وقد اعترف إسرائيل هرئيل وأوري اريئيل، فيما بعد أن براك كان منطقياً ويتميز بالصبر، ويفكر في مشاكل المستوطنين.

الحقت الحرب اليهودية الداخلية اضراراً جسيمة بعمليات محاربة الإرهاب- رغم أن تلك الأيام كانت أيام هدوء نسبية في قيادة القطاع الأوسط، بيد أنه ورغم ذلك الهدوء، كان هناك إحساس بأن شيئاً ما على وشك أن يقع، وأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

نشأت علاقة متينة بين ايهود براك وأحد كبار رجال جهاز الأمن العام، (يعقوب بيري). وكان بيري يدرك أن شيئا ما سيحدث، ويعمل على افتراض أن انتفاضة ستندلع بين الفينة والأخرى. وأفادت تقارير جهاز الأمن العام، أن هناك طاقة وقوة هائلة كامنتين في منظمة صغيرة، أخذت تطفو على سطح الأحداث في غزة، وأن هذه المنظمة تدعى(حماس).

وفي إطار الاستعداد لقادم الأمور، بادر براك، إلى طرح فكرة تشكيل وحدة جديدة(دوفدفان)، قال: أريد وحدة يبدو رجالها وكأنهم عرب، ويتحدثون اللغة العربية بصورة جيدة، ويمتطون الدراجات في شوارع البلدة القديمة في نابلس، أريد اشخاصا يعملون بغطاء جزئي، كي يصلوا إلى مرحلة التنفيذ العملي، دون الحاجة إلى قوات كبيرة، أو الكشف عن أنفسهم مسبقاً".

كان براك يدرك طبيعة ردود فعل هيئة الأركان على تشكيل وحدة جديدة فإذا ما عمل بالطرق الرسمية لتشكيلها، ستتم المصادقة عليها بعد سنتين، في أحسن الأحوال، لذا قرر تقصير الإجراءات، واتباع الأساليب التي سبق له أن انتهجها.

ومثلما فعل، (أبراهام أرنان)، قبل ثلاثين عاماً، استدعى ايهود ضابطين من قيادة القطاع الأوسط هما(تساي ف)، و(أوري بارليف)، وكلفهما بتجنيد جنود للوحدة الجديدة، على أن يكونوا من وحدات قيادة القطاع الأوسط. وأعلم براك رئيس الأركان موشيه ليفي، واللواء (أبيهو بن نون)، رئيس شعبة التخطيط، فوافق على ما فعل.

قال ايهود للضابطين:"فتشا عن ضباط ممن يبحثون عن مهمة مثيرة، وجنود ذوي حوافز عالية، أعلنوا في الوحدات المقاتلة، أننا نريد متطوعين لوحدة خاصة: ولا شك أن الأمور ستسير على ما يرام". واقترح على (أوري بارليف) الذي عين رئيسا لها اسم(دوفدفان).

وعندما جاء قائد الوحدة الجديدة ليقترح عليه أي نوع من السلاح يحمله جنود الوحدة، بدا واضحا لبراك أن البنادق العادية لا تصلح للمستعربين، لذا اقترح أن يحملوا مسدسات من طراز(اف،ان). عندما قال له أنه لا يوجد في مخازن القطاع عدد كافٍ من المسدسات لتسليح الوحدة، أمر ايهود جميع ضباط القطاع بإعادة مسدساتهم، التي أخذوها من القطاع. لقد كانت وحدة (دوفدفان)، في تلك الآونة أحد الأسرار الخفية جدا في الجيش الإسرائيلي.

حرص ايهود على ربط وحدة (دوفدفان) بجهاز الأمن العام، وهو الأمر الذي جعل(بيري) يتحمس للغاية، ويقدم جميع المساعدات الممكنة.

كان الاثنان يعتقدان أن الهدوء السائد في الضفة والقطاع هو هدوء خادع، وبالتالي قدرا أنه إذا ما اندلعت انتفاضة، فإن الوحدة الجديدة ستلعب دورا حاسما في مقاومتها. إلى جانب جهاز الأمن العام. وجنودها هم الذين سيتسللون

إلى مراكز التجمعات السكانية الفلسطينية بالتعاون مـــع مســئولي جــهاز الأمــن العــام والعمــلاء.

تبنــى ايــهود الوحـــدة الجديــدة، وراقبــها، وحضــر تدريباتــها، ودراســـة أعضائها للغة العربية. وشاهد الجنود وهـــم يتخفــون فـــي صـــورة عربـــي كـــهل، أو شاب نشط، أو امرأة، وعندما كان يتجول فـــي الأســـواق، كـــان يجـــد مـــن الصعوبـــة بمكان، تشخيص أولئك الجنود المنخرطين وســـط الجمـــاهير الفلســطينية. ثـــم شـــرع أعضاء الوحدة في دراسة المعلومات المتوفرة حول قـــادة المنظمـــات المختلفـــة.

بدأت الصدامات خلال الصيف، ثم اتسعت، وبـــدا أن بـــؤر التوتـــر الأساســـية في جامعة النجاح، وجامعة بير زيت في رام الله، وقـــد قتـــل عـــدد مـــن الفلســطينيين خلال الصدامات هنـــاك.

أخـــذ القطـــاع يســـتعد لمواجهـــة الأحـــداث المتفاقمـــة، وكـــانت التقـــــارير الاستخبارية المتراكمة على مكتب براك تثـــير القلـــق، فقـــد كـــانت المنطقـــة ناجحـــة تماما، لبدء عمليـــات خطـــف جنـــود والقيـــام بعمليـــات عســـكرية ضـــد إســـرائيل. وتعززت قوة حركة حمـــاس، وأدرك بـــراك وبـــيري أن بـــؤرة التحريـــض الرئيســـية تكمن في أوساط حمـــاس.

أشـــارت وســـائل الإعـــلام إلـــى النجاحـــات الأولـــــى التـــي أحرزتـــــها وحدة(دوفدفان) على صعيد اعتقال (المخربيـــن) علـــى أنـــها نزاعـــات بيـــن العشـــائر، فشعر براك أن الوحدة تسير في الطريـــق الصحيـــح.

وقع أخطر حادث عسكري في الحـــادي عشـــر مـــن آب ١٩٨٧، كـــان (ايبـــي موزس) من مستوطنة ألفي منشه القريبة مـــن قلقيليـــة، يســـافر فـــي ســـاعات المســـاء مع أبناء عائلته على الطريق المؤدي إلـــى منزلـــه، وكـــانت معـــه زوجتـــه وأطفالـــه الثلاثة.

وفي أحد منحنيات الطريق ألقيت زجاجـــة حارقـــة علـــى الســـيارة، ممـــا أدى إلى إحراق المرأة وإحدى بناتها، وإصابة البقيـــة بحـــروق شـــديدة.

وفي نفس الليلة هاجم المئات من المستوطنين قلقيلية، ودمروا الأشجار، وحطموا نوافذ المنازل، وحطموا السيارات وأضرموا فيها النيران. وبدا لبراك أن مخاوفه على وشك التحقق وأن الهدوء شارف على الانتهاء.

وفي يوميات القطاع سجلت أحداث ذلك اليوم كمفترق طرق على طريق العنف، والذي قدر له أن يجر المنطقة إلى دائرة عنف لعدة اشهر.

الفصل السادس عشر

ايهود نائبا لرئيس الأركان
خطط لاغتيال أبو جهاد في تونس

بدأت المعارك حول منصب رئيس الأركان في آب ١٩٨٦، وفي لقاء غير مخطط مع وزير الدفاع، (اسحق رابين)، قال لرئيس الأركان (موشيه ليفي)، أن ولايته في هيئة الأركان، ستنتهي في نيسان ١٩٨٧، وهو الأمر الذي أثار خيبة لفين الذي كان يأمل أن يمدد له فترة ولايته سنة أخرى، وبالتالي، يكون ثاني رئيس أركان في الجيش الإسرائيلي بعد (رفائيل ايتان) يتم تمديد فترة ولايته.

كان المرشح الرئيسي للمنصب هو نائب رئيس الأركان (دان شومرون). وقد بذل (موشيه ليفي) كل ما في وسعه للحيلولة دون تعيين شومرون، حيث كانت الخصومة بين الاثنين، على اشدها، وخصوصاً خلال العامين الأخيرين. لقد بدأت الخلافات بين الاثنين، منذ سنوات الستينات، حيث تنافس شومرون مع ليفي، حول كل منصب في المظلات وسبقه إليه. وعندما كان شومرون قائدا لكتيبة المظليين، اكتفى ليفي بترؤس مدرسة المظليين.

أضف إلى ذلك، أن شومرون – بطل عملية عنتيبي– كان حبيب وسائل الإعلام، في الوقت الذي لم يكن فيه موشيه ليفي ضابطاً متميزاً، ولم يقد في أي حرب قوة كبيرة، ولم يُسجل في ملفه الشخصي أي أحداث بارزة، بل لقد كان تعيينه رئيساً للأركان مفاجأة مدهشة للكثير من الضباط.

وقبل فترة وجيزة من إعلام اسحق رابين لليفي باعتزامه إنهاء ولايته، أجرى تعيينا مفاجئاً، حيث عين اللواء (أمير دروري) نائباً لرئيس الأركان بدلا من (دان شومرون). ورغم أن شومرون كان صاحب أكبر فرصة في تولي رئاسة هيئة الأركان، الا أن ثلاثة ضباط آخرين انضموا إلى المنافسة، وهم: ايهود براك، اوري اور، وأمير دروري. ومن الجدير بالذكر، أن ايهود براك قرر حال تعيينه قائداً للقطاع الأوسط، مطلع ١٩٨٦ أن يخوض المنافسة على رئاسة الأركان لقد كان أحد تلاميذ وزير الدفاع اسحق رابين، وحبيباً لرئيس الحكومة اسحق شامير، وأصغر ضابط برتبة لواء في الجيش، وكانت لديه العديد

من الإلماحات التي تشير إلى أن وزير الدفاع، يعـــتزم ترقيتـــه فـــوق جميـــع الضبـــاط الأقدم منه، ويعينه رئيسا للأركـــــان.

تحولت الصداقة الطويلة بينه وبين دان شومرون إلـــى توتـــر، تصـــاعد كلمـــا اقترب موعد الاختيار. وتشـــكل فـــي الجيـــش (لوبـــي) يســـعى لتعييـــن بـــراك فـــي المنصب وعلى رأس هذا اللوبي، العميد شاؤول موفـــاز، الـــذي أنـــهى لتـــوه منصـــب قائد لواء المظليين. هذا إضافة إلى تأييد ارئيل شـــــارون لـــه.

وفـــي كـــانون الثـــاني ١٩٨٧، قـــرر اســـحق رابيـــن تجديـــد وعـــده لـــدان شومرون، وتعيينه رئيســـاً للأركـــان. اســـتدعى بـــراك، وبالتعـــاون مـــع شـــومرون، عرضا عليه منصب شعبة الأركان ونائب رئيـــس الأركـــان.

كان ذلك اليوم يوم خيبـــة أمـــل عميقـــة للواعيـــن الأول قديـــم: نـــائب رئيـــس الأركـــان أمـــير دروري، والثـــاني ايـــهود بـــراك. وقـــد أدرك دروري ان طريقـــه العسكري شارف على نهايتـــه، فعقـــد مؤتمـــراً صحفيـــاً هـــاجم فيـــه قـــرار تفضيـــل شومرون عليـــه.

وفي نفس المساء، أعلن اسحق رابين عن تعييـــن ايـــهود بـــراك نائبـــاً لرئيـــس الأركان، ونشرت الصحف صورته وهـــو بـــالملابس البيضـــاء علـــى جنـــاح طـــائرة سابينا المخطوفـــة.

وقال رابين لبراك: مـــن الضـــروري أن تجتمـــع أنـــت وشـــومرون، وتتفقـــا. وقد جلس الاثنان معاً في لقاء قصير، بيد أنه كان مجديـــاً وقـــد أثنـــى شـــومرون علـــى تصرف براك أثناء فترة التنافس، جراء عـــدم لجوئـــه إلـــى التشـــويه، ومـــن الجديـــر بالذكر أن شومرون لم يكن يعلم أن بـــراك أنقـــذه قبـــل عـــدة ســـنوات، مـــن مؤامـــرة كانت تحاك ضده لاستبعاده من المنافسة علـــى المنـــاصب الرفيعـــة.

علم براك بوصفه آنذاك، رئيســـا لشـــعبة الاســـتخبارات العســـكرية، أن شـــعبة الأمن الميداني تجـــري تحقيقـــات ضـــد ضـــابطين رفيعـــي المســـتوى، أحدهمـــا دان شومرون، فقد وصلت إلـــى شـــعبة الأمـــن الميدانـــي، رســـالة مـــن مجـــهول، ضـــد الضابطين، وتتعلق بمســـائل شـــخصية لا علاقـــة لـــها بأدائـــهما العســـكري بصـــورة

مباشرة، ولم يكن يحق لرئيس شعبة الاستخبارات التدخل في التحقيق. بيد أنه سرعان ما اكتشف، أن الأمر يتعلق بعملية تشويه تتعلق بحياة شومرون الخاصة وانحرافه الجنسي، أي أنه لوطي- وأن هدف هذه العملية، هو وضع حد لمهنته العسكرية.

استدعى براك رئيس شعبة الأمن الميداني، وحاول أن يوضح له أهداف الرسالة التي وصلته، ومن الذي يقف خلفها، بيد أن رئيس الشعبة أصر على موقفه، وقال لبراك: أنا حقاً خاضع لك، بيد أنك تدرك أن علي أن أقدم تقريراً مباشراً في قضايا التحقيق الحساسة إلى رئيس الأركان مباشرة.

التقى براك برئيس الأركان موشيه ليفي واحتج على التحقيق، بيد أن ليفي فوجئ بموقف براك، وقال له: أنه أمر بمواصلة التحقيق. فقال براك أنهم يحاولون تدمير ضابط متميز. وحينما أدرك أن ليفي لا ينوي الاستجابة له، طلب منه السماح له بلقاء وزير الدفاع موشيه آرنس وقد تمكن براك من إقناعه، فأمر بوقف التحقيق وحفظ الملف.

لم يكن شومرون يعلم بما حدث، لقد تناهت إليه شائعات، بيد أنه لم يكن يعلم بأن رئيس الأركان على علاقة بالأمر، ولم يكشف له براك الأمر الا عندما عين رئيساً للأركان، فأعلمه بأن هناك جهات رفيعة في الجيش، تعمل على التحقيق معه.

كانت العلاقات بين شومرون وبراك، حتى التنافس على رئاسة الأركان، وطيدة جداً، وكانت لهما لقاءات في مجال العمل العسكري. أولها في أيار ١٩٦٥ في العملية التي أسميت (ليلة الآبار) في قلقيلية فقد عمل الجيش الإسرائيلي ضد عدة أهداف بالقرب من قلقيلية، وكان ايهود قائداً لقوة من دورية هيئة الأركان، في حين كان شومرون قائداً لوحدة مظلات. وقد قام كل منهما بتدمير عدة آبار في الأراضي الأردنية.

أما اللقاء الثاني فجرى خلال حرب الاستنزاف على قناة السويس، في حين قاد شومرون كتيبة مظليين، تولى براك منصب نائب قائد دورية الأركان.

وفي تموز ١٩٧٦،خططـا معـا، لعمليـة"كـرة الرعـد" والتـي تـم خلالـها تخليص الرهائن في عنتيبي. كان شومرون، آنذاك، قـائد سـلاح المظـلات والمشـاة، في حين تولى براك منصب مساعد رئيس قسـم العمليـات فـي شـعبة الاسـتخبارات العسكرية.

كان اللقاء بيـن رئيـس الأركـان المنتظـر ونائبـه فـي مكانـه، وتلاشـت الخلافات. ويذكر التاريخ العسـكري الإسـرائيلي الـتزاوج فـي العمـل بيـن بـراك وشومرون كأنجح تزاوج بين رئيس أركـان ونائبـه.

لقد منح شومرون نائبه، مجـال مناورة وعمـل واسـعين جـدا، بمـا فيـها المجال التنفيذي، وفي نفس الوقـت قلّـص بـراك لقاءاتـه وتصريحاتـه للصحفييـن، إلى أدنى حد ممكن. وفي التاسع عشر مـن نيسـان ١٩٨٧، تسـلم شـومرون رئاسـة هيئة الأركان، وبعد ثلاثة أسـابيع، سـلم بـراك رئاسـة القطـاع الأوسـط لعمـيرام متسناع، وانتقل إلى مكتب نائب رئيـس الأركـان.

وكان تقسيم العمل بينهما واضحاً، وإن لم يكـن رسـمياً، ففـي الوقـت الـذي عكف فيه شومرون، علـى معالجـة قضايـا الأمـن الشـامل، تولـى بـراك مـهام التخطيط العملي، والمخططات المستقبلية وإعـداد الجيـش للحـرب~.

لقد تنبـه بـراك للأخطـار المسـتقبلية علـى إسـرائيل أخطـار الأسـلحة الكيميائية والبيولوجية في العراق وإيـران. ورغـم أن الدولتيـن كانتـا غـارقتين فـي حرب دموية، الا أن بـراك ارتـأى ضـرورة إعـداد الـرد الشـافي علـى إمكانيـة الحرب البيولوجية والكيميائيـة.

كانت الاستعدادات تتطلب مبالغ باهظة، بيد أن براك لـم يكـن يعلـم الحقيقـة الا عندما تسلم منصبه كنائب لرئيـس الأركـان، وهـي أن خزينـة الـوزارة خاويـة تقريبا. ووجد أنه لا يوجد هنـاك حتـى شـيكل واحـد مـن المبـالغ الهائلـة، التـي يحتاجها لموازنة نيران الرعب الاستراتيجي فـي الشـرق الأوسـط.

كانت غالبية الأموال مخصصـة للأمـن الشـامل، أمـا أمـوال المسـاعدات العسكرية الأميركية، فقد خصصت فـي غالبيتـها لتمويـل صفقـات الشـراء، وعلـى

وجه الخصوص شراء الطائرات الحديثة لسلاح الجو الإسرائيلي. وباقي ما بقي، فكان يصب في ميزانية طائرة (هليفي).

كان مشروع طائرة هليفي قد بدأ يتبلور في شباط ١٩٨٠، بيد أنه لم يدخل حيز التنفيذ الفعلي الا في أوج الحرب اللبنانية. وكان بيغن، قال في إحدى الجلسات الحكومية، التي ناقشت العلاقات الإسرائيلية مع الولايات المتحدة: أنه يتوجب الاستعداد لإنتاج منظومات حربية إسرائيلية كي لا تظل إسرائيل رهنا بالمساعدات العسكرية الأميركية، وأعطى الضوء الأخضر للصناعات الجوية الإسرائيلية للشروع بمشروع طائرة هليفي.

وفي شباط ١٩٨٣، وفي أعقاب نشر لجنة كوهين لاستنتاجاتها بشأن مذبحة صبرا وشاتيلا، في لبنان، غادر ارئيل شارون منصب وزير الدفاع. وفي آذار تم تعيين موشيه آرنس خلفا له.

كان آرنس يفتقر إلى المعرفة الأمنية، بيد أنه كان خبيرا في هندسة الطائرات. لذا تم تدفيق أموال بكميات لم يسبق لها مثيل، إلى المشروع هليفي. ووجدت إسرائيل نفسها عبدا لهذا المشروع الذي وعد آرنس بأن يكون أحدث طائرات المستقبل.

كانت طائرة هليفي في نموذجها الأول طائرة عادية نسخة عن طائرة (ميراج وكفير)،بيد أن آرنس، الذي كان شريكا في التخطيط لبناء طائرة(هوابا)- آمن بأن الصناعات الجوية الإسرائيلية، قادرة على تطوير طائرة مقاتلة تبز جميع الطائرات الأخرى.

وقد خطط آرنس لمشاركة الولايات المتحدة في تمويل المشروع، بيد أن الأميركيين لم يكونوا متحمسين للمشروع، فهم لم يفهموا لماذا يتوجب على إسرائيل- التي تتمتع بأموال المساعدات العسكرية الأميركية- أن تخوض هذه المغامرة الكبيرة. أضف إلى ذلك، أنه كان من مصلحة الولايات المتحدة، بيع طائرات حربية إلى إسرائيل.

تقبل شومرون وبراك مشروع الطائرة كحقيقــة قائمــة، لكــن حينمــا اتضــح لهما أنه سيأكل غالبية ميزانية الدفاع قررا الدفع باتجاه إعــادة النظــر فيــه.

وقد وجد الاثنان إلى جوارهما وزيــر الدفــاع الجديــد اســحق رابيــن، الــذي حل بدلا من آرنس عام ١٩٨٤. وقد اكتشف رابين، حقــائق مثــيرة للاهتمــام فســلاح الجو الإسرائيلي، الــذي يعتــبر الزبــون الأول لطــائرة هليفــي، لــم يكــن متحمســا للطائرة، لقد خشي الطيــارون مــن أن تحــول طــائرة هليفــي دون شــراء الســلاح لطائرات (اف١٥)و(اف١٦) التي كانوا يعرفونها جيــدا، أضــف إلــى ذلــك، أنــه لــم تكن لديهم أي ضمانات تؤكد بأن (هليفي) ستكون متمــيزة مثلمــا وعــد(آرنــس). لــم يكن ايهود براك بحاجة إلى وقـــت طويــل كــي يــدرك أن هنــاك ضــرورة لوقــف المشروع في مــهده.

لقد تحولت قضية(هليفي) من قضية أمنية إلــى قضيــة سياســية، بيــن حزبــي العمل والليكود. وكان من الواضح، من هي الجهة التــي يؤيدهــا بــراك.

وفي الثلاثين من آب ١٩٨٧ عقدت الحكومة اجتماعــاً لحســم هــذه القضيــة، وقد صوت اثنا عشر وزيراً، وعلى رأســهم وزيــر الدفــاع اســحق رابيــن ووزيــر الخارجية شمعون بيرس، ضد مشروع هليفــي فــي حيــن صــوت رئيــس الحكومــة واحد عشر وزيرا آخر- غالبيتــهم مــن الليكــود- لصــالح المشــروع. وفــي نهايــة الجلسة أعلن الوزير موشيه آرنس، عن استقالته مـــن الحكومــة وتظــاهر الآلاف مــن عمال الصناعــات الجويــة وأغلقــوا الطــرق، بيــد أن الولايــات المتحــدة ســارعت للإعلان عن اعتزامها تزويد إســـرائيل فــورا بمائــة وخمســين طــائرة مقاتلــة مــن طـــراز (أف-١٦).

الطائرة الشراعية

في الخــامس والعشــرين مــن تشــرين الثــاني ١٩٨٧ هبــت عاصفــة فــي إسرائيل فقد تمكن (مخرب) شــيعي مــن التســلل إلــى إســرائيل باســتخدام طــائرة شراعية، وهبط بها بالقرب من "كريات شمونة" وتســلل إلــى إحــدى قواعــد(النــاحل) العسكرية القريبة، ونجح في قتل ستة جنود قبـــل أن يقتلــوه.

وقد قرر براك وشومرون، التعامل مع هذا الحادث بخطورة بالغة، جراء السهولة التي تمكن خلالها(المسلح) من الدخول إلى القاعدة وقتل ستة جنود، وقرروا إقالة قائد لواء الناحل. بيد أن الجانب الخطير الذي كان يخشاه براك، هو أن تفسر المنظمات الفلسطينية الحادث بأنه دلالة على ضعف الجيش الإسرائيلي. ولم يدر براك، إلى أي حد كان هذا الوصف ملائما للواقع. لقد تحول(المسلح) المذكور، إلى بطل قومي في الضفة والقطاع.

وعندما اندلعت الانتفاضة بعد أسبوعين من ذلك التاريخ تم الإعلان عنه كبطل من أبطالها. فقد قامت الانتفاضة على مبدأ تحطيم أسطورة المقاتل الإسرائيلي، الذي بدا بكامل ضعفه خلال عملية معسكر الناحل.

اندلعت الانتفاضة في التاسع من كانون الأول١٩٨٧، حينما قامت شاحنة إسرائيلية بصدم سيارة فلسطينية وقتل أربعة أشخاص من ركابها، وهم من مخيم جباليا. وقد أدت هذه الحادثة، إلى إضرام النيران في قطاع غزة، خصوصاً على أرضية الشائعات القائلة، أن السائق نفذ عمليته للانتقام لمقتل جندي إسرائيلي في قطاع غزة قبل يومين. وخرج عشرات الآلاف من الجماهير الغزية، وهاجمت الجنود والمواقع، وقد ذهل الجنود، وهم يرون لأول مرة، الجماهير الغاضبة لا تتراجع أمام إطلاق النار عليها.

عقد رئيس الأركان اجتماعاً عاجلاً لتدارس الأمر، وكلف ايهود براك بالعمل على إيجاد الحلول لهذه الحرب التي لم يسبق للجيش الإسرائيلي أن خاض مثلها.

وفي أول جلسة حكومة ناقشت الانتفاضة، قال براك:" الأمر يتعلق بحرب طويلة، فالقضية ليست قضية أيام وأسابيع، بل قد تستغرق سنوات لذا، يجب علينا أن نتخذ الاستعدادات اللازمة لمواجهة الوضع الجديد، وبلورة حلول خلاقة.

لم يكن الجيش مستعدا لمواجهة مثل هذا الوضع، مما أحدث ارتباكا شديداً، وكان رد الجيش على غضب الجماهير ومظاهراتها، إطلاق النار عليها.

مما أسفر عن مقتل عشرات الفلسطينيين فـي الأسابيع الأولـى، ووجدت إسرائيل نفسها معزولة، وموضع هجوم في شتى أنحـاء العـالم.

عمل الطاقم الذي شكله براك بكل طاقته للعثـور علـى حلـول عمليـة، فتـم استبدال العيارات النارية بعيـارات بلاسـتيكية، ثـم بالعيـارات المطاطيـة، وعندمـا اتضح أن هذه العيارات قاتلة، إذا ما أطلقـت عـن أبعـاد قصـيرة، جـرى اسـتبدالها بالعيارات الملونة وكلمـا اسـتعر اوار الانتفاضـة، كلمـا ارتفعـت وتـيرة التجـارة الإسرائيلية في محاولة لوقفها: مدافع حجارة، سـيارات مدرعـة تـم تزويدهـا بجـهاز خاص لرشق المتظاهرين بالحجارة، بلاسـتك خـاص لإطفـاء الإطـارات المشـتعلة، غازات مسيلة للدموع.... الـخ.

كان نائب رئيس الأركان، براك، مسئولا عـن الوحـدات الخاصـة: دوفدفـان في الضفة الغربية، وشمشون فـي غـزة. وقـد مـارس بـراك ضغوطـا مـن أجـل إرسـال الوحـدات الخاصـة: دوريـة المظليـين، وجولانـي وجبعـاني لمواجهـة الانتفاضة، والتخفيف عن المستعربين. وقد أدى هـذا القـرار إلـى إثـارة مواجـهات شديدة مع قادة الوحدات الخاصة الذيـن اضطـروا لتغيـير بعـض التدريبـات أضـف إلى ذلك، أنهم قالوا: أن مواجهة المظاهرات ليست مـن مـهام عملـهم.

اقترح براك إقامة سـجن كبـير قـادر علـى اسـتيعاب معتقلـي الانتفاضـة، واشـار إلـى معتقـل(كتسـيعوت) فـي النقـب، بيـد أن قـائد القطـاع الجنوبـي اسـحق مردخاي، عارض إقامة المعتقل فـي قطاعـه، الا أن بـراك أصـر علـى ذلك، وأقام المعتقـل.

وفي أوج اندلاع الانتفاضة، وجد براك نفسـه، مـرة أخـرى، فـي قلـب عاصفة الفعل- حسـب ما نشـرته وسـائل الإعـلام الأجنبيـة-كـانت تلك إحدى عمليات دورية هيئة الأركان المتمـيزة، علـى بعـد آلاف الكيلـو مـترات، من سـواحل إسـرائيل.

اغتيال أبو جهاد

في أعقاب اضطرار المنظمات الفلسطينية لإخلاء بيروت في آب ١٩٨٢، حطوا الرحال في تونس. على بعد آلاف الكيلو مترات من إسرائيل، ومن هناك أخذ ياسر عرفات يشغّل ويفعّل جناح العمليات العسكرية. الذي يترأسه، ومن هناك صدرت الأوامر إلى النشطاء الميدانيين، ولنشطاء الانتفاضة.

وفي حوالي الساعة الثانية من ليلة السادس عشر من نيسان ١٩٨٨- وحسب ما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية- سمع صوت نسائي خارج الفيلا التي يقطنها أبو جهاد- نائب الرئيس الفلسطيني للشؤون العسكرية ورئيس شعبة العمليات في حركة فتح.

نادت المرأة باسم أبو سليمان- الحارس الشخصي لأبو جهاد، فسارع الحارس إلى الباب، وفتحه جزئيا ونظر إلى الخارج، وكان آخر شيء شاهده هو لمعة نيرانية، وآلام حادة، ثم سقط أرضا، بعد أن أصيب في رأسه.

كان أبو جهاد في غرفة مكتبه في الطابق الثاني في فيلته الفخمة، والواقعة في حي سيدي بوسعيد التونسي. وقد أقلقه الصوت الذي انبعث من الطابق الأرضي، فأخذ مسدسه وتوجه نحو السلم، في الوقت الذي كان هناك أشخاص يرتدون بزات زيتية اللون يتسلقون الدرج بسرعة باتجاهه، ولم يتمكن أبو جهاد من إطلاق النار، حيث عاجلته صلية نيرانية فألقته أرضا.

خرجت أم جهاد على صوت إطلاق النار، وشاهدت زوجها وهو ينهار أرضا، وأدركت أنها التالية في الدور، وبدلا من أن تتلقى العيارات النارية، امتدت يد قوية باتجاهها، ودفعتها إلى غرفة النوم مجددا، وقال لها صاحب تلك اليد" لسنا مهتمين بك، ادخلي غرفة نومك وابقي هادئة" استجابت أم جهاد للأمر، وأخذت ابنها الذي يناهز الثالثة عشرة، وأغلقت على نفسها غرفة النوم وهي تبكي مصير زوجها. في حين قامت القوة المهاجمة بتمشيط المنزل بسرعة. ومن شق صغير في غرفة النوم شاهدت المهاجمين وهم يغادرون الفيلا حاملين معهم صناديق ومظاريف كانوا قد أخذوها من الفيلا.

حاولت أم جهاد الاستغاثة بالهاتف، بيـــد أن الخـط كــان مقطوعــاً فخرجــت إلى الشرفة وأخذت تصرخ قائلة" قتلوا أبو جــهاد، قتلــوا أبــو جــهاد". وبعــد دقـــائق، قدم حراس عرفات الذي كان يسكن في فيلا مجاورة، وحــال بــزوغ الفجــر اكتشــفت قوات الأمن التونسية، ثــلاث ســيارات: حــافلتين صغــيرتين، وســيارة بيجــو ٣٠٥، على ساحل البحر، على بعد عشرين كيلومترا من مــنزل أبــو جــهاد.

وبعد عدة أيام نشر(جل فرانكل) مراســل جريــدة واشــنطن بوســت مقالــة، قال فيها أن اغتيال أبو جهاد تم على أيدي عمـــلاء الموســاد ودوريـــة هيئـــة الأركـــان والكوماندو البحـــري.

وافادت الجريدة، أن قرار التصفية اتخـــذ فـــي جلســـة حكوميـــة خاصـــة فـــي الســـادس من نيســـان ١٩٨٨، وقد شــــــارك فـــي هـــذه الجلســــــة رئيــس الموساد ناحوم أدمونـــي.

كان مسلحون قد هـــاجموا قبــل هـــذا التـــاريخ بشـــهر عمـــالاً يعملـــون فـــي المفاعل النووي في ديمونة، بعد أن تسللوا من سيناء وقـــد قتــل ثلاثــة مــن الرهـــائن قبل أن تنجح وحدة مكافحة الإرهـــاب فـــي الســـيطرة علـــى الحافلــة. وقبــل أن يتـــم تصفيته، قال أحد المسلحين: لقد أرسلنا أبـــو جـــهاد.

طرح رئيس حكومة الوحدة الوطنيـــة، اســحق شـــامير، فـــي مطلـــع نيســـان، لأول مرة، إمكانية اغتيال أبو جهاد، بيـــد أن ثلاثـــة وزراء مـــن حـــزب العمـــل هـــم: وزير الخارجية شمعون بـــيرس، ووزيـــر المعـــارف اســحق نـــافون، والوزيـــر بـــلا وزارة عيزر وايزمن، عارضوا العمليــــة، فـــي حيـــن أيدهـــا وزيـــر الدفـــاع اســحق رابين، ووزير التجارة والصناعة حـــاييم بـــارليف ووزراء آخـــرون. ولـــم يجـــر فـــي نهاية الجلسة تصويت على الاقتراح، فقد حســـم القـــرار اســحق شـــامير بـــالقول: لقـــد تم نقل القرار إلى الموساد والجيـــش الإســـرائيلي.

وافادت وسائل الإعلام الأجنبيـــة انـــه تـــم اســـتدعاء رئيـــس الموســـاد نـــاحوم أدموني لحضور جلسة الحكومة التالية، وأعلن شامير انــــه ســـيتم تصفيـــة أبـــو جـــهاد قريبا، "فهذه هي اللغة الوحيدة التـــي يفهمونـــها".

لقد سبق العملية عملية إعداد دقيقة، ففي أعقاب اتخـاذ القـرار اسـتدعي إلـى مكتب وزير الدفاع ثلاثة ضبـاط: دان شـومرون رئيـس الأركـان، وايـهود بـراك نائبه، ورئيس شعبة الاسـتخبارات العسـكرية أمنـون ليفكيـن شـاحك. وفـي نهايـة الاجتماع، اتخذ قرار بأن يترأس ايهود براك الطـاقم التخطيطـي، يسـاعده فـي ذلـك رئيس شعبة الاستخبارات شاحك، ورئيس الموسـاد وضبـاط آخـرون.

كان براك مسروراً لتحديد هدف العملية فقـد كـان أبـو جـهاد مسـئولا عـن العديد من العمليات العسكرية ضد إسرائيل، والتـي أسـفرت عـن مقتـل عـدد كبـير من الإسرائيليين واليـهود.

وخلال ذلك اللقاء، وضع براك الإطـار الأول للعمليـة: شـعبة الاسـتخبارات العسكرية مسئولة عن ملف المعلومـات، والموسـاد مسـئول عـن الإعـداد التنفيـذي على أرض الواقع، وسلاح الجو مسـئول عـن الرقابـة والتغطيـة الجويـة، وسـلاح البحرية سينقل القوة إلى الهدف، وجنـود الكومـاندو البحـري هـم المسـئولون عـن إنزال القوة على الساحل التونسي، أما عمليـة التصفيـة نفسـها، فسـيقوم بـها جنـود دورية هيئة الأركـان.

كانت لدى شعبة الاستخبارات ملفات ضخمة حول أبـو جـهاد: بيـد أنـها لـم تكن تفي بالغرض. ومنذ اللحظة التي تـم فيـها اتخـاذ قـرار التصفيـة، قـام بـراك بتفعيل عدد كبير من العملاء لجلب المزيد مـن المعلومـات.

ووفقا لما نشرته وسائل الإعلام الأجنبية تـم إرسـال عمـلاء الموسـاد إلـى تونس، فعادوا من هناك وهم يحملون معلومـات كاملـة عـن المـنزل، وصـورا لـه من الداخل والخارج، بما فيها أنظمة الحراسة، ونظـام الحيـاة اليوميـة لأبـو جـهاد. كما بادر براك، إلى تنفيذ تحليق جوي فـوق المـنزل وتصويـره، وتصويـر الطـرق المؤدية إليـه.

ورغم أن أبو جهاد لم يشـعر بشـيء، الا أنـه كـان تحـت المراقبـة طيلـة أسبوع، كما كان عملاء الموساد يتصنتون على جـهازه الـهاتفي، وعرفـوا كـل مـا يعتزم عمله. وقد تمكنت الأجهزة الحديثة التي تـم زرعـها فـي منزلـه مـن كشـف

النقاب عن عادات لم تكن معروفة عنه. فقد اتضح مثلا، أنه اعتاد العمل حتى منتصف الليل في صالون المنزل في الطابق الأول، ثم الصعود إلى الطابق الثاني إلى غرفة العمل، أو إلى غرفة النوم الملاصقة لها.

حدد براك اسم الضابط الذي سيقود العملية: المقدم موشيه يعلون قائد دورية هيئة الأركان، في الوقت الذي كان فيه الطاقم المنتخب للتنفيذ يتدرب على نموذج مشابه على أحد سواحل جنوب إسرائيل، على الهبوط والحركة والسيطرة والانسحاب.

في الثالث عشر من نيسان ١٩٨٨ انطلقت عدة زوارق حربية إسرائيلية من ميناء حيفا باتجاه الغرب. كانت الزوارق محملة بكم كبير من المعدات الحربية، بما فيها مستشفى ميداني، وأجهزة إلكترونية، وطائرة هليوكبتر لإنقاذ الجنود من المنطقة عند الضرورة. وكان نائب رئيس الأركان ايهود براك، على متن أحد الزوارق.

وإبان إبحار السفينة، تلقت رسالة تقول: أبو جهاد في منزله، ويواصل العمل حسب العادة. وأفاد عملاء الموساد في تونس: أن شخصيات رفيعة من المنظمة، بمن فيهم ياسر عرفات، موجودون في تونس. كان الإغواء كبيرا جدا لتصفية جميع القادة الموجودين، بيد أن ايهود براك وبالتشاور مع رئيس الأركان دان شومرون، قرر التمسك بهدف العملية الأصلي.

لقد كان الإغواء للمشاركة في عملية التصفية لدى براك كبيرا. وتذكر أنه أبحر قبل خمس عشرة سنة بالضبط- في نيسان ١٩٧٣- على متن زورق حربي إسرائيلي إلى ساحل بيروت لتنفيذ عملية (ربيع الشباب)، كان آنذاك برتبة مقدم، وقائد لدورية هيئة الأركان، أما الان فهو ضابط رفيع برتبة لواء، ونائب رئيس الأركان.

اقتربت الزوارق الحربية في الخامس عشر من نيسان في ساعات منتصف الليل من الساحل التونسي. وأفادت قوة طلائعية من الكوماندو البحري

أن الشاطئ هادئ. وقام براك بمعانقة موشيه يعلون بشدة، قبل هبوطه هو والجنود إلى الزوارق.

في ذلك الوقت كان عملاء الموساد يسيطرون على خطوط الهاتف، وباستخدام أجهزة تكنولوجية حديثة كانوا يتحكمون في المحادثات، وفيما إذا كان يجب السماح لأبو جهاد بسماعها أم لا.

كانت التوجيهات المعطاة لقائد الدورية واضحة: اقتل أبو جهاد وحراسه، لكن لا تمس بزوجته وأولاده. كانت العملية خاطفة جداً، حيث لم تستغرق منذ وصول الجنود إلى المنزل، وحتى مغادرة آخرهم، وركوبه السيارة دقائق معدودة.

وكان النجاح بنسبة ١٠٠%، فقد غادر الجنود المكان تاركين خلفهم جثمان (أبو جهاد) وقد مزقه الرصاص، دون أن يلحظ أي شخص من أصحاب المنازل المجاورة حدوث شيء غريب.

سارعت القوة بالسيارات إلى الشاطئ، وهناك امتطت الزوارق المطاطية إلى الزوارق الحربية، التي كانت ترسو بالانتظار على بعد عدة مئات من الأمتار.

استقبل ايهود المقاتلين على متن السفينة، وتم إجراء الاستجواب الأولي، وبعد أربع وعشرين ساعة، كانت الزوارق في إسرائيل.

ومن الجدير بالذكر، أن إسرائيل لم تعترف أبداً بتنفيذها للعملية وعندما سئل رئيس الحكومة شامير عن العملية، قال:" لقد سمعت عن ذلك في الراديو".

شعر براك، مطلع ١٩٨٩، أن نبوءته قبل ثلاث سنوات بدأت تتحقق، فقد بدأت منظمة جديدة تحتل مكانة واسعة في الضفة والقطاع، منظمة حماس، وهي منظمة إسلامية متطرفة، ترفع لواء محاربة إسرائيل بلا هوادة. وقد وجد الجيش الإسرائيلي في تلك الآونة نفسه أمام موجة عمل عسكري جديدة، قامت خلالها حركة حماس باختطاف وقتل جنود بعد أن تخفى مقاتلو حماس في صورة يهود متدينين ونقلوا الجنود معهم مجانا. وفي السادس عشر من شباط، تم اختطاف

المظلي آفي سسبورتس، وتم قتله حال ركوبه السيارة، وتم العثـــور علـــى جثتـــه بعـــد عدة أشـــهر.

عقدت هيئة الأركان اجتماعا، أصدرت في نهايتـــه تعليمـــات مشـــددة للجنـــود فيما يتعلق بالركوب المجاني. بيـــد أن الأوامـــر لـــم تجـــد نفعـــاً فـــي الحيلولـــة دون عملية القتل التالية.ففي الثالث مـــن أيـــار اختطـــف وقتـــل الجنـــدي (إيـــلان ســـعدون) والذي كان بانتظار الركوب المجاني، قـــرب عســـقلان وقـــد اكتشـــف جـــهاز الأمـــن العام، أن حركة حماس تقف خلف هـــذه العمليـــة أيضـــا، فتـــم اتخـــاذ قـــرار يقضـــي باعتقال الشيخ أحمد ياسين رئيســـــها.

اعتقال الشيخ ياسين

وحادث الحافلة ٤٠٥

لم يضع اعتقال الشيخ ياســـين حـــداً للعمليـــات التـــي كـــان الطـــاقم التنفيـــذي لحركة حماس يقوم بها. ففي السادس من تمـــــوز، نجـــح أحـــد أعضـــاء حمـــاس فـــي السيطرة على عجلة قيادة حافلة على الخط(٤٠٥)، كانت في طريقـــــها مـــن تـــل أبيـــب إلى القدس، ودهور السيارة في وادٍ عميق قرب قريـــــة أبـــو غـــوش ممـــا أســـفر عـــن مقتل ستة عشر شخصا، وإصابة سبعة وعشرين آخريـــن بجـــراح. وقـــد هـــزت هـــذه العملية التي كانت من أخطر العمليات التي شهدتها إســـــرائيل فـــي تلـــك الأيـــام- ثقـــة الإسرائيليين بقدرة الدولـــــة.

اختطاف الشيخ عبيد

من جنوب لبنان

وقعت عملية الحافلة (٤٠٥) في الوقت الذي كان فيـــــه رئيـــس الأركـــان يعـــد لعملية جريئة: خطف الشيخ عبيد، زعيم حزب الله مـــن جنـــوب لبنـــان. وكـــان هنـــاك سببان لاختيار هذا الـــــهدف:

- للتأكيد على أن عملية الاختطاف لن تبقى حكراً علـــى طـــرف واحـــد.

• للضغط على حزب الله لإطلاق سراح الجنديين رحميم الشيخ، ويوسف فينك، اللذين تم اختطافهما إبان قيامهما بدورية في منطقة الحزام الأمني في جنوب لبنان.

كان براك يؤمن بأن اختطاف الشيخ عبيد سيكشف معلومات مهمة حول مصير الملاح الإسرائيلي المفقود رون اراد. لقد فتش براك-منذ إسقاط طائرة أراد في جنوب لبنان، في تشرين الأول ١٩٨٦، جميع الطرق الممكنة على الصعيدين السياسي والاستخباري، للحصول على معلومات عمّا آل إليه مصيره.

وعندما بدأ ملف عبيد في التبلور، بات براك واثقا من أن بمقدوره تقديم معلومات حول مكان وجود اراد، مما قد يتيح الفرصة للقيام بعملية كوماندو جريئة لتخليصه.

وفي السابع والعشرين من تموز، تم إنزال قوة مختارة من دورية هيئة الأركان بالقرب من بلدة جبشيت باستخدام طائرات الهيلوكبتر، حيث وصل جنود هذه القوة إلى منزل الشيخ المحاط بالآلاف من الشيعة واختطفوه من سريره.

وقبيل الفجر عادت القوة إلى إسرائيل، بيد أن حجم النجاح كان بحجم الأمل، فقد رفض حزب الله حتى مجرد التفاوض حول إطلاق سراح الشيخ.

وبعد خمس سنوات من ذلك التاريخ، وبوصفه رئيسا للأركان، كان براك الرأس المخطط لعملية خطف أخرى من حركة أمل وهو (مصطفى ديراني)، وهي المنظمة التي كانت تحتفظ (برون أراد) اثر وقوعه في الأسر، تم(باعته) لحزب الله.

ولا شك، أن عمليتي الاختطاف أشارتا بوضوح إلى طبيعة الرجل الذي وقف وراءهما: جريء عملي، ومفاجئ في المكان الذي لا يتوقعه إنسان.

لقد عززت الانتفاضة، واشتداد ساعدها، مكانة وحدتي المستعربين اللتين تم تشكيلهما: دوفدفان في الضفة الغربية، وشمشون في قطاع غزة.

كان التعاون بين ايهود ويعقوب بيري وطيدا جدا، فقد أعرب بيري عن تذمره من توفر المعلومات الاستخبارية، وفي نفس الوقت عدم توفر القوة

المنفذة، فتعهد براك بتوفير هذه القوة، وقام بمطالبة رؤساء الوحدات العسكرية بإعداد قوائم بأسماء الضباط المتميزين، واستدعاهم إلى مكتبه لإقناعهم بالخدمة لمدة سنة في إطار وحدتي شمشون ودوفدفان.

لقد أذهل براك جهاز الأمن العام بسرعة التنفيذ، ففي الكثير من الأحيان لم تمض ساعات معدودة، على وصول المعلومة، حتى يكون الشخص المطلوب معتقلاً.

وفي الكثير من الاحيان، كان رئيس الأركان ونائبه يصطدمان مع الوزراء، على أرضية إجراءات فتح النار في عهد الانتفاضة. وقد قاد هذه الحملة الوزارية، (رفائيل ايتان) و(رحبعام زئيفي) و(يوفال نئمان)، وأحيانا ارئيل شارون.

رفائيل: يجب أن تطلقوا عليهم النار، مثلما تطلقون النار على الكلاب.

زئيفي: يجب فتح النار على كل من يرشق حجراً.

براك: هناك قوانين، هناك إجراءات متشددة لإطلاق النار، ونحن سنعمل وفقاً لها.

رفائيل: في الحروب لا توجد قواعد، ما هذا الكلام الذي أسمعه عن إجراءات وقواعد فتح النار؟

براك: نحن لا نفتش عن إغراق مدن الضفة وغزة بالقتلى، بل نفتش عن أساليب للردع والقتل، لكن وبوضوح، ليس القتل دون ضرورة.

زئيفي: يجب استخدام النيران الحية، هذا هو الأسلوب الوحيد الذي يفهمونه.

ايتان: يجب محو قرى كاملة من قرى المتظاهرين والمحرضين.

رحبعام زئيفي: يجب طرد كل المحرضين، لا يوجد حل افضل من الترانسفير.

براك: مرة أخرى، الجيش لن يفعل أي شيء يخالف القانون.

الفصل الســـابع عشـــر

حرب رئاسة الأركان

تولى مهام الاستعدادات لمواجهة الصواريخ العراقية

بدأت التحركات في هيئة الأركان في الأول من نيسان ١٩٩٠ توطئة لخوض الصراع حول تعيين رئيس هيئة الأركان، حيث لم يبق لدان شومرون سوى سنة واحدة في هذا المنصب. وقد اعتبر ثلاثة ضباط أنفسهم، مرشحين لهذا المنصب: نائب رئيس الأركان ايهود براك، ورئيس شعبة الاستخبارات امنون شاحك، وقائد القطاع الشمالي: يوسي بيلد، والذي كان يحظى بتأييد رفائيل ايتان، ونشطاء من الليكود.

كان ايهود براك مقتنعاً بأن هذا المنصب من نصيبه، بيد أن زلزالا وقع في الحكومة قبل أسبوعين من عملية التعيين. فقد عمل وزير المالية والقائم بأعمال رئيس الحكومة شمعون بيرس على (تفجير) حكومة الليكود الوطنية، حيث عمد إلى تجنيد أعضاء الكنيست من حزبي (شاس) و"أجودات إسرائيل"، في محاولة للإطاحة باسحق شامير. واستقال جميع وزراء حزب العمل من الحكومة واستقال معهم وزير الدفاع اسحق رابين، رغم تحفظه على خطوات بيرس.

كانت الضربة شديدة الوطء على ايهود براك، فرابين لم يكن يخفي محبته لنائب رئيس الأركان، لقد استمرت علاقتهما زمناً طويلاً. وكذلك لقاءاتهما التي كان قسم منها يجري في منزل وزير الدفاع، لقد كانت العلاقة القائمة أكبر بكثير من العلاقة التي تنشأ بين وزير دفاع، ونائب رئيس أركان. لقد التزم رابين قبل ثلاث سنوات، أمام براك، بأن يتم تعيينه الرئيس القادم للأركان، أما الآن فقد اصبح براك يخشى من عدم تحقق هذا الوعد.

لقد كان يعلم تماما بالوضع السياسي، وتنبأ حدسه بأن خطوة بيرس ستكون وبالا، وهذا ما حدث ففي حزيران ١٩٩٠، نجح شامير في تشكيل الحكومة دون حزب العمل، وكان أسوأ بشرى بالنسبة لبراك، تعيين موشيه آرنس وزيرا للدفاع. لقد كان لارنس حساب طويل مع ايهود، فهو لم ينس أنه كان أكبر شخصية أسهمت في حفظ وإحباط مشروع طائرة(هليفي).

قائد القطاع الشمالي (يوسي بيلد)- الذي لم يكن في عهد رابين مرشحا حقيقيا لمنصب رئيس الأركان، أخذ الان يزاحمه على المنصب. وشكل

بيلد(لوبي) ترأسه رفائيل ايتان، الــذي أوضــح لآرنــس، أن بــراك اندفــع أكــثر ممــا ينبغي، وانه يتمتع بتجربة ضحلة، على صعيــد المنصــب.

لقد فاجأ آرنس، براك فــهو لــم يتطــرق خــلال أول حديــث بينــهما، إلــى طائرة(هليفي)، بل طلب منه أن يقدم إليــه تقريــراً للوضــع، كــي يكــون ملمــاً حــال تسلمه لمنصبه كوزير للدفـــاع.

وفي تشــرين الثــاني، اتصلــت إحــدى موظفــات مكتــب (عزرائيــل بنــو) السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، بمكتب ايهود، بيد أنها لــم تجــده هنــاك، فــتركت له رسالة مفادها:" رئيس الحكومة يرغب في رؤيــة نــائب رئيــس الأركــان، الســاعة الخامسة مساء، بيد أن الموظفة فــي مكتــب بــراك ســجلت أن اللقــاء ســيكون فــي الساعة السابعة بدلاً من الخامسة، أي بتــأخير ســاعتين.

وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف اتصل(عزرائيــل بنــو) برئيــس مكتــب براك(يوني كيرن) وقال له: ماذا تفعلون في تل أبيــب، بعــد نصــف ســاعة يجــب أن يجتمع رئيس الحكومة ببراك. وبعد دقيقتين، كــان بــراك ينــهب الأرض بســيارته فــي طريقه على القــدس.

استقبله شامير بود-وقال:" ايهود، كيــف حــالك؟ تعــال واجلــس، هــل تــود شرب شيء ما؟؟ أدرك شامير أن ايــهود متوتــر، وقــرر إفــراغ ذلــك التوتــر مــرة واحدة فقال:" لقد قررنا أن تكون أنــت رئيــس الأركــان القــادم، الحكومــة ســتصادق على ذلك خلال الأسبوع القادم، تــهنئتي، وبالنجــاح".

وحال خروجه من مكتب رئيس الحكومة، قال ليونــي كــيرن: أخــرج ورقــة واكتب:" يسمح لكل شــخص أن يرتكــب خطــأ واحــداً فقــط". وكــان يقصــد بذلــك الموظفة في مكتبه التي كادت تخرب الزيــارة لرئيــس الحكومــة.

بدأ ايهود يفتش عن زوجته بالهاتف، كــي تكــون أول مــن يعــرف بــالتعيين، ثم توجه الاثنان إلى أبو غوش لتناول وجبة حمص ومعهما اللــواء (دانــي يتــوم).

طلب ايهود من كيرن أن يحتفظ بالسر، بيد أنه لم تمض ساعة، حتى أذاع التليفزيون النبأ، لقد تسرب السر من رئيس الأركان دان شومرون، الذي توجه إلى مكتب ايهود، وهنأ الموظفين هناك.

وقد علم براك، فيما بعد، أن آرنس عينه رئيسا للأركان بتوصية من اسحق رابين الذي كان آنذاك في المعارضة، وقد تجاهل آرنس جميع ضغوط اليمين الإسرائيلي، الذي قال أن ايهود يؤيد حزب العمل، وأن تعيينه سيكون بمثابة إحراز هدف ذاتي من قبل الليكود.

وقد صافحه جميع الوزراء في أعقاب المصادقة على القرار، في حين أرسل إليه رفائيل ايتان بطاقة كتب فيها:" ايهود ... مباشرة أقول لك أنني كنت أعارض تعيينك لأنني اعتقد أنك لم تشغل وظائف عسكرية بما فيه الكفاية، وأنك تفتقر إلى المعرفة في مجال الانضباط والإدارة وأتمنى أن أكون مخطئا".

حرب الخليج الثانية

فاجأ الجيش العراقي العالم كله في الثاني من آب ١٩٩٠، باحتلاله الكويت في ساعات معدودة، وفي خطاب الانتصار قال (صدام حسين): "أنه إذا ما حاولت الولايات المتحدة التدخل في النزاع (العائلي) في الخليج، فإنه سيقوم بإحراق (تل أبيب) بصواريخ سكاد التي يملكها".

لم تكن المفاجأة في الجيش الإسرائيلي كبيرة، فقبل عدة أيام من الاجتياح العراقي، قدمت شعبة الاستخبارات العسكرية تقديرا للوضع، للحكومة، جاء فيه "أن هناك احتمالا كبيرا لأن يجتاح الجيش العراقي الكويت".

قرر شامير عدم إجراء التعديلات الجديدة في الجيش حاليا إزاء أحداث العراق.

ومن الجدير بالذكر، أن براك بذل جهودا كبيرة إبان توليه منصب رئيس شعبة الأركان، لحل المعضلة العراقية، وحينما تولى(أمنون شاحك) رئاسة الشعبة تابع نفس الاتجاه.

بدأت الاتصالات بين الولايـــات المتحـــدة وإســـرائيل فـــي أعقـــاب الاجتيـــاح. وتناسى الطرفان الأزمة التي نشبت بينـــهما، علـــى أرضيـــة رفـــض إســـرائيل مبـــادرة وزير الخارجية الأميركي. كانت الاتصـــالات بيـــن الدولتيـــن ناجعـــة جـــدا، وقـــد قـــام بتنسيق هذه الاتصالات (ديفيد عفري) مدير عـــام وزارة الدفـــاع، وتـــم الإعـــلان عـــن حالة الاستعداد القصوى في هيئة الأركان، وأخـــذت شـــعبة العـــراق فـــي الاســـتخبارات تعمل بمعدل أربع وعشـــرين ســـاعة يوميـــا، والأقمـــار الصناعيـــة الأميركيـــة، توفـــر المعلومـــات اللازمـــة، وكلـــف رئيـــس الأركـــان (دان شـــومرون)، ايـــهود بـــــراك، بالإشراف على حالة الاســـتعداد القصـــوى.

وفي أعقاب الاجتياح العراقـــي للكويـــت، قدمـــت شـــعبة الاســـتخبارات تقديـــم وضع أفادت فيه أن من المحتمل أن يطلق صدام حســـين الصواريـــخ علـــى إســـرائيل.

وقال نائب رئيس الأركان أن العراق قد يطلق صواريـــــخ ســـكاد مـــن منطقـــة (إتش-٣)، غربي العراق. وأن كل صاروخ عراقي تقليـــــدي، قـــد يســـفر عـــن ســـقوط حوالي عشرة إسرائيليين، إضافـــة إلـــى الأضـــرار الماديـــة الجســـيمة، ومـــن المتوقـــع إطلاق عشرات الصواريخ علـــى إســـرائيل.

كانت الصواريخ العراقية تقلق براك بصورة لا تقل عمـــا كـــان يقلقـــه ســـلاح الجو العراقي. وفي إحدى جلسات هيئة الأركـــان تســـاءل: مـــا الـــذي كـــان ســـيصبح عليه الوضع لو أن صدام حسين اجتاح بدباباتـــه الأردن، بـــدلا مـــن الكويـــت؟ وكـــانت التقديرات الأميركية تفيد بأن لدى العراق مالا يقـــل عـــن ســـتين فرقـــة مدرعـــة، قســـم منها مجهز بدبابات تي-٧٢ الروســـــية.

وكلما اقترب موعد انتهاء الإنذار الـــذي وجهتـــه الولايـــات المتحـــدة للعـــراق، كلما أفادت الأنباء الاستخبارية بأن العراق يدفـــع بـــالمزيد مـــن المنصـــات الصاروخيـــة والصواريخ إلى الصحراء العراقية الغربية. بيـــد أن الســـؤال الـــذي كـــان يحتـــاج إلـــى إجابة هو: هل يعـــتزم صـــدام حســـين إطـــلاق صواريـــخ تقليديـــة علـــى إســـرائيل أم صواريخ ذات رؤوس كيميائيـــة وبيولوجيـــة؟

شكلت هيئة الأركان طاقما برئاسة ايهود براك وعضوية رئيس شعبة الأركان اللواء (ايهود يتوم) واللواء (دورون روبين)، وضباط رفيعي المستوى في شعبة الاستخبارات، ورئيس شعبة الساحة العراقية العقيد (عموس جلعاد)، وضباط رفيعي المستوى في سلاح الجو وقيادة الجبهة الخلفية.

كانت تقديرات الطاقم، أن لدى العراق أسلحة ورؤوسا صاروخية كيميائية، وقدرة على تطوير أسلحة بيولوجية. ووفقا لهذه التقديرات شرعت وزارة الدفاع في شراء أقنعة واقية من الغازات وتجهيزات أخرى، وأخذت الطائرات الأميركية تفرغ حمولتها من التجهيزات في القواعد الإسرائيلية.

في الثالث عشر من كانون الأول، وفي أوج الاستعدادات توطئة لهجوم أميركي على العراق، وقعت كارثة في قاعدة سلاح الجو (عوفده) القريب من إيلات. فقد تحطمت طائرة خفيفة من طراز (سسنه) بعد إقلاعها مما أسفر عن مقتل أربعة من طياري الهليوكبتر، أباتشي- وضابط عمليات السرب.

لقد اتضح بعد سبع سنوات من اندلاع حرب الخليج، أن ايهود براك أعد خطة تقوم خلالها دورية هيئة الأركان بمهاجمة المنصات الصاروخية العراقية وأهداف أخرى غربي العراق.

كما تم تعيين العميد (أمير نحومي) للإعداد لهجوم جوي في غربي العراق.

بدأت الولايات المتحدة هجومها في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٩١، وحينها دخلت إسرائيل في مرحلة الاستعداد لامتصاص الضربات التي قد توجه إليها. ودعا اسحق شامير إلى جلسة طارئة في مكتبه، دعا إليها وزير الدفاع (موشيه آرنس) ورئيس الأركان (دان شومرون)، ونائب رئيس الأركان ايهود براك، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أمنون شاحك، وقائد سلاح الجو (أبيهو بن نون)، وضباطا كبارا آخرين وقد أعلم شامير الحاضرين، بالموقف الإسرائيلي: "لن نكون المبادرين إلى الهجوم، وإذا ما هوجمنا بالصواريخ سنرد". لم يكن براك في حاجة إلى أي تحليلات، فقد كانت التقديرات العسكرية

تؤكد أن العراق سيقصف إسـرائيل بـالصواريخ، وأن هجومـه الصـاروخي سـيكون أقرب بكثير مما يتوقعون.

وفي الساعة الرابعة ودقيقة، أعلن المراقبـون فـي بـرج المجمـع الحكومـي، أنهم شاهدوا صاروخا يمر فـوق تـل أبيـب ويسـقط فـي البحـر. لقـد كـان ذلـك الصاروخ في حقيقة الأمر هو صاروخ عراقـي لضبـط النـار. وقـد كشـفت إحـدى الصحف العربية الصادرة في لندن النقاب، عن أن العـراق جنـد فلسـطينيا كـان علـى ساحل البحر، وأعلـم العراقييـن بمكـان سـقوط الصـاروخ كـي يضبطـوا نيرانـهم بصورة أفضـل.

سقطت أول مجموعة صواريـخ سـكاد عراقيـة علـى إسـرائيل فـي نفـس الليلة، ستة منها في جوش دان، واثنان وجـهـا إلـى حيفـا، ممـا أسـفر عـن إصابـة حوالي سبعين شخصا بجـراح. لقـد حلـت لحظـة الاختبـار الحقيقيـة، وكـان علـى الحكومة اتخاذ قرار بهذا الصدد، وبـدا أن رئيـس الأركـان ونائبـه والطـائرات فـي مدارجها بانتظار هذا القـرار.

كانت جلسة الحكومة الطارئة في صبيحـة ذلـك اليـوم صعبـة للغايـة. وقـد أفاد رئيس الأركان بأن الصواريخ التـي سـقطت كـانت تحمـل رؤوسـا عاديـة، ولا يوجد أي دليل على إطلاق صواريخ غير تقليديـة، كيميائيـة أو بيولوجيـة.

دفع الوزيران شارون ورفائيل ايتان باتجـاه المبـادرة بـالرد علـى القصـف، بيد أن الوزير ديفيد ليفي، كان أكثر اعتدالا وحـذرا. وقـد أيـد وزيـر الدفـاع القيـام بالرد العسكري، شريطة أن يتم بالتنسيق مـع الأمـيركيين.

لاحظ ايهود براك، أن السكرتير العسـكري لشـامير أعطـاه ورقـة صغـيرة، وبعد أن قرأها شامير، غادر قاعة الجلسـة دون أن يقـول شـيئا. لقـد كـان الرئيـس الأميركي (جورج بوش) على الطرف الآخر من سماعة الـهاتف. وقـد أعـرب بـوش عن أسفه العميق على المصـابين الإسـرائيليين، وكـاد أن يتوسـل لشـامير قـائلا: لا تـردوا، اضبطـوا أنفسـكم، لأن أي رد إسـرائيلي، سـيؤدي إلـى حـل الائتـلاف

العسكري الأمـــيركي، أتيحـــوا لنــا الفرصـــة للعمـــل، وســـوف نعـــالج نحـــن قضيـــة الصواريـــخ".

عاد شامير إلى الجلسة، ولم يعلم الوزراء بمـــا دار بينـــه وبيـــن بـــوش، بيـــد أنه أنهى الجلسة قائلا: إذا كانت هناك ضرورة ، سنعقد جلســـة أخـــرى اليـــوم.

تواصل سقوط الصواريخ على إسرائيل رغـــم الوعـــود التـــي قدمـــها الرئيـــس الأميركي. ورغم التقارير التـــي قدمـــها الطيـــارون الأمـــيركيون والبريطـــانيون حـــول دقة الإصابات التي أوقعوها بالمنصـــات الصاروخيـــة العراقيـــة.

سافر نائب رئيس الأركان ايهود براك فـــي الحـــادي والعشـــرين مـــن كـــانون الثاني إلى واشنطن سرا، للاجتماع بوزير الدفـــاع ورئيـــس الأركـــان الأمـــيركي، وقـــد نقل إليهما رسالة واضحة تقول أن إسرائيل لا تستطيع ضبط نفســـها أكـــثر مـــن ذلـــك.

توجه براك إلى الولايات المتحدة متخفيـــا فـــي صـــورة رجـــل أعمـــال، وقـــد كان التنكر دقيقا إلى الدرجة التـــي صعـــب علـــى مديـــر مكتبـــه التعـــرف عليـــه فـــي البداية، وعرض براك على القيادة العسكرية الأميركيـــة خطـــة أعدتـــها هيئـــة الأركـــان الإسرائيلية لمهاجمة المنصات الصاروخية العراقية، وقـــال: "إننـــا نقـــدر الجـــهد الـــذي يبذله الطيـــارون الأمـــيركيون والبريطـــانيون بيـــد أن لـــدى طيارينـــا اعتقـــادا بأنـــهم قادرون على عمل ذلك بصورة أفضـــل.

وعد وزير الدفاع الأميركي، بنقل الطلـــب إلـــى الرئيـــس الأمـــيركي، وطلـــب من إسرائيل ضبط نفسها حتى يأتي رد الرئيـــس. عـــاد بـــراك فـــي نفـــس اليـــوم إلـــى إسرائيل، حاملا معه الـــرد الأمـــيركي القـــائل بـــأن الولايـــات المتحـــدة تعـــد بتعزيـــز جـــهودها ضـــد الصواريـــخ العراقيـــة، وبإرســـال بطاريـــات أخـــرى مـــن صـــاروخ (بـــاتريوت) إلـــى إســـرائيل، بيـــد أن الأمـــيركيين لـــم يتفـــهموا الاحتياجـــات الأمنيـــة الإسرائيلية، مما أبقى المطلب الإسرائيلي قائما علـــى جـــدول الأعمـــال.

وبعد عدة أيام، توجه رئيس الحكومة ونائب رئيـــس الأركـــان، لإجـــراء لقـــاء مع (الملك الحسين) في لندن، وقد جرى اللقاء في فيلا الملـــك فـــي حـــي كينســـنجتون،

لقد تم الكشف عن هذا اللقاء، لأول مرة، في المذكرات التي كتبها رئيس الحكومة اسحق شامير. وقد استقبلهما الملك بحرارة بالغة، ولم يخف قلقه من النتائج التي قد تتمخض عنها حرب الخليج. وقد عرض شامير أمامه، أهداف اللقاء قائلا:" نحن على وشك مهاجمة العراق، ونريد من الأردن ألا يتدخل". وعرض شامير على الملك خرائط تنفيذية، وقد وضعت عليها اسهم تشير إلى غربي العراق، وكانت الأسهم تمر فوق المجال الجوي الأردني. وبوصفه طيارا قديما، أدرك الملك الحسين ما الذي يقصده شامير.

حافظ شامير وبراك على لهجة هادئة وهما يوضحان له إلى أي حد يحترمانه ويقدرانه: هناك خياران للهجوم أمام إسرائيل، الأولى عبر المجال الجوي السعودي، والثاني-المفضل- عبر المجال الجوي الأردني"، كانت أيدي الملك الحسين تتجول على الخارطة، وعقله يدرك تماما إلى أين تتجه.

*براك: "أرجو أن تأمر طياريك بألا يتدخلوا، فنحن لسنا معنيين باعتراض الطائرات الأردنية".

لم يعط الملك الحسين ردا واضحا، بيد أن اللقاء انتهى بإحساس، أن الملك يدرك أن لا خيار لديه، لقد نقلت إسرائيل إليه الرسالة التي أرادت نقلها.

وفي السابع والعشرين من كانون الثاني، أقلع براك مرة أخرى إلى الولايات المتحدة. وكانت إسرائيل قد تلقت في الليلة الماضية، أثقل هجمة صاروخية عراقية، وقد سقط أحد صواريخ سكاد في وسط (رمات جان) مما أدى إلى إصابة العشرات بجراح، وتدمير حوالي ألف شقة تدميرا شاملا، وقد صاحبه وزير الدفاع موشيه آرنس ومدير عام وزارة الدفاع، ديفيد عفري، ورئيس مكتب الوزير (يرمي اولمرط).

كان وزير الدفاع الأميركي، ورئيس هيئة الأركان المشتركة (باول) بانتظارهم في المطار، وهم على علم تام بالمزاج السائد في أوساط الجهاز الأمني

الإسرائيلي، وكانوا يدركون أن إسرائيل اتخذت قرارا بشن هجوم على العراق، لذا استدعوا على عجل كبار مسؤولي وزارة الدفاع الأميركية للتشاور.

كانت الحكومة الإسرائيلية، قد عقدت اجتماعا طارئا قبل توجه آرنس وبراك وحاشيتهما إلى الولايات المتحدة، وقد غير وزير الدفاع موشيه آرنس رأيه في ضرورة ضبط النفس، وعدم الهجوم على العراق. كما طرحت خطة الهجوم التي أعدها اللواء (دورون روبين).

لم يبد ايهود براك مرتاحا من العملية، فقد كان يدرك أن العملية جيدة، بيد أن تنفيذها يرتبط بسقوط عدد كبير جدا من الضحايا.وقد أدى طرح الخطة إلى توفير الأجواء بين روبين وبراك، الذي كان آنذاك، قد بدأ بتركيب هيئة الأركان مما حدا ببراك، لاتخاذ قرار باستبعاد روبين من تركيبته.

بدا براك مقطب الوجه، خلال اللقاء مع وزير الدفاع الأميركي ورئيس هيئة أركانه، وقال: "لقد تحملنا بصمت، وضبطنا أعصابنا، ولا نستطيع مواصلة هذا الوضع، بعد الآن، لن تستطيعوا وقفنا".

دخل يرمي أولمرط، خلال الحوار، وسلم آرنس ورقة، لقد تلقت إسرائيل أثناء الحديث موجة صواريخ أخرى، وقد سقطت على بعد قليل من سكن وزير الدفاع.

استأذن آرنس، وتحدث هاتفيا مع زوجته، التي قالت له أن المنزل أصيب، بيد أنها والأولاد بخير، وتحافظ على معنوياتها.

طلب رئيس الأركان الأميركي التحدث مع براك على انفراد كجندي مقابل جندي، وأوضح له وجهة النظر الأميركية.

كان الاثنان يعرفان، أحدهما الآخر، فعندما كان براك رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية كان (باول) سكرتيرا عسكريا لوزير الدفاع (كاسبر واينبيرجر).

وفي الكتاب الذي ألفه (كولني باول) حول حرب الخليج وصف بإسهاب اللقاء آنف الذكر فقال: "فتح ايهود خارطة العراق على الطاولة أمامنا وأشار إلى

غربي العراق، وهي المنطقة التي كـــانت تنطلــق منــها الصواريــخ علــى إســرائيل- وعرض أمامي خطة الجيش الإسرائيلي، والتي تتضمـــن الدمــج بيــن الــهجوم الجــوي والبري على المنطقة وفي عمق الصحراء العراقية "كـــانت الخطــة جريئــة جــدا، بيــد أنها كانت مدمرة تماما للائتلاف العسكري الأمــيركي فــي المنطقــة". "طلبــت التحــدث مع ايهود على انفراد كجندي إلى جندي، وتوجهنا أنا وهـــو إلــى مكتبــي".

براك: "الهجمات الصاروخية تدمر معنويات الإســـرائيليين، ونحــن لا نســتطيع ضبــط أنفسنا أكثر من ذلك. يجب عليكم تفهمنا، وعدم الحيلولـــة دون قيامنــا بالعمليــة".

باول: أنت تعرف أن تدمير الصواريخ هو أحد أهدافنـــا، ونحــن نعمــل بــهذا الاتجــاه، وقد بعثنا اليكم ببطاريات صواريخ باتريوت لاعـــتراض صواريــخ ســكاد".

براك: "نحن نقدر ذلك جيدا، بيـــد أن صواريــخ بــاتريوت غــير مجديــة، وليــس أدل على ذلك من أن صواريخ سكاد لا زالــت تســقط علــى إســرائيل. ومـــن الصعــب أن تتفهم إسرائيل أن تقوم أي جهة بالدفـــاع عــن أمنــها، والجمــاهير الإســرائيلية تتوقــع من الجيش الإسرائيلي أن يقدم الحلول لذلـــك، ونحــن لا نرغــب فــي أن يتــم إســقاط طيارين أميركيين وبريطانيين في المهمة التي يتوجب علينـــا نحــن تنفيذهــا".

باول: "جنرال بــراك، يجــب عليكــم أن تتفــهمونا إذا مــا قمتــم أنتــم بــالعمل، فــإن الائتلاف العسكري الهش الذي أقمنـــاه، ســيتحلل."

براك: "إذا لم نبدأ العمل، وتدمر الصواريخ، فـــإن مـــن المحتمــل أن يســتخدمها صــدام حسين لإطلاق رؤوس كيميائية وبيولوجية على إســـرائيل عندمـــا يبــدأ الــهجوم الــبري الأميركي، وإذا ما حدث ذلك، فإنك تعرف ما الذي يتوجـــب علينـــا عملــه".

باول: لا شك أنني أعرف ما تقصـــــده".

ومن الجدير بالذكر، أن باول قال في كتابــه: "كنــت علــى علــم بــأن هنــاك طواقم صواريخ إسرائيليا موجودا في حالـــة تـــأهب تنفيــذي، ومـــن يعــرف مـــا هيــة الرؤوس التي كانت هذه الصواريـــخ تحملــها".

براك:"هناك قوة تنفيذية جوية وبرية إسرائيلية على أهبة الاستعداد للعمل ضد الصواريخ العراقية، وستجتاز طائراتنا وهي في طريقها إلى العراق المجالين الجويين الأردني والسعودي، والملك الحسين يعلم بذلك".

باول: "أعلمني الجنرال(شوار تسكوف)- قائد القوات في الخليج- أن السعودية تعارض بشدة، عبور الطائرات الإسرائيلية المجال الجوي السعودي".

براك: "لقد نجحت إسرائيل، حتى الآن، في البقاء نظرا لأننا نعرف كيف نرد، ونشن الحرب كلما تعرضت إسرائيل لخطر على وجودها. ولا شك أن رئيس الحكومة ووزير الدفاع، سيقولان لك نفس الكلام، نحن سنبادر إلى العمل إذا ما تواصل سقوط الصواريخ علينا".

حاول باول تهدئة روع براك، وكشف له النقاب عن أن القوات الأميركية الخاصة (قوات دلتا) وقوة خاصة بريطانية (اس ايه اس) انضمتا إلى الجهد الخاص بتدمير الصواريخ، وتحدث عن الالتزام الأميركي العميق تجاه الأمن الإسرائيلي، وأهاب ببراك قائلا : "دعونا نكمل المهمة".

وعد براك بنقل أقواله إلى وزير الدفاع ورئيس الحكومة، بيد أنه رفض الالتزام بعدم رد إسرائيل على الهجمات الصاروخية العراقية.

وفيما كان الطاقم الإسرائيلي يستعد للعودة إلى إسرائيل، طلب وزير الدفاع الأميركي أن يرافقوه إلى لقاء لم يجر الإعداد له مع الرئيس الأميركي، الذي طلب التحدث إليهم.

كان الرئيس الأميركي يعلم بسقوط صاروخ عراقي قرب منزل آرنس، وقد استهل الحديث قائلا: "يجب أن تعرفوا أن قلبي وقلب الشعب الأميركي معكم، أنا لم أشعر طيلة حياتي بالإلتزام بأمن إسرائيل، مثلما أشعر بذلك الآن".

استعرض الرئيس الأميركي الجهود التنفيذية التي تقوم بها القوات المتحالفة في الخليج، وقال: لقد بات الهجوم البري وشيكا. وقال: أنه أمر قائد القوات في الخليج أن يعطي الأولوية لتدمير الصواريخ العراقية غربي العراق.

نقل (موشيه آرنس) أقوال الرئيس لاســحق شــامير، الــذي قــرر الاســتجابة لطلب بوش، وهكذا واصلت إسرائيل ضبــط نفســها.

وقبل انتهاء المعارك توجه براك مــرة أخــرى بيــد أن وجهتــه هــذه المــرة كانت بروكسل، وبصحبته رئيس شعبة الأركان دانــي يتــوم، ورئيــس مكتبــه (يونــي كيرن)، فقد أراد المستشار الألماني هلمــوت كــول أن يشــكر إســرائيل علــى ضبــط النفس الذي أبدتــه.

وقد تم نقل الثلاثة من مطــار بروكســـل فــي ســيارة تابعــة للســـــفارة الأميركية حتى الحدود الألمانية، ومــن هنــاك نقلتــهم إحــدى الســـيارات الألمانيــة إلى العاصمة بــون.

بدا المستشار الألماني ودودا جدا، وقد قدم إليـــه بــراك تقريــرا قصــيرا عــن الوضع، وكاد كول أن يخــرج عــن طــوره وهــو يعــرض إمكانيــة ألمانيــا لتقديــم المساعدات لإسرائيل، وقد عرض عليــه بــراك احتياجــات إســرائيل، وبعــد التشــاور مع رؤساء الجيش، أعلن كول: "أن ألمانيا سترسل إلــى إســرائيل بطاريــة بــاتريوت.

الفصل الثامن عشـــــر

ايهود يتسلم القيادة

سعى إلى ترميم الجيش وتشكيل هيئة أركان نمطية

في الأول من نيسان ١٩٩١ ودع الجيش الإسرائيلي رئيس هيئة الأركان السابق دان شومرون، واستقبل الرئيس الجديد ايهود بـراك.

كان الجيش الإسرائيلي في تلك الآونة، يعاني من مشاكل خطيرة للغاية، خصوصا على صعيد صورته ومعنوياته. فالانتفاضة التي كانت لا تزال متواصلة، منذ ثلاث سنوات ونصف السنة دمرت صورته كجيش قادر على فعل كل شيء. لقد كشفت المواجهات المستمرة للجيش مع راشقي الحجارة، والملثمين، النقاب عن الارتباك الذي يعيشه الجيش الإسرائيلي والصعوبات التي يواجهها في هذه الحرب الجديدة التي فرضت عليه.

ولم تتوقف وسائل الإعلام العالمية-التي لم تكف عن كيل المديح له، في الستينات والسبعينات-عن مهاجمته، ومهاجمة جنوده الذين، أصبح شغلهم الشاغل مطاردة الصبية في الأزقة والحارات في نابلس والخليل وغزة، وصورته في صورة (دواد) العبري الحديث الذي يواجه (جوليات).

أضف إلى ذلك، أن عدم مبادرته إلى الرد إبان حرب الخليج، رغم عشرات الصواريخ، التي أطلقها العراق على إسرائيل، دمرت قدرة الردع الإسرائيلية. وإزاء توقع الضباط الإسرائيليين ضرورة الرد الإسرائيلي على الهجمات العراقية، فقد حدث شرخ في صورة الجيش الإسرائيلي على الصعيدين الداخلي والخارجي.

أدى تسلم ايهود براك لرئاسة هيئة الأركان وقيادة الجيش، إلى حدوث توقعات واسعة لإحداث تغيير درامي في صفوفه. لقد كان الجيش في أمس الحاجة إلى قفزة نوعية، على صعيد وسائل القتال، والتي أخذت تصبح أغلى رويدا رويدا، فالدبابة الحديثة أصبحت في الآونة الحالية تساوي ثمن طائرة قبل عشرين سنة، فالطائرة الحديثة تساوي في الأونة الحالية مبلغا يتراوح بين ٤٠-٨٠ مليون دولار.

وهكذا، كان على ايهود براك، أن يكرس جهده وعمله لجانبين هامين يسيران جنبا إلى جنب، أولا أن يبني خطة تقليصات مؤلمة ومصيرية على صعيد

النفقات، ومن الناحية الأخرى، كان عليه أن يعمل على تجهيز الجيش بأسلحة حديثة، وتحسين كفاءته القتالية. ورغم أن وسائل الإعلام أكثرت، في تلك الآونة، من الحديث عن مقولة تنسب لبراك: "جيش صغير وذكي"، إلا أنه لم يطلق أي تصريح بهذا الصدد أبدا.

لقد أراد براك جيشا كبيرا وقويا وذكيا، بيد أن الموارد الإسرائيلية لم تكن تسمح له بالاحتفاظ بجيش كبير، مما ألزم براك بقصر، مهمته على المهمة الصعبة والمؤلمة.

اختار براك أن يستهل الوضع بصورة غير طبيعية، فعقد اجتماعا لجميع ضباط الجيش الإسرائيلي من رتبة مقدم فما فوق، وليعرض أمامهم المخطط الذي يعتزم تنفيذه. وفي السابع من نيسان ١٩٩١، كان مبنى الثقافة في تل أبيب يغص بهم.

صعد ايهود إلى المنبر، وبدأ يتحدث عن الأهداف، والاختبارات، والانتصارات وحوادث العمل، وحوادث الطرق. وعن الواجب الذي يتحمله القادة في جميع المستويات، والمتمثل في ألا يعود الأبناء الذين ربتهم أمهاتهم حتى سن الثامنة عشرة من الجيش في توابيت، وأعلن في نهاية الاجتماع، عن شن حرب لا هوادة فيها، ضد حوادث العمل والطرق.

وصل ايهود إلى قيادة الجيش على أهبة الاستعداد والجاهزية، كانت الأخيرة التي يحملها في جعبته تغص بالأفكار، كان يرغب أولا، في إعادة الشعور بالفخر والثقة الذاتية إلى الجيش ومعالجة القضايا ذات العلاقة بالحوافز، وكسر ظاهرة الحراس التي تمت في عهد الانتفاضة.

وكانت أولى المهام التي وضعها نصب عينيه هي موقف التساقط من الخدمة الدائمة. لقد كانت هذه الظاهرة خطيرة بصورة خاصة في أوساط قادة الكتائب. فالضباط المتميزون، والذين يعتبرون العمود الفقري للجيش، لم يعودوا يرون أن مستقبلهم يكمن في الخدمة العسكرية.

كان براك يعتقد جازما أنه ودون هؤلاء القادة، فإن قدرة القيادة والتفكير المستقبلية في الجيش ستتضرر. توجه براك إلى هؤلاء الضباط وجلس معهم، وتساءل عن سبب عدم رغبتهم في إكمال الخدمة؟ لماذا لم يعد الجيش يجذبهم مثلما كان عندما كانوا ضباطا صغارا؟

واستمع براك إلى شكواهم حول الأجور، وحول شروط الخدمة، وعدم توفر السيارات للعودة إلى المنزل أيام الإجازات، كما أن سيارات (التندر)التي يستخدمها الضباط تشبه السيارات التي تستخدمها شركة الهواتف، وهو الأمر الذي يشعرهم بالمهانة إلى حد ما. وتحدث معظمهم عن الدراسة، وعن المستقبل المشرق في الحياة المدنية التي يتوفر فيها قدر أكبر من المال، والشروط الأفضل والكماليات.

وقد أدت المحادثات التي أجراها براك إلى بلورة خطة "أفق" والتي تسمح للضابط بالتوجه إلى الدراسة الأكاديمية، في أي وقت يشاء، في إطار الخدمة الدائمة، وقد جاءت الردود على هذه الخطة ممتازة.

أدت الاتصالات المباشرة والودية جدا، بين رئيس الأركان والضباط الميدانيين، أكثر من مرة إلى توتر مع قادة هيئة الأركان العامة. ولم يحبوا بشكل خاص، التقارير التي كان يقدمها خلال جلسات هيئة الأركان حول الاتصالات التي يجريها مع قادة الكتائب.

وفي إحدى جلسات هيئة الأركان، سمع ضابطين برتبة لواء يقول أحدهما للآخر: لماذا يريد ضباطا برتبة لواء في هيئة الأركان ما دام يصغي طيلة الوقت لقادة الكتائب؟ فأوقف الحديث وقال لهما: من لا يصغي للكادر الميداني لن يكون بأي حال قائدا للواء أو لفرقة في الجيش الإسرائيلي ولا لدي.

وفي أول مقابلة مع وسائل الإعلام، أعلن براك عن تقليصات حاسمة، بسبب مشاكل الميزانية. ونسبت إليه إحدى الصحف قوله: "كل ما لا يطلق النار سيقلص"، بيد أنه اضطر في بعض الحالات إلى أحداث تقليص أيضا في الوحدات التي تطلق النار، فقد أمر بإيقاف أحد الأسراب الجوية العاملة وتقليص ساعات

الطلعات الجوية في سلاح الجو، مما أثار جدلا حاميا بينــه وبيـن قـائد سـلاح الجـو، اللواء ابيهو بن نون، كما ثار جدل بينه وبين قائد المدرعات أيضـا، حـول حـل لـواء مدرعات نظـامي.

وكـانت أمـام ناظريـه فـي مجـال التقليصـات أيضـا، إذاعـة الجيـش الإسرائيلي، حيث قـال: أنـه لا ضـرورة لتفعيـل إذاعـة عسـكرية، لا تعمـل فـي الشؤون العسكرية، فهو لم يحب منظر الجنود والضباط العـاملين فـي الإذاعـة، وهـم يجرون مقابلات ببزاتهم الرسمية مع الـوزراء. وقـال لمنتقديـه: "لا أسـتطيع إجـراء تقليصات في الوحدات العسكرية العاملة، وعـدم المسـاس بالإذاعـة".

لقد مني براك فـي عمليـة التقليـص الآخـر للإذاعـة العسـكرية، بخسـارة كبيرة، فقد هـب مراسـلوها لمواجهتـه، ووصفـت محاولتـه بأنـها مسـاس بحريـة التعبير، وأثاروا الدنيا، ولجأوا إلى الـوزراء والسياسـيين، الذيـن هـاجموا بغالبيتـهم براك، وعندما أخذ وزير الدفاع موشيه آرنس يبـدي تـرددا، أدرك بـراك أن فرصتـه أصبحت ضئيلـة.

لقد كان هذا أول درس له في السياسة الإسـرائيلية، وليـس الأخـير.

قامت عاصفة أخرى ضد براك حينمـا حـاول إنـهاء خدمـة اللـواء (دورون رابين)، فقد قال له: حسب تقديراته، لـن يتـم تعيينـه قـائدا لأحـد القطاعـات، وأنـه يترك له قرار إنهاء خدمته في الوقت الذي يـراه مناسـبا.

ويقال، أن أيـهود لم يكن راضيا عـن تصـرف دورون، إبـان عمليـة (النعيمة) الفاشـلة عـام ١٩٨٨، وكذلـك عـن الخطـة التـي وضعـها للهجوم على العـراق.

ورغم أن تقديرات براك، بـهذا الصـدد، كـانت مهنيـة بحتـة، إلا أن كبـار الضباط فهموها على أنها محاولة لبناء هيئة أركان تقـوم علـى خريجـي دوريـة هيئـة الأركان أمثال: دانـي يتـوم، عـوزي ديـان، وعمـيرام لافيـن، ونحاميـا تمـاري، وشاؤول موفاز، ويعلون وغـيرهم.

لقد أكدت قضية دورون لكبار الضباط في هيئة الأركان، أن هناك عهدا جديدا منذ تولي براك رئاسة الأركان، يختلف عن عهد دان شومرون. وكان الضباط قد اعتادوا أن يؤموا جلسات هيئات الأركان وبأيديهم أوراق أعدوها وسجلوا عليها الأمور والقضايا التي يودون مناقشتها. بيد أنهم فوجئوا، حينما جاءوا لحضور الجلسة بعد تولي براك، بسكرتيره العسكري، يطلب منهم إبقاء الأوراق في الخارج. وعلى الطاولة، وجد كل منهم قلما وورقة للكتابة وجدولا محددا للنقاشات التي ستدور، وكان براك يدير الجلسات بشدة. وعندما يسهب أي ضابط فيما يجب عليه أن يوجز، لم يكن براك يتورع عن لفت نظره لذلك، ومقاطعته قائلا: فهمت، التزم بالقضية الرئيسية. وفي الكثير من الأحيان، عندما كان يرى أن ضباطا يتبادلون فيما بينهم أوراقا تحمل ملاحظات، كان يمسك بها ويمزقها ويلقي بها إلى سلة القمامة وسط دهشة الضباط.

ويقول أحد الضباط من أصدقاء براك القدامى: "لقد طلب منا ذات مرة، أن نستأذن منه إذا أردنا الذهاب إلى دورة المياه أثناء الجلسات !

وذات مرة انتظر صديقه الحميم داني يتوم حتى انتهت الجلسة، وقال له: "لقد بالغت جدا".

وبوصفه، سكرتيرا عسكريا لوزيري الدفاع آرنس ورابين، حضر يتوم جميع جلسات هيئة الأركان العامة، ورأى ايهود براك في خطواته الأولى والتي لم تكن دائما مفهومة لكبار الضباط في هيئة الأركان العامة، ولاحظ كيف بدأ الجيش يتحول من الليبرالية التي شهدها في عهد دان شومرون إلى عهد ايهود براك المبرمج، والذي بدا في الكثير من الأحيان يحلق إلى ما خلف الأفق، ويجد صعوبة في فهم كيف لا يستطيع أعضاء هيئة الأركان تفهمه فورا.

وشهد يتوم أيضا، أول مواجهة بين وزير الدفاع موشيه آرنس، ورئيس الأركان ايهود براك. فبعد إحدى العمليات ضد إسرائيل قدم آرنس إلى المنطقة، ونشب بينه وبين ايهود نزاع حول عدم سماح ايهود للمستوطنين بإقامة مستوطنة جديدة محل العملية.

ولم يتمكن براك من تشكيل هيئة أركان الأحلام التي كان يتمناها إلا في السنة الثالثة لتوليه رئاسة الأركان والتي ضمت: مظليين، ودورية هيئة أركان، وسلاح الجو ولواء جولاني.

أما خريجو دورية هيئة الأركان فكانوا (عوزي ديان)، (عميرام لافين)، (نحاميا تماري)، (داني يتوم). وممثلو المظليين كانوا (أمنون ليفكين شاحك)، (متان فلنائي)، و(يورام يائير)، و(شاؤول موفاز)، و(شموئيل أراد). وكان هناك ثلاثة ألوية من سلاح الجو: (هرتسل بودينجر)، و(ران جوران)، و(جيورا رام). أما لواء جولاني فارسل إلى هيئة الأركان (أوري ساغي) رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية، و(إيلان بيران) قائدا للقطاع الأوسط، و(جابي أوفير) قائدا لمنطقة الضفة الغربية. وانضم إلى هيئة الأركان فيما بعد موشيه يعلون من المظليين.

كانت العلاقات بين براك ونائبه امنون شاحك جيدة، بصورة عامة، رغم محاولات البعض دق اسفين بينهما، فقد منحه براك تأييده طيلة فترة عملهما معا. أضف إلى ذلك، كان براك على عكس طبيعته يولي الكثير من الاهتمام لما يقوله نائبه خلال الجلسات.

وبوصفه رئيسا للأركان أدار براك خطة التسلح المستقبلية للجيش الإسرائيلي، وفي بعض الأحيان قادته هذه الخطة إلى مواجهات مع أعضاء هيئة الأركان. وقد وقعت أشد هذه الخلافات مع قائد سلاح البحرية، اللواء ميخارام. فقد قال براك أن على الجيش الإسرائيلي أن يتجهز بغواصات حديثة، بيد أن رام عارض ذلك قائلا: يجب أولا أن نتجهز بزوارق حربية، أما الغواصات فتحتل المكانة الثانية. فعمد براك إلى تشكيل لجنة لدراسة الوضع، فأوصت بالتجهز بزوارق صواريخ. وقد قبل براك القرار وهو يتميز من الغيظ، بيد أنه واصل البحث عن مصادر تمويل للغواصات.

وفي إطار سياسة الذراع الطويلة، قاد براك النقاشات حول خطة تجهز سلاح الجو،وكان السلاح لا زال حائرا بين طائرتي (اف-١٨) المحسنة، وطائرة

(اف-١٥ إي) الحديثة والتي كانت تعتبر أفضل طـائرات فـي العـالم. وبالتعـاون مـع قائد السلاح وجه براك الأمور باتجاه شـراء طـائرة (اف-١٥ إي) وقـد اتضـح فـي مرحلة معينة أن الولايات المتحـدة ترفـض بيـع الطـائرات نظـرا لاشـتمالها علـى تجهيزات جوية حديثة خاصة بسـلاح الجـو الأمـيركي بسـبب معارضـة الكونغـرس للبيع.

بيد أن براك لم يتخل عن الفكرة، وفتـش عـن فكـرة خلاقـة، فأرسـل إلـى الولايات المتحدة بودينجر لتجربة الطائرات المختلفة فـي مصانعـها، كمـا سـافر هـو إلى الولايات المتحدة، وطار في طائرة (اف- ١٨) حديثـة فـي إحـدى قواعـد سـلاح الجو الأميركية السرية. وفي نهاية المطـاف تـم الاتفـاق علـى شـراء الطـائرات دون أجهزة الرادار، علـى أن تقـوم إسـرائيل بـتركيب جـهاز رادار مـن إنتـاج شركة البيط الإسـرائيلية.

الفصل التاسع عشر

براك وحادثة "تسأليم"
أعد خطة لاغتيال الرئيس العراقي
لكن حادثة التدريب لطخت سمعته

بعد فترة وجيزة من تولي (اسحق رابين) منصب وزير الدفاع، وجد ايهود براك نفسه غارقا في خضم كارثة تدريب، ترفض انعكاساتها وأثارها الزوال من أمام ناظريه وناظري الآخرين حتى الان.

وقع الحادث في الخامس من تشرين الثاني ١٩٩٢ في معسكر التدريب(تساليم). ففي حوالي الساعة السادسة صباحا، هبطت في المعسكر طائرتا هيلوكبتر وترجل من الطائرة الأولى- وهي من طراز سيفن، المخصصة لنقل الشخصيات الرفيعة- رئيس هيئة الأركان ايهود براك، ونائبه أمنون شاحك، ورئيس مكتبه بني ليفي، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أوري ساغي ورئيس مكتب رئيس الأركان حاييم مندل شيكد. وترجل من الطائرة الثانية اللواء عميرام لافين، شموئيل أراد رئيس شعبة العمليات في هيئة الأركان، والعقيد(أ) من شعبة العمليات، وقائد دورية هيئة الأركان.

اتجهت الجماعة بسرعة سيرا على الأقدام، باتجاه تلة الرقابة الواقعة على بعد حوالي خمسمائة متر من مكان هبوط الطائرتين. وقد قاد المجموعة عميرام لافين. وهناك وجدوا الرائد(ك) وهو نائب قائد الدورية بانتظارهم. وقد شرح لهم طبيعة المناورة التي سيتم إجراؤها، وقال أن المناورة ستتم، بادئ ذي بدء دون نيران، ثم بعد ذلك باستخدام النيران.

تحدث(ك) مع قائد القوات بجهاز الإرسال، وقال: بدأت المناورة. كانت هناك قوة من مقاتلي الدورية على بعد خمسمائة متر منهم، والتي كان يفترض أن تلعب دور العدو في المناورة.

وفي حوالي الساعة ٦،١٣ سمع صفير ضعيف، ثم صفير اخر، ثم صوت انفجارين الواحد تلو الاخر، وتصاعد سحب دخان صغيرة. لم يستوعب أي من الموجودين طبيعة ما يحدث، وكان (ك) هو أول من استوعب ذلك، فأخذ يصرخ في جهاز الإرسال:" أوقف النار، أوقف النار".

قفز(ك) إلى سيارة جيب وانطلق بها بأقصى سرعة إلى مكان الانفجارين، ومعه بعض الضباط في حين انطلق البقية ركضا باتجاه مكان الانفجار.

كان (ك) أول من وصل إلى مكان الانفجار، فشاهد خمسة جنود غارقين في دمائهم والى جوارهم عدد آخر من الجرحى، ولاحظ (ك) أن أربعة من الخمسة ميتون، وهم: ملازم أول (العاد شيله)، والرقيب(شيمري شيفرن)، والرقيب أول (أربيه كوهين)، والرقيب (شارون تمير). وبالقرب منهم كان الرقيب أول (عران فيكسلباوم) في طور النزاع.

طلب رئيس الأركان من رئيس مكتبه. التأكد من أنه تم استدعاء طبيب وطاقم طبي فتأكد من أن طبيب الدورية في طريقه إلى القاعدة، وأن طاقما طبيا من قاعدة"تسأليم" المجاورة في طريقه هو الآخر للقاعدة.

شرع الطبيب الذي وصل بعد عدة دقائق مع عدد من الجنود، في محاولة لإنقاذ حياة (فيكسلباوم) دون جدوى، كانت الإصابة الصاروخية مدمرة تماما. لم يكن الجريح في وضع يسمح بنقله إلى طائرة الهيلوكبتر أو إلى المستشفى. أضف إلى ذلك أن الطاقم الطبي كان مجهزا كما يجب، وبذل كل ما في وسعه.

توجه العميد (شموئيل أراد) إلى رئيس الأركان وقال له: أن هناك خمسة قتلى، وخمسة جرحى، وأن جراح بعضهم خطيرة، وطلب أن يعرف فيما إذا كان قد تم إعلام سلاح الجو وشعبة العمليات بذلك، وفيما إذا كانت الطائرات في الطريق إلى المعسكر؟؟ فقال براك: نعم الأمر كما تقول.

في هذه الآونة، وصل إلى المنطقة الطاقم الطبي الذي تم استدعاؤه، وكان يضم طبيبا آخر وممرضين، وتمت معالجة الجرحى بصورة أولية، وإعدادهم للنقل في الطائرة.

براك: أين الطائرات؟؟

مندل: هي في الطريق، ثلاث طائرات، اثنتان من طراز(أنفا) وواحدة من طراز (يسعور).

وفي الساعة ٦:٤٥ وصلت طائرة(أنفا)، بيد أن الطائرة لم تلاحظ الدخان الذي أطلق كعلامة على مكان الهبوط، ومرت من فوق الجنود، الذين اعتقدوا خطأ أن الطائرة هي طائرة رئيس الأركان، يغادر المكان. وقد هبطت الطائرة في المنطقة الجنوبية ، ثم جرى توجيهها بجهاز الاتصالات إلى مكان الحادث. وفي الساعة ٦:٥٥، هبطت الطائرة في مكان الحادث، وهبطت بعدها طائرة أخرى تحمل طاقما طبيا. فتم وضع الجرحى فيهما.

حاول ايهود براك، أن يستوضح كيف وقع الحادث؟؟ فقال له ضباط في دورية هيئة الأركان، أن الضابط النقيب(أ) المسئول عن إطلاق الصواريخ مصاب بصدمة، وهو يجد صعوبة في الكلام، ويقول المرة تلو الأخرى أن عليه أن يطلق الصواريخ، ونسي أن المناورة الأولى دون نيران، وكل ما كان عليه عمله هو أن يتصل ويقول أنه أطلق الصاروخين، وقام بإطلاق الصاروخين فعلا.

أشرقت الشمس على (تساليم)، وأراد براك الاتصال بوزير الدفاع لإعلامه، بيد أنه لم يتمكن من الاتصال به من مكانه، فابتعد هو ورئيس مكتبه عدة عشرات الأمتار، بيد أنه لم يستطع الاتصال.

بدأ توتر براك يزداد، وتساءل: لماذا لم تقلع طائرتا الجرحى؟ فقيل له أن الأطباء طلبوا ذلك، وأن جميع الجرحى في الطائرتين. ثم أقلعت الطائرة الأولى.

وبعد لحظات تمكن براك من الاتصال برابين:" وقعت كارثة، مما يضطرنا إلى إرجاء تنفيذ الأهداف الآن، بعد قليل سأقلع إلى تل أبيب، ومن هناك إلى مكتبك، لدينا خمسة قتلى وجرحى".

استدعى براك (عميرام لافين)، و(أوري ساغي) وقال لهم:" ابقيا في المنطقة، حتى الانتهاء من معالجة القضية. وقبل مغادرتكم أجريا تحقيقا لمعرفة

ملابساته. ثم تعالا إلى مكتبي. أقلعت طـائرة ايـهود بـراك حوالـي السـاعة ٧:١٥ أي تقريبا في نفس الوقت الذي أقلعت فيه طائرة (اليسـعور) حاملـة الجرحـى.

ويقول العميد (شموئيل اراد)، الذي كان طيلـة الوقـت مـع بـراك، وملازمـا له: براك لم يهرب أبدا، وخصوصا في (تساليم) وحسب اعتقـادي أنـه عمـل كـل مـا يتوجب عليه عمله لمعالجة القضيـــة.

كلف براك (أمنون شاحك) بالعمل على تشكيل لجنــة للتحقيـق فـي الحـادث. واقترح عليه أن يعين رئيسا لها اللواء احتيـاط (منـاحم عينـان)، وعضويـة المحـامي (أمنون جولد نبـيرج) مـن النيابـة العسـكرية، والعميـد (شـاؤول موفـاز) والعقيـد (احتياط ابشلوم حورن)، والعقيـد احتيـاط (رانـي ايزنبـيرج). وهكـذا بـدأت لجنـة عينان التحقيـق.

في تلك الآونة، كانت الرقابـة العسـكرية الإسـرائيلية قـد فرضـت تعتيمـا تماما على وجود رئيس الأركان ونائبه أثناء الحـادث، بيـد أنـها اضطـرت للإعـلان عن ذلك إثر قيام جريـدة (نيويـورك تـايمز) بنشـر نبـأ مفـاده أن رئيـس الأركـان ونائبه، واللواءين ساغي ولافين، كانوا في (تساليم) وقـت الحـادث، وألمحـت إلـى أن الأمر يتعلق بعملية كبيرة كانت دورية هيئة الأركان سـتقوم بـها، بيـد أنـها أرجأتـها الان بسبب الحادث، وقد جمـع بـراك المراسـلين الصحفيين وتحـدث معـهم حـول الحادث ولم يخف تواجده، وقال أن إخفاء تواجـده فـي البدايـة كـان لأسـباب تتعلـق بالأمن الميدانـي.

وبعد عدة أيام، نشرت مجلة (الصندي تايمز) البريطانيـة نبـأ جـاء فيـه:" أن العملية التي كانت دورية هيئة الأركان تجـري مناورتـها، هـي إحـدى أكـبر وأجـرأ العمليات التي ستنفذها دورية هيئة الأركان، وهـي تتعلـق باغتيـال الرئيـس العراقـي صدام حسين. وأن الصاروخين اللذين أصابا الجنود، كـان مـن المفـروض أن يصيبـا صدام حسين إبان قيامه بجولـــة.

لقد كانت هذه الكارثة، أصعب ضربة تصيب ايهود براك طيلة حياته، فرغم أنه لم يكن المسئول المباشر عن وقوعها، الا أنه كان يتحمل المسئولية العامة عنها.

وفي الوقت الذي واصلت فيه لجنة عينان تحقيقاتها، واصلت مجلة (الصندي تايمز) شرح ما وصفته بالخطة السرية لتصفية صدام حسين.

وتفيد المجلة بأن الإعداد للعملية بدأ بعد عدة أسابيع من انتهاء الحرب، فقد شعر رئيس الحكومة اسحق شامير ووزير الدفاع موشيه أرنس أن الرئيس الأميركي جورج بوش أضاع فرصة كبيرة ولن تتكرر لتصفية صدام حسين، لذا قررت إسرائيل استكمال المهمة، التي فشلت فيها الولايات المتحدة.

وفي شتاء ١٩٩١، بدأ الإعداد للعملية، فعين براك اللواء عميرام لافين مسؤولا عن مشروع العملية. وقد طلب منه أن يدرس ما إذا كان هذا المشروع قابلا للتنفيذ وكيف؟؟

جاءت نتائج الدراسة الأولى إيجابية، واعتقد لافين، أن بالإمكان تنفيذ العملية. فطلب منه براك الحفاظ على السرية التامة. ولم يتم إعلام سوى نائب رئيس الأركان امنون شاحك، ورئيس شعبة الاستخبارات أوري ساغي، وعدد من كبار الضباط والذين كانت لهم صلة بعملية الإعداد للعملية. وقد اتخذ براك قرارا، بأن تقوم دورية هيئة الأركان بالتنفيذ.

كلف رئيس الأركان، لافين، بربط جميع الخيوط وكان لافين يدرك، أن بمقدوره الاستعانة ببراك وشاحك وهما ضالعان في هذا المجال في أي وقت يشاء، بيد أنه اختار العمل وحده.

أدى تعيين لافين إلى خلق نوع من التوتر بينه وبين رئيس شعبة الاستخبارات العامة أوري ساغي، الذي قال أن هذا النوع من العمليات هو من اختصاص شعبته كما أعرب عن احتجاجه لإشراك دورية هيئة الأركان في العملية.

أدت الاحتكاكات بين الاثنين، إلى وضع عراقيل على صعيد الإعداد للعملية. فأوري ساغي ضابط كفء وذكي، وقادر على التفكير الصائب، بيد أنه يصبح، في بعض الاحيان، غير مريح، وقد أخذ يشكك في مدى نجاح العملية، ويقول أن العمليات الأخرى التي يعكف هو على الإعداد لها، أكثر أهمية من هذه العملية.

عرضت الخطة على وزير الدفاع موشيه آرنس، فوافق عليها، وأمر بمواصلة الإعداد. وفي حزيران ١٩٩٢، تسلم اسحق رابين منصب رئيس الحكومة ووزير الدفاع. وفي إحدى جلسات العمل، شرح براك لرابين العملية، فأبدى اهتماما كبيرا وأمر بمواصلة الإعداد بكامل السرعة والطاقة.

وفي أعقاب قرار رابين، قدم رئيس الأركان ونائبه والحاشية آنفة الذكر إلى (تسأليم) لمشاهدة مناورة حول تنفيذ العملية.

لم يكن براك يشك للحظة، في أن المناورة مثل جميع المناورات الأخرى-ستجري وفقا للأسس التي وضعها، عندما تسلم رئاسة الأركان، وعلى رأسها السلامة، وأن هناك ضابط أمن للعملية. ولم يكن يعلم أن قضية السلامة، التي أمر بها، لم تطبق بما فيه الكفاية، في هذه العملية لدى جميع القائمين على العملية بدءا من قائد العملية عميرام لافين وحتى آخر جندي من الجنود المشاركين. ولم يكن يعلم أن الرائد (ك) نائب قائد الدورية وقائد المناورة لم يعين ضابط أمان، وهو الامر الذي كان بمثابة خطأ مصيري.

وكانت الخطة تنص على أن يقوم طاقم الجنود الذي يمثل العدو بإخلاء المنطقة فور إجراء الجزء الأول من المناورة وهو الجزء الذي سينفذ دون ذخيرة- وبعدها يتم تنفيذ العملية بالذخيرة، وبعد أن يتم التأكد من أن المنطقة خالية من الجنود.

لقد كان على النقيب(أ) المسئول عن القصف والذي شارك في عشرات العمليات قبل ذلك، أن يدرك أن الجيش الإسرائيلي لا ينفذ أبدا مناورة بالذخيرة الحية، قبل تنفيذ مناورة مماثلة دون استخدام الذخيرة.

وفي صبيحة يوم التنفيذ بدا النقيب(أ) شديد الإرهاق، فهو لم ينم ليلة الأمس، ويقول في الشهادة التي أدلى بها أمام لجنة التحقيق، أنه أعلم الرائد(ك) بأنه شديد الإرهاق، فقام (ك) بإعلام لافين، ألا أن لافين أمر بمواصلة المناورة.

وبعد خمسة أيام، قدمت لجنة عينان نتائج التحقيق إلى وزير الدفاع ورئيس الأركان.

لم يكن براك قد نام ليلة واحدة طيلة الأسبوع الماضي، فمنذ بداية الأسبوع وقعت سلسلة من العمليات الشديدة، وقام المسلحون في جنوب لبنان بإطلاق مائة وأربعين صاروخ كاتيوشا على الشمال الإسرائيلي، مما جعله يصل إلى مقر لجنة التحقيق بصعوبة بالغة.

توصلت اللجنة إلى نتيجة مفادها، أن المسئولية المباشرة تقع على عاتق الرائد(ك) قائد المناورة، والنقيب(أ) المسئول عن إطلاق الصواريخ، كانت هذه المسئولية في إطار المسئولية الأولى، أما على صعيد المسئولية الثانية، فيأتي دور عميرام لافين، بوصفه المسئول الأول عن العملية كلها.

وفي الشهادة التي أدلى بها لافين، أمام اللجنة، قال: قررت الاستقالة من جميع المناصب التي أتولاها. لأنني أعلى رتبة مسئولة عن العملية، وقد وافق رئيس الأركان على ذلك. ولا أستطيع أن أتهرب من مسئوليتي، لذا قررت أن أقول لكم ذلك منذ البداية، وأن لا أنتظر أي قرار".

وإضافة إلى تحقيقات لجنة عينان، أخذت شرطة التحقيقات العسكرية تحقق في الحادث، بدءا من رئيس الأركان وحتى آخر الجنود، ولم تترك زاوية من زوايا الأمن، دون أن تتطرق إليها وتعالجها. وقد قام الرائد(ك) واللواءان عميرام لافين وأوري ساغي باستخدام محام خشية أن تقدم النيابة العسكرية ضدهما لوائح اتهام. بدأ لافين يشن حربا شديدة دفاعا عن سمعته، وتصرف فعلا، مثلما يفعلون في الحرب، فأنكر ما سبق أن قاله حول مسئوليته عن الحادث، وبدأ يدفع بالمسئولية باتجاه اللواء أوري ساغي.

لقد تبنى ايهود براك، جميع ضباط دوريـــة هيئـــة الأركـــان، وكـــان أول مـــن يبشرهم بترقياتهم، بمن فيهم اللواء عميرام لافيـــن. وذات مـــرة سـمـع بـــراك أن قـــائد القطاع الشمالي رفائيل ايتان، فرض فيتو على ترفيـــع لافيـــن، إلـــى رتبـــة قـــائد كتيبـــة مدرعات وبرر ذلك بالقول أنه سمع صوت لافين فـــي جـــهاز الإرســـال، إبـــان حـــرب ١٩٧٣، وخلال عملية تخليص الجنود الإسرائيليين، مـــن جبـــل الشـــيخ، وهـــو يرتعـــد أثناء توزيعه الأوامر. وقال ايتـــان: إن الضـــابط الـــذي لا يثـــق بنفســـه، لا يمكـــن أن يقود كتيبة مدرعـــات.

هب براك لمساعدة لافين، وتوجه إلى رئيس الأركـــان مردخـــاي جـــور، بيـــد أن جور كان يميل إلى عدم التدخل، وقال لـــبراك: لقـــد اتخـــذ رفـــائيل قـــراره، وأنـــت تعرفه حينما يتخذ قرارا يصعب إثنـــاؤه عنـــه.

براك: مردخاي، ما هذا الهراء. يمكنك أن تقول لي أنـــه لا يتسـم بـــالجرأة، لقـــد رأينـــا كيف يعمل تحت القصف والنيران إنه ضابط شـــجاع بصـــورة نـــادرة، وقـــائد متمـــيز، ولا يمكن القول بعدم ترقيته، فقـــط لأن صوتـــه بـــدا فـــي جـــهاز الإرســـــال ليـــس جيدا، لقد وقع الحادث إبان عملية فظيعة فـــي جبـــل الشـــيخ، والتـــي يمكنـــها أن تؤثـــر على صوت أي إنســـان.

وبعد عدة محاولات إقناع، وعد مردخاي بـــالتحدث مـــع ايتـــان، وبعـــد فـــترة قصيرة عين لافين قائدا لكتيبة، ثم قـــام ايتـــان نفـــــــسه بتعيينـــه، بمبـــادرة منـــه، قائدا للواء دبابـــات.

وخلال شهادته أمام اللجنة، حاول لافيـــن أن يســـدد الحســـابات القديمـــة بينـــه وبين ساغي، فقال: أنه حاول إخفاء معلومـــات تتعلـــق بالعمليـــة، وأنـــه وضـــع العديـــد من العراقيل على طريق التنفيـــذ.

بيد أن المحققين لم يكونوا مهتمين بـــهذه التـــهم، بـــل كـــانوا مـــهتمين بالجهـــة المسئولة عن السلامة، وبصلاحيات كل طرف فـــي إعـــداد العمليـــة.

وقد انتهت التحقيقات بتوصية الشـــرطة بتقديـــم الرائـــد(ك)، والنقيـــب(أ) إلـــى المحاكمة العســـكرية بتهمـــة التســـبب بالوفـــاة، بالإهمـــال. وتوبيـــخ اللواءيـــن لافيـــن

وساغي إداريا. وقد تم نقل نتائج تحقيق لجنة لافين وشرطة التحقيقات العسكرية، إلى النائب العسكري العام، ايلان شيف، الذي فاجأ الجميع في أيلول ١٩٩٣-أي في أوج الأحداث التاريخية لاتفاقيات أوسلو، بالمطالبة بمحاكمة (ك وأ) وأيضا اللواء لافين، وتوبيخ ساغي إداريا.

وقد احتج لافين: وطلب الاجتماع برابين وقال له: أن هناك مؤامرة تحاك ضده وطلب إعادة سماع أقواله. كما احتج العديد من كبار الضباط، على قرار النائب العسكري، فتم إيكال القضية إلى لجنة قضائية، والتي أعادت سماع كل من أراد الإدلاء بشهادته.

وفي السابع والعشرين من شباط ١٩٩٤، أعلن (ستيف) نتائج التحقيقات المعدلة، واتضح أن الاتهامات ضد (ك وأ) بقيت على ما هي عليه، وأنهما سيقدمان إلى المحاكمة العسكرية،بتهمة التسبب بالوفاة بالإهمال، واستخدام السلاح بصورة غير حذرة.

وقد تمت محاكمة الاثنين، ووجدتهما المحكمة مدانين، ولم توجه إلى اللواءين الآخرين أي تهمة. بيد أنها أقرت توبيخهما إداريا.

لم يرض قسم من ذوي الجنود عن النتائج المذكورة في الكارثة التي أسميت "تساليم الثانية" وواصلوا تقديم الدعاوى ضد اللواء لافين الذي اعتبروه مسئولا عما حدث.

لقد مست حادثة تساليم الثانية بـبراك مسا خطيرا، ليس لأنها فقط خربت الهدوء الداخلي الذي كانت هيئة أركان الاحلام التي شكلها تحظى بها، بل لأنه لم يتصور وقوع مثل هذا الحادث في الفترة التي يشغل فيها هو، منصب رئيس هيئة الأركان.

الفصل العشـــــرون

فرص السلام ورعب العنف

براك عرض خطة إبعاد زعماء حماس والجهاد

لم تصرف أحداث (تساليم) رغــم صعوبتــها- نظــر رئيــس هيئــة الأركــان والجيش عن الخطر الحقيقي- خطــر الإرهــاب.

ففــي مطلــع كــانون الأول ١٩٩٢، كــثرت تحذيــرات أجـــــهزة الأمـــن والاستخبارات الإسرائيلية من مغبة حــدوث عمليــات، لا ســيما مــن طــرف حركــة حماس، التي كان يتوقع أن تبادر لاختطاف جنــود إســرائيليين. ورغــم ذلــك، تمكنــت إحدى خلايا الحركـــة بتــاريخ ١٣-١٢-١٩٩٢، مــن اختطــاف أحــد أفــراد حــرس الحدود ويدعى نسيم توليدانو، بينما كان في طريقــه مــن المــنزل إلــى القــاعدة. وقــد طلب المختطفون، أن تطلق إســـرائيل ســراح زعيــم حركــة حمــاس، الشــيخ أحمــد ياسين، ومئات النشطاء المعتقلين. غير أنه تم العثور، بعــد ذلــك بيوميــن علــى جثــة الجندي في طريق القدس-أريحـــا.

في تلك الأثناء، اجتمع المجلــس الــوزاري فــي جلســة طارئــة. وقــد اعــد براك بالتعاون مع جهاز الأمن، خطة تنــص علــى طــرد ٣٤٠ نشــيطا مــن حركتــي حماس والجـــهاد الإســلامي. ولقــد أيــد رئيــس الحكومــة، اســحق رابيــن الخطــة، وصادقت عليها الحكومة رغم معارضـــة وزراء مــيرتس- شــولاميت الونــي، يــائير تسبان وأمنون روبنشتاين، وامتناع وزير العدل دافيد لبـــائي عــن التصويــت.

وعليه، قام جنود الجيــش الإســرائيلي بحملــة مداهمــات واســعة، اســتهدفت منازل نشطاء حماس، وقاموا باعتقال عدد كبير منـــهم، اســتعدادا لنقلــهم إلــى منطقــة الشريط الأمني في جنوب لبنـــان.

كان من المقرر بداية، نقلــهم جــوا، بيــد أن الظــروف الجويــة، حــالت دون ذلك، فاضطروا لنقلهم بالحافلات. ولقد أتاحت رحلة الســـفر الطويلــة، الفرصــة، أمــام نشطاء حماس، للتوجه إلى محكمة العــدل العليــا.

وقبل بضعة كيلومترات من وصـــول الحــدود اللبنانيــة، توقفــت الحــافلات. كان أمرا من اسحق رابين إلى ايـــهود بــراك بــالمثول أمــام محكمــة العــدل العليــا، ومحاولة إقناع قضاة المحكمة بإتمام عملية الإبعـــاد، وقــد نجــح بــراك فــي المهمــة، وتم إنزال مئات النشطاء في نقطة قريبة من حــدود المنطقــة الأمنيــة.

وعلى الرغم من العاصفة الدولية التي أثارتها القضية، والضرر الذي ألحقته بصورة إسرائيل كان براك على قناعة بأنها كانت خطوة ضرورية، أصابت حركة حماس بالذهول.

تواصلت الضغوطات الدولية واضطرت إسرائيل، بعد بضعة اشهر، للموافقة على إعادة قسم من النشطاء المبعدين فيما أبدى رئيس هيئة الأركان براك معارضته لذلك، وزعم بأن إسرائيل غير مجبرة بالخضوع، وأن إعادة نشطاء حماس إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، سيخلق تصعيدا جديدا في المنطقة. وبالفعل ثبتت صحة هذه التوقعات بعد أشهر قليلة، عندما استقبل العائدون إلى الضفة والقطاع استقبال الأبطال.

كان عام ١٩٩٣ عاما عاصفا، نفذ فيه نشطاء حماس في المناطق ومسلحو حزب الله في لبنان عمليات قاسية. وقد شهد شهر آذار على وجه التحديد، موجة عنف عمت أنحاء إسرائيل، حيث قامت خلايا حماس والجهاد الإسلامي غير مرة بزعزعة أمن السكان، وكانت أبرز نشاطاتها في تلك الفترة، طعن إسرائيليين حتى الموت، وقتل شرطيين عقب ذلك رميا بالرصاص، بالقرب من منطقة الخضيرة، مما أثار المعارضة بزعامة بنيامين نتنياهو، وحدا بها لاتهام اسحق رابين بفقدان زمام السيطرة.

في ظل هذه الظروف، استدعى اسحق رابين ايهود براك وقال له:" إذا لم نوقف هذه الموجة فإنها ستصل إلينا".

أخرج براك خطة سرية محفوظة، كانت تنص على فرض الإغلاق التام، حيث لا دخول ولا خروج من وإلى الضفة الغربية وقطاع غزة. وإضافة إلى ذلك، غصت المناطق بوحدات المستعربين وأفراد جهاز الأمن الإسرائيلي، الذين تمكنوا في غضون، بضعة أسابيع، من تصفية ٣٧ مطلوبا. فيما قام العشرات بتسليم أنفسهم.

شهدت جلسات الحكومة مواجهات قاسية بين اسحق رابين ووزراء ميرتس، ووزير العدل، دافيد ليبائي، الذين لم يسلموا بصلاحيات الطوارئ التي

منحت لأفراد الأمن الإسرائيلي وبالنتائج القاسية التي تمخض عنها الإغلاق. ولقد رأى براك رابين، أكثر من مرة، يفقد السيطرة على نفسه.

وفي الوقت الذي تم فيه قمع موجة العنف بشكل مؤقت، اندلعت المواجهات في لبنان، ففي الثالث عشر من نيسان، قتل ثلاثة جنود جراء انفجار عبوة جانبية على محور دوريات، وعزز مسلحو حزب الله هجماتهم على مواقع الجيش الإسرائيلي وضد الدوريات في جنوب لبنان.

وفي الرابع والعشرين من أيار، سقط خمسة مظليين وليس بتدبير من حزب الله، هذه المرة، فقد تبادلت قوتان إطلاق النار، في ظروف جوية صعبة، بينما كانتا في طريقهما لتنفيذ عملية. وفيما كان في طريقه إلى جنوب لبنان، علم براك أن وزير الدفاع اسحق رابين ينتظره على مقربة من مكان وقوع الحادث ولدى وصوله صب رابين عليه جام غضبه.

كانت أول مواجهة تنشب بين وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان، فقد اعلم براك، رابين، أنه عين اللواء يورام يائير للتحقيق في ظروف الحادث، غير أن رابين اراد إلغاء التعيين وزعم بأن مهمة التحقيق في(الكارثة)، ينبغي أن تسلم إلى عنصر خارج نطاق الجيش الإسرائيلي.

شعر ايهود بنفسه يغلي غضبا، وأعلن لرابين أن عليه البحث عن رئيس هيئة أركان آخر. إن كان لا يثق بالجيش الإسرائيلي وقدرته على التحقيق، في مثل هذه الكارثة.

شعر رابين بالذهول، فالجدل المستعر الذي بلغ مبلغه، جرى على مرأى من قائد القطاع الشمالي، اسحق مردخاي، وعدد من كبار الضباط في القطاع ولواء المظليين. وبعد بضع دقائق، أدرك رابين أنه بالغ قليلا، ثم قال:" ايهود على حق. لا ينبغي علينا إخراج ملف التحقيق خارج الجيش الإسرائيلي. ولو كنت رئيس هيئة أركان لفعلت مثله بالضبط".

بقيت الحدود الشمالية في حالة غليان مستمر. ففي الثامن من تموز قتل جنديان من لواء"جفعاتي"، وسقط، في صبيحة اليوم التالي، ثلاثة مظليين في جبل

سجود، مما حدا بإسرائيل إلى شن هجوم جوي وتوجيه ضربة مدفعية قوية. ولقد تصاعدت حدة التوتر على الحدود وبلغت اوجها بتوجيه قذائف الكاتيوشا إلى "كريات شمونة".

استدعي رئيس هيئة الأركان لحضور جلسة طارئة لمجلس الوزراء، وقد أوصى بتبني رد ساحق، ليس حربا شاملة على غرار حرب"سلامة الجليل"، بل"ضربة قاصمة"، وإصابة دقيقة لمواقع القيادة، قواعد التدريبات ومعاقل حزب الله. وقد صادق المجلس على الخطة، ودخلت الطائرات والمروحيات المقاتلة إلى العملية، بعد أن تم إنذار السكان بالراديو والمنشورات بضرورة مغادرة المنطقة. ثم بدأت بطاريات المدفعية بتدمير قرى شيعية شمال منطقة الشريط الأمني. وتمركزت قوات مدرعة، مدفعية ومن سلاح المشاة بالقرب من الحدود، كإلماحة إلى حكومة لبنان بإمكانية زعزعة أمن بيروت، إذا لم يعم الهدوء "كريات شمونة".

وفي ظل التهديدات بإعادة احتلال جنوب لبنان، تدفق مئات الآلاف المواطنين اللبنانيين باتجاه بيروت، وبدأت طائرات سلاح الجو بقصف مواقع قريبة من أهداف استراتيجية في لبنان، مصاف، محطات توليد الطاقة ومنشآت أخرى. شعر رئيس الحكومة اللبناني، رفيق الحريري، بضرورة الاجتماع بالرئيس السوري، حافظ الأسد، وقد ألمحت دمشق إلى واشنطن بوجود ما يمكن الحديث عنه بشأن وقف إطلاق النار.

اعتبرت عملية" يوم الحساب" -باسمها الرسمي- إنجازا عمليا، لم يترجم إلى نجاح سياسي، غير أن الهدوء عاد إلى"كريات شمونة" ومستوطنات الشمال. وقد كان رئيس هيئة الأركان، يشعر بالرضا إزاء القدرة التنفيذية للجيش، ضرب(الإرهابيين)، مقتل ٦٥ مسلحا، وفي المقابل انخفاض عدد القتلى الإسرائيليين، حيث قتل جندي واحد واصيب ثلاثة آخرون بجروح.

وفي الثامن عشر من آب ١٩٩٣، أعلمت شعبة العمليات رئيس هيئة الأركان بسقوط سبعة قتلى من لواء(جولاني) في المنطقة الأمنية شمال لبنان.

وفي غضون بضع دقائق، كان براك وقائد القطاع الشمالي، اللواء اسحق مردخاي في طريقهما إلى المنطقة.

في اليوم التالي، دق صوت الهاتف في منزل براك في ساعة متأخرة من الليل. كان تقريرا جديدا من لبنان حول سقوط جنديين من لواء (جولاني)، وفي ساعات الصباح الباكر، كان براك في طريقه ثانية إلى جنوب لبنان. كان يشعر بالألم ويحاول مواساة جنود اللواء لكنه، لم يستطع حبس دموعه.

وفيما كانت المدافع تدوي في الشمال، بدأت في العاصمة النرويجية أوسلو، أول المحادثات السرية بين ممثلين إسرائيليين وفلسطينيين، والتي أجريت رغم التحفظ الذي أبداه مؤيدو بيرس وبيلين ضد رئيس الحكومة ووزير الدفاع، اسحق مردخاي، وقد علم براك من خلال عناصر استخبارية نبأ هذه المحادثات وأبدى تحفظه بداية، بيد أنه سرعان ما دخل إلى صلبها.

تسببت تعقيدات المشاكل الأمنية وموقف رئيس هيئة الأركان، براك بشأن عدم التنازل في النقاط التي يمكن أن تشكل في المستقبل خطرا على أمن الجنود والمدنيين، توترات بينه وبين وزير الخارجية شمعون بيرس اكثر من مرة.

اراد بيرس تسريع المسيرة، وكان يرى أن موجة العنف ستزول عقب اتفاقات أوسلو، لدى الانتقال من الشرق الأوسط القديم إلى الشرق الأوسط الجديد، الذي يرى نفسه مسؤولا عن بلورته.

وقد عمل براك في تلك الفترة إلى جانب بيرس ساعات طويلة وسمع منه غير مرة انتقادات مبطنة للحذر الشديد الذي يتوخاه رئيس الحكومة، والذي كان يرى أنه لا يقدر الفرصة الكبيرة بالتوصل إلى سلام.

من ناحية ثانية، سمع براك من رئيس الحكومة رابين، أن بيرس ورجاله وعلى وجه الخصوص، أوري سافير، يتنازلون سريعا. يلهثون ولا يتوقفون، حيث يجب التوقف وإعادة تقييم الوضع. كانت تقديراته، بأنه ينبغي، إلى جانب

فرصة خوض مفاوضـــات سياســية مباشـــرة وحقيقيـــة بيـــن إســـرائيل والفلســـطينيين، الاستعداد لاحتمال حدوث عمليـــات.

براك من رئيس لأركان الجيش

إلى رئيس لأركان السلام

أمضى رئيس هيئة الأركان اليوم الذي تم فيـــه التوقيـــع علـــى اتفـــاق أوســـلو، في قطاع غـــزة إلـــى جـــانب قـــائد قـــوات الجيـــش الإســـــرائيلي العميـــد (دورون الموغ)، حيث أعلنـــت حالـــة التـــأهب القصـــوى، اســـــتعدادا لاحتمـــال حـــدوث رد سريع من جانب حمـــاس.

بدأت موجة العمليات فـــي الثـــاني عشـــر مـــن أيلـــول، أي قبـــل يـــوم مـــن المصافحـــة التاريخيـــة، بيـــن اســـــحق رابيـــن وعرفـــات فـــي البيـــت الأبيـــــض بواشـــنطن، حيث قام أحد نشـــطاء حماس بطعـــن ســـائق حافلـــة فـــي خـــط (٣٠٠) بين تل أبيب وعســـقلان، فيما قتل عـــدد مـــن جنـــود الاحتيـــاط فـــي قطـــاع غـــزة برصاص أفراد حمـــاس.

أدرك براك، رغم العمليات التي وقعـــت وســـتقع، أنـــه أمـــام مفـــترق طـــرق تاريخي، فتحول بين ليلة وضحاها، من رئيـــس هيئـــة أركـــان يعـــد الجيـــش للحـــرب، إلى رئيس هيئة أركان يعد للســـلام.

شرعت الحكومة الإسرائيلية فـــي الاســـتعدادات لخـــوض مفاوضـــات ســـريعة حول تسوية سياسية تؤول إلى انسحاب الجيش الإســـرائيلي مـــن غـــزة وأريحـــا. وقـــد أوضح رئيس هيئة الأركان، لرئيس الحكومة رابيـــن، أن الجيـــش الإســـرائيلي، ينبغـــي أن يكون طرفا في المفاوضات، وأن ممثليه يجب أن يكونـــوا مـــن المســـتوى الرفيـــع.

كانت الآراء داخل الحكومة متضاربـــة بـــهذا الشـــأن، حيـــث زعـــم شـــمعون بيرس أنه ينبغي إبقاء الجيش الإسرائيلي خارج المســـــيرة السياســـية، فـــي حيـــن لـــم يخطر ببال اســـــحق رابيـــن تكليـــف مديـــر عـــام وزارة الخارجيـــة (أوري ســـافير) بشـــؤون الأمـــن.

تباحث براك مع نائبه اللواء، (امنون ليفكين شاحك)، حول استعدادات الجيش للمفاوضات واختيار ممثليه، وسأله إن كان يرغب في ترؤس الطاقم الأمني المفاوض، بيد أنه رد بالنفي، مشيرا إلى أنه من الأفضل لنائب رئيس هيئة الأركان، المرشح بعد عام لتسلم زمام منصب رئيس هيئة الأركان، ألا يقحم نفسه في مفاوضات لا يوجد إجماع عام بشأنها، ثم سأله براك عن تعيين رئيس شعبة التخطيط اللواء، (عوزي ديان)، فرد بالإيجاب وقال أنه تعيين ممتاز.

خرج براك بعد ذلك للقاء رابين وأطلعه على قراره بشأن تعيين عوزي ديان، رئيسا للطاقم الأمني، كان رابين يعرف ديان جيدا. فهو ابن شقيق موشيه ديان، وقد وافق على تعيينه.

تباحث رابين وبراك حول استراتيجية المفاوضات. وللمرة الأولى، يعرب براك عن خشيته إزاء احتمال حدوث عمليات على محاور الطرق المؤدية إلى (غوش قطيف)، والتي ستبقى معزولة وسط محيط عربي في قطاع غزة.

كانت المشكلة الرئيسة تكمن في مستوطنة (نتساريم) التي تقطن فيها عشرات العائلات المحاطة بمئات آلاف الفلسطينيين، وكانت تقديرات براك بأنه لو كان الائتلاف أكثر قوة، ولا يعتمد على أغلبية عضوي كنيست فقط، لكان بمقدور رابين، اتخاذ قرار شجاع وإخلاء (نتساريم)، لكنه لن يستطيع في ظل الوضع السياسي الذي سيعقب الاتفاق، ومقابل غضب اليمين والمستوطنين في المناطق، تحريك أي مستوطنة ولو سنتيمترا واحدا.

عاد براك إلى مكتبه، وبعد قليل، اتصل به رابين وطلب منه الحضور.

-رابين: "لماذا لم تقترح على امنون شاحك ترؤس الطاقم الأمني؟".

-براك مندهشا: "تحدثت مع شاحك وسألته، لكنه لم يكن راغبا في ذلك".

-رابين: "شمعون شيبس (مدير عام مكتب رئيس الحكومة) قال لي أن أمنون معني بهذا المنصب". على الفور، استوعب براك ما دار في رأس شمعون شيبس. لم تكن المرة الأولى ولا الأخيرة التي يترك فيها شيبس بصماته على مثل هذه الأمور، فقد حاول قبل ذلك، عندما كان اسحق رابين وزيرا للدفاع، وكان هو

مستشاره، العمل من أجل ترشيح امنون شاحك لرئاسة هيئة الأركان بعد دان شومرون، وعلى أية حال، شعر براك غير مرة، بظل شمعون شيبس في أغلب الأحيان ولكن ليس لصالحه.

رد براك على رابين: "إذا كان شاحك يريد المنصب، فسوف يحصل عليه".

وعندما عاد إلى مكتبه، اتصل براك بشاحك وقال له، أنه اتفق مع وزير الدفاع على تعيينه رئيسا للطاقم الأمني المفاوض، وقف شاحك حائرا، وأدرك بحكمته أن الفصل بين الجانبين السياسي والأمني، سيكون صعبا وسيكون موضع تفسيرات معادية. ويبدو أن الروحية التي تصرف بها رابين، وربما الفضول للعب دور في حدث تاريخي، غير مسار الأمور، وعلى أية حال، كان براك يشعر بأن المبادرة كانت لمدير عام مكتب رئيس الحكومة، ولا دخل لشاحك أو رابين فيها.

وسرعان ما أصبح نائب رئيس هيئة الأركان، الشخصية الرائدة في المفاوضات الأمنية، وقد حرص على استشارة براك وإطلاعه على كل شيء أولا بأول، مما أبقى الثقة قائمة بينهما.

أعرب براك غير مرة، خلال اجتماعاته المغلقة مع رابين وفي رسائله الشخصية، عن قلقه إزاء الطاقم السياسي المفاوض برئاسة مدير عام وزارة الخارجية، (أوري سافير)، الذي يهرول، حسب اعتقاده، ولا يتعمق في المشاكل الأمنية بما فيه الكفاية، حتى إنه، في بعض الأحيان، يتجاهل وبوضوح رأي الجيش الإسرائيلي، ممثلا باللواء (امنون شاحك). كما أوضح لوزير الدفاع، بأن الاتفاق الأمني المتبلور ضبابي للغاية، في القضايا التي يمكن أن توضع على المحك، مثل حق "المطاردة الساخنة"، كما كانت له انتقاداته حول التسويات الخاصة بالحركة في (غوش قطيف)، الدوريات المشتركة وعرض المنطقة منزوعة السلاح، وقد حذرت شعبة الاستخبارات غير مرة، من نية حماس ضرب سيارات على طريق غوش قطيف، وصحت توقعاتها.

ورغم شعوره بإمكانية التوصل إلى اتفاق أمني أفضل، اضطر براك للقبول بما أنجزه الكادر السياسي، ليس خداعا وإنما من كل قلبه، فقد كان يثق بأنها مسيرة تاريخية لا ينبغي إضاعتها لكن تجسيدها يحتاج إلى يقظة واستعداد أمني دائم.

وفي اليوم الذي أخلى فيه الجيش الإسرائيلي قطاع غزة، دون عثرات، أدرك براك أن أمرا ما حدث في إسرائيل. وفي ذلك اليوم كتب إلى اسحق رابين يقول: "لا يساورني أدنى شك في أن إسرائيل تضع باتفاق "غزة وأريحا أولا" حجر الأساس لقيام دولة فلسطينية في غزة وأريحا.

ومقابل غبطة وزراء الحكومة، كان رئيس الحكومة ووزير الدفاع رابين، ورئيس هيئة الأركان براك يشعران بالقلق. وخلافا لشمعون بيرس، لم ينقادا وراء وهم الشرق الأوسط الجديد. فالشرق الأوسط الجديد كان بعيدا، وحماس والجهاد الإسلامي أقرب منه بكثير.

في السابع من تشرين أول ١٩٩٣، اجتمع رابين وعرفات في القاهرة وبعد ذلك بيومين، بدأت أعمال العنف القاسية،حيث قتل متنزهان إسرائيليان في (وادي القلط)، وقتل بعد ذلك بأسبوعين، جنديان في الاحتياط في (غوش قطيف)، وبعد أربعة أيام، تم اختطاف وقتل مستوطن في (بيت ايل).

في مطلع تشرين الثاني من نفس العام، هوجمت سيارة الحاخام (دروكمان)، مما أسفر عن مقتل السائق وإصابة الحاخام بجروح، وقتل بعد ذلك مستوطن ومربية أطفال من (غوش عتسيون). أما في مطلع كانون أول، فقد قتل مردخاي لبيد وابنه شالوم بالقرب من الخليل، وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه، قتل بالقرب من رام الله إسرائيليان من (بني براك)، وبعد ذلك بيومين قتل المقدم (مائير مينتس) مسؤول العمليات الخاصة لاعتقال المطلوبين في كمين للمسلحين بالقرب من مستوطنة (دوجيت).

في ليلة الثاني عشر من كانون الثاني عام ١٩٩٤، تلقت شعبة العمليات في قيادة القطاع الأوسط، نبأ حول تسلل مسلحين من الحدود الأردنية، فسارع قائد

القطاع، اللواء (نحميا تماري) إلى مطار دوف شمال تل أبيب، حيث كان بانتظاره رئيس مكتبه، صعدا إلى مروحية "سيبان" وحلقا باتجاه غور الأردن. حدث هذا في ليلة عاصفة. وبعد منتصف الليل، قرر قائد القطاع العودة إلى (متسودات كفير) بالقرب من القدس. بيد أن الضباب الكثيف، تسبب في تدني مدى الرؤية، فبدأت المروحية بالتأرجح. أخبر قائد الطائرة اللواء تماري، بأن الرياح شمالية، والضباب كثيف في منطقة الهبوط. كانت تلك آخر الكلمات التي وصلت إلى برج المراقبة، وفي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، انقطع الاتصال، حاول قائد الطائرة السيطرة عليها. بيد أنها اصطدمت بهوائي قيادة القطاع، ثم سقطت وتحطمت.

في حوالي الساعة الثانية فجرا، دق جرس الهاتف في منزل براك في كوكب يائير، كان رئيس مكتبه، يوني كيرن على الخط الآخر: "رئيس هيئة الأركان، لقد وقعت (كارثة)، مروحية "سيبان" تحطمت في القطاع الأوسط، وتسبب ذلك في مقتل نحميا تماري.

براك مندهشا: "ماذا تقول؟ هل أنت متأكد؟

يوني: "نعم، قتل نحميا ومعه رئيس مكتبه وطيارون آخرون.

كان نحميا من أحب الضباط إلى براك، عرفه منذ الصغر، عندما كان شقيقه (دوفيك تماري)، قائد دورية هيئة الأركان في الستينات.

في كانون الثاني ١٩٩٤، عين اللواء (داني يتوم) خلفا للواء نحميا تماري. وقد كان قبل ذلك، السكرتير العسكري لرئيس الحكومة، اسحق رابين، وهذه هي المرة الثانية التي يتسلم فيها زمام قيادة القطاع الأوسط.

مذبحة الإبراهيمي

كانت الكارثة التالية بعد ذلك بحوالي شهر. ففي الخامس والعشرين من شباط ١٩٩٤، أرسلت غرفة العمليات في القطاع رسالة غير واضحة، كانت تتحدث عن مهاجمة عدد من اليهود في ساحة الحرم الإبراهيمي، ووقوع

إصابات– وقد أمر اللواء يتـــوم، بتجـــهيز القـــوات اللازمـــة، اســـتعدادا للتوجـــه إلـــى المكان.

وفي طريقه إلى الخليل، اتصل اللـــواء يتـــوم بايـــهود بـــراك، وأخـــبره بـــأن الحديث لا يدور حـــول مهاجمـــة مصليـــن يـــهود، بـــل مصليـــن عـــرب فـــي القســـم المخصص للمسلمين في الحـــرم. كـــان المنظـــر مريعـــا. عشـــرات المصليـــن العـــرب يغوصون في دمائهم، عشرات القتلـــى وعشـــرات الجرحـــى، وإلـــى جوارهـــم طبيـــب الخليل.(باروخ غولدشتاين) جثة هـــامدة.

أصيبت الخليل التي كانت تقطنـــها أقليـــة يهوديـــة، بصدمـــة، فمنـــذ (مذبحـــة) يهود الخليل في العشرينات، لم تشهد المدينة حدثا بـــهذه القســـوة، لكـــن الصـــورة، هـــذه المرة، كانت مختلفة، فالقاتل طبيب يهودي من نشـــطاء حركـــة (كـــاخ).

بدأت أعمال العنف في المدينة، وقرر يتـــوم وبـــراك فـــرض الإغـــلاق. بعـــد ذلك، توجه براك إلى رئيس بلدية الخليل، حيث قدم تعازيـــه بضحايـــا المذبحـــة، الذيـــن بلغ عددهم ٣٠ شهيدا، أعرب عن شـــجبه واســـتنكاره، ثـــم قـــال: "أنـــه عمـــل مقيـــت، وأتعهد لكم ببذل أقصى جهودنا للحيلولة، دون تكـــرار مـــا حـــدث. وســـنتابع مجريـــات التحقيق في هذه القضية حتى النهايـــة".

كان رئيس البلدية في حالة ذهول تام، لـــم يســـتطع اســـتيعاب حجـــم الكارثـــة، براك أيضا، شعر بصعوبة في مواجهة ما حدث وعندمـــا خـــرج مـــن مكتـــب النتشـــة، اتفق مع اللواء يتوم على مواصلة الإغـــلاق وتعزيـــز قـــوات الأمـــن، تحسـبا لحـــدوث عمليات انتقاميـــة.

وبعد ذلك، أصدر براك أوامره إلـــى قـــائد القطـــاع، بتشـــكيل لجنـــة تحقيـــق، غير أن الحكومة الإسرائيلية، قررت بعد ذلك، تشـــكيل لجنـــة تحقيـــق يترأســـها رئيـــس محكمة العدل العليا، (مائير شـــمغار).

كان ايهود، بين أواخر الشهود الذين مثلوا أمام اللجنـــة، وقـــد بـــث قســـم مـــن شهادته عبر الراديو والتلفزيون.استعد جيدا لتلـــك اللحظـــة، كـــان يشـــعر بأنـــه ممثـــل الجيش الإسرائيلي كله، الذي يقف على منصة الاتـــهام بدعـــوى الفشـــل فـــي الحيلولـــة

دون وقوع المذبحة، وقال: "لم نتوقع مذبحة على يد مثـل هـذا المجنـون، ولـم نتوقـع عملا من هذا القبيل، وأنا أقول، أن الشخص المجنـون المسـتعد لوضـع حـد لحياتـه، يمكن أن يقتل مدنيين فلسطينيين أيضا، يمكن أن يسـقط طـائرة، كمـا يمكـن أن يقتـل رئيسا محاطا بحراسة منظمة أمـن كاملـة.

إنني أترقب ذلك اليوم، الـذي يسـير فيـه الإسـرائيليون والفلسـطينيون فـي الخليـل بحريـة ودون سـلاح، دون أن يتوقـع الإسـرائيلي رصاصـة، أو حجـرا أو سكينا، ودون أن يتوقع الفلسطيني تحديـا أو اسـتفزازا..."

اختطاف وقتل الجندي فاكسمان

شهد التاسع من تشـرين أول ١٩٩٤، وقـوع واحـدة مـن أعنـف العمليـات في تاريخ محاربة المسلمين الفلسطينيين، فقد خرج فـي ذلـك اليـوم، الجنـدي (غشـون فاكسمان) من لواء (جولاني)، في إجازة، وتوجـه إلـى مـنزل صديقتـه فـي الرملـة. استقل إحدى سـيارات الركـوب المجـاني، التـي كـان يجلـس فيـها ثلاثـة شـبان فلسطينيين. وبعد بضع مئات الأمتار انقضـوا عليـه ونجحـوا فـي توثيقـه وإغـلاق فمه، ثم انطلقوا باتجـاه رام الله.

أثار غياب فاكسمان قلـق عائلتـه والمسـؤولين فـي الجيـش الإسـرائيلي، لا سيما بعـد المعلومـات الاسـتخبارية التـي تتعلـق بنيـة حركتـي حمـاس والجـهاد الإسلامي اختطاف جنود إسرائيليين للمسـاومة عليـهم.

في ساعات الصباح الباكر، وصلت معلومات أوليـة إلـى بـراك، مـن شـعبة العمليات، تتحدث عن احتمال تعـرض الجنـدي لعمليـة اختطـاف، فدعـا إلـى عقـد جلسة طارئة في مكتبه، حضرها رئيـس جـهاز الأمـن "الشـاباك" (يعقـوب بـيري)، قائد لواء الضفة الغربية في "الشاباك" (جدعـون عـزرا)، رئيـس شـعبة الاسـتخبارات (أوري ساغي)، رئيس شعبة الأبحـاث فـي قسـم الاسـتخبارات (يعقـوب عميـدور)، رئيس قسم العمليات في هيئة الأركان (جـابي اشـكنازي)، المتحـدث بلسـان الجيـش الإسرائيلي (عاموس جلعاد)، رئيس مكتـب رئيـس الحكومـة (يونـي كـيرن)، وعـدد

من كبار الشخصيات في الشاباك، وقد أجمع الحضور على أن الجندي تعرض لعملية اختطاف، من قبل حركة حماس.

بعد بضع ساعات، ثبتت صحة مخاوفهم، فقد أرسل المختطفون إلى التلفزيون الإسرائيلي، شريط فيديو، تم فيه تصوير نحشون فاكسمان في مخبأ، وطالبوا بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين، الزعيم الروحي لحركة حماس ومئات المعتقلين الفلسطينيين، وإلا فإنهم سيقتلون فاكسمان يوم الجمعة، الرابع عشر من تشرين الأول، الساعة التاسعة.

كان الأمل الوحيد بالنسبة للمحققين، الشريط الذي نقل إلى وكالة الأنباء (رويتر)، والذي نقل بعد ذلك إلى ممثل الوكالة في قطاع غزة.

أصدر ايهود براك أوامره إلى قيادة دورية هيئة الأركان ووحدة مكافحة الإرهاب في الشرطة، بالاستعداد لاحتمال تنفيذ عملية ما. وقد كان جدعون عزرا، قائد لواء الضفة الغربية في جهاز الأمن "الشاباك" أول من تحدث عن احتمال أن يكون فاكسمان محتجزا في مكان آخر غير قطاع غزة، وإن تكون قصة قطاع غزة مجرد محاولة تضليل ليس إلا.

في تلك الليلة، تم اعتقال أحد المشبوهين، وقد اعترف خلال التحقيق معه بأنه تعاون في التخطيط للعملية، وأن الجندي المخطوف محتجز في منطقة رام الله في منزل كبير ومعزول، يعود لعربي مقيم في الولايات المتحدة.

كانت تجمع المتهم علاقات قرابة مع إحدى عائلات الخاطفين الثلاثة. وحسب أقواله، فقد كان حلقة الوصل بين الخاطفين وبقية أفراد الخلية في قطاع غزة، الذين يترأسهم محمد ضيف، أحد كبار المطلوبين للشاباك، وقد أوصل إلى المحققين رسالة تقول، أن الخاطفين يعتزمون تصفية فاكسمان، إذا ما رفضت مطالبهم. وبعدها، رفض التعاون مع المحققين والإدلاء بأي معلومات حول المنزل الذي يختبئ فيه الخاطفون.

أصدر براك أوامره إلى جهاز الأمن (الشاباك)، بالعمل قدر المستطاع، للوصول إلى أي معلومة حول موقع البيت، وتوجه إلى قائد الجيش الإسرائيلي بالضفة الغربية، اللواء (شاؤول موفاز)، وكلفه بالتخطيط لعملية الإنقاذ.

كان أهم مسألة بالنسبة للمحققين كسب الوقت وتضليل الخاطفين ليظنوا بأن رسولهم تأخر بسبب حادث طرق في قطاع غزة، في تلك الأثناء، وصلت إلى (الشاباك) معلومات حول المنزل والغرفة التي يقبع فيها فاكسمان، كان من الواضح أن عملية الاقتحام ستكون معقدة، وأن المدة الفاصلة بين اقتحام الباب والوصول إلى غرفة فاكسمان، قد تكون حاسمة.

أعدت الخطط، وقرر اللواء موفاز تبني خطة دورية هيئة الأركان، وقد صادق رئيس هيئة الأركان على القرار ولم يتدخل في الاعتبارات التي أخذها موفاز في الحسبان، في الوقت الذي احتج فيه على القرار أفراد وحدات الشرطة الخاصة، بينهم نائب قائد الوحدة، الذي كان آنذاك، القائم بأعمال قائد وحدات الشرطة الخاصة- الذي كان في الخارج- وطلب مهلة لإعداد خطة بديلة، غير أن موفاز رفض ذلك.

عقب ذلك، خرج رئيس هيئة الأركان، إلى موقع استعدادات دورية هيئة الأركان. تحدث إلى الجنود عن أهمية العملية ومبدأ عدم الخنوع (للإرهاب) وقال: "أنها مهمة غير عادية، وقد تقع إصابات بين أفراد القوة. لذا عليكم أخذ الحيطة والحذر".

غير أن أمرا ما لم يكن متوقعا حدث فجأة. فقد بعث أحد أبراج المراقبة بمعلومات تتحدث عن سيارة حمراء اللون، تسير باتجاه البيت، ثم تتوقف بالقرب منه. ينزل منها شخص ما، وبيده كيس يدخل المنزل ثم يخرج دون الكيس، يستقل السيارة ويغادر.

أمر براك بمطاردة المشبوه واعتقاله على مسافة بعيدة من المنزل، ولما تم إلقاء القبض عليه، انهار وانفجر بالبكاء وقال أنه لا علاقة له بالخاطفين ولا يعرف شيئا عن العملية، وأنه كلف فقط بإحضار وجبة من الطعام. وقد توسل

إليهم ليبقوا على حياته مقابل أن يعود إلى الخاطفين، ويحاول إقناعهم بإطلاق سراح فاكسمان، بيد أن المحققين تشاوروا فيما بينهم، وأعلموا رئيس هيئة الأركان، وجدعون عزرا، بأنهم لا يثقون بالمعتقل.

عملية إنقاذ فاشلة

في تلك الأثناء، كانت القوة بقيادة النقيب (نير بوراز)، قد بدأت تحركاتها.باتجاه المنزل حاول أفراد القوة الدخول عبر السطح، بيد أنه كان مغلقا، فاتجهوا إلى شرفة المطبخ، غير أن ضجتهم أثارت انتباه الخاطفين، الذين بدأوا بتبادل إطلاق النار مع أفراد القوة. ولقد أسفرت العملية عن مقتل النقيب بوراز وإصابة عدد من أفراد القوة بجروح، ومن ثم مقتل الجندي فاكسمان والخاطفين..

لقد كانت ليلة قاسية ومؤلمة بالنسبة لرئيس هيئة الأركان، الجيش والدولة على حد سواء. وقد اقترح وزير الدفاع، اسحق رابين، عقد مؤتمر صحفي في تل أبيب، ووافق براك على ذلك وقال "المسؤولية تقع على عاتقي.

عملية ديزنغوف

بعد فشل عملية الإنقاذ بأسبوع، شارك رئيس هيئة الأركان في تحقيق موسع أجري في دورية هيئة الأركان، وخلال التحقيق، وصل تقرير عاجل: " عملية في (خط ٥) في شارع ديزنغوف في تل أبيب". غادر براك الغرفة واتجه إلى تل أبيب. كان الدخان ما يزال يتصاعد من الحافلة المشتعلة، وإلى جوارها جثث القتلى، لقد كان الوضع مؤلما بالنسبة له، لا سيما وأنه سينهي مهام منصبه كرئيس لهيئة الأركان في غضون شهرين، وفي ظل هذه الظروف القاسية.

بيد أن الظروف شاءت لايهود براك، أن يحظى بحضور حدثين مهمين، ربما لا يتوقعهما مع دخوله هيئة الأركان قبل أربعة أعوام. فقد حضر مراسيم التوقيع على اتفاق السلام بين إسرائيل والأردن، وكان أول رئيس هيئة أركان يلتقي علنا، رئيس هيئة الأركان السوري.

وخلافا لاتفاق السلام مع عرفات، الذي توصل إليه وزير الخارجية بيرس ورجاله، كان السلام مع الأردن إنجاز شخص واحد فقط- اسحق رابين. وكان براك بين القلة القليلة، الذين عرفوا أسرار الاتفاق.

تعرف براك إلى الملك الحسين خلال لقاء سابق جرى في لندن إبان حرب الخليج، وكان قد تعرف إلى شخصيته قبل ذلك، من خلال التقارير الاستخبارية التي وضعت على مكتبه، منذ سنوات طويلة. وإذا كان من الصعب على رئيس هيئة الأركان- الذي قاد عشرات العمليات الجريئة ضد (الإرهاب)- مصافحة ياسر عرفات، فإن مصافحته للملك كانت أبسط بكثير.

اصطحب رابين براك معه في بعض زياراته السرية إلى العاصمة الأردنية عمان ومدينة العقبة. وعندما تم توقيع اتفاق السلام، في وادي عربة في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٩٤ بين إسرائيل والأردن، برعاية الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، كان براك يتابع كل حركة من تحركات رئيس الحكومة، اسحق رابين.

في أحد لقاءاته به قبيل اعتزاله الخدمة، من الجيش سأل براك عن خططه المستقبلية فقال: "أريد أن أخرج في إجازة مع زوجتي نافا وبناتي بعد ذلك سأتوجه إلى مجال الأعمال".

رابين: "وبعد ذلك".

أدرك براك ما يرمي إليه رابين وعرف أنه يقصد الحياة السياسية، فرد عليه قائلا: "ينبغي أن أدرس الأمر بحذر".

رابين: "ايهود سأفتقدك. وعلى أية حال، أريد رؤيتك إلى جانبي، أنا أعتقد أنه ينبغي عليك الدخول إلى الحياة السياسية إلى الحكومة.

شكره براك، لكنه لم يلتزم أمامه بشيء.

لقد كان رابين بالنسبة له رجل الأمن، الرمز المسؤول، المتزن والحاسم والشخص الذي يستمع إلى من حوله، وكان يشعر بالغبطة، عندما كانوا يهمسون

من ورائه ويقولون بأنه (توأم رابين). كذلك، ألمح رابين وفي أكثر من مرة، إلى أنه يرى في شخص ايهود براك وريثا له.

وبعد أيام فقط من اغتيال اسحق رابين، سمع براك من ليئا رابين وأبناء عائلتها، أن اسحق رابين كان سيعينه وزيرا للدفاع في الحكومة التي سيشكلها عقب انتخابات عام ١٩٩٦. وكما يبدو، لم يكن لدى اسحق رابين شك، في أنه سينتصر على بنيامين نتنياهو في انتخابات ١٩٩٦، وعرف أيضا أنها ستكون آخر فترة ولاية له. لذا، كان يعتزم خلال سنوات الحكم الأربع الأخيرة، تأهيل براك كخلف له.

كان السلام مع الأردن مهما، بيد أن رابين كان يرنو إلى تحقيق ما هو أهم: السلام مع سوريا، ولقد شارك براك في الخطوات الأولى على المسار السوري، وعهد إليه اسحق رابين، في إحدى المحادثات، أن يطرح خطة الأمن الإسرائيلي، كما يراها هو، تمهيدا لتسوية سياسية محتملة في هضبة الجولان، ورغم ذلك، كان يتمنى كرئيس هيئة أركان، أن يحظى بحضور المسيرات الأخيرة قبيل إنجاز هذا السلام.

لقد اشتملت الخارطة التي قدمها براك على عدة بدائل، بيد أن أيا منها لم يتحدث عن إمكانية انسحاب كامل من هضبة الجولان. وكان أهم خيار يتصدر سلم الأولويات –حسب رئيس هيئة الأركان– تواجد الجيش الإسرائيلي على نصف منطقة هضبة الجولان، على الأقل. وأسوأ البدائل، الاحتفاظ بهوامش أمنية تقدر ببضعة كيلومترات في منطقة الهضبة وعلى طول بحيرة طبريا وبصورة أساسية جبل الشيخ.

وقد سمح رابين لايهود براك، بطرح وجهة نظره خلال جولة قام بها في الولايات المتحدة الأمريكية. كان اتفاقا مسبقا بينهما للإلماح للرئيس السوري، حافظ الأسد بأنه إن لم يسرع سيتأخر.

أثارت أقوال براك سخط عدد من المسؤولين في الحكومة، وأبدى بيرس تحفظه إزاء المواقف المتصلبة التي يطرحها رئيس هيئة الأركان في واشنطن.

بيد أن رابين لم يتراجع وقال: "أنـــه رأى بــراك، ومــن الأفضــل أن يطرحــه". وقــد كانت أقواله بمثابة رســالة واضحــة إلــى الرئيــس الأســد: إذا أردت دخــول مســيرة سلام جدية، فقد تكون هذه الفرصـــة الأخـــيرة".

في تلك الأثناء، بدأ وزير الخارجية الأمريكي جولـــة مكوكيــة بيــن إســرائيل وسوريا، تمخضت عـــن إجــراء لقــاءات ســرية بيــن الســفير الإســرائيلي (ايتمــار رابينوفيتش) والسفير السوري (وليد معلم)، فـــي واشــنطن.

شــهدت الاتصــالات الســرية حــالات مــن المــد والجــزر، وقــد أوضـــح الأمريكيون، أن الأسد، طلب من كريســـتوفر ومعاونيــه، التعمــق أكــثر فــي موقــف ورأي رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي، ولما ســأله كريســتوفر عــن ســبب ذلــك قــال الأسد: " إذا عرفت ما يفكر به براك، سيكون بمقدوري تقديـــر مــا يفكــر بــه اســحق رابين، براك توأمه، وأعرف أن رابين يعـــده كوريــث".

لم يكن براك على علم بتلــك الأقــوال، وفــي لقاءاتــه العديــدة إلــى جــانب رابين وعدد من كبار الشخصيات في هيئة الأركان مــع الطــاقم الأمريكــي، لــم يخــف الأمريكيون تحمســـهم إزاء أســـلوب طرحــه لمواقفــه، بيــد أنــهم زعمــوا بأنــه متصلب للغاية. وفي كل مرة كـــان يقــول: "باعتبــاري رئيــس هيئــة الأركــان، لــن أوصي بالانســحاب من هضبـــة الجــولان، لكننــي ســـــأوافق علــى أي قــرار يتخذه الكادر السياســي.

تمخضت الاتصـــالات الســرية عــن الاتفــاق علــى إجــراء لقــاءات علــى مستوى كبار الضباط، ورتب الأمريكيون لسلســلة مــن اللقــاءات تبــدأ بايــهود بــراك وسفير سوريا في واشنطن وليد معلم" ثـــم الســفير الإســرائيلي فــي واشــنطن ايتمــار رابينوفيتش مع رئيس هيئة الأركان الســوري، وفــي الجولــة الثانيــة فقــط، ســيلتقي رئيسا هيئتي الأركان الســوري والإســرائيلي.

تقرر إجراء اللقاء بين براك والســفير الســوري فــي واشــنطن فــي الثــالث من تشرين الثاني ١٩٩٤ فــي (بلــير هــاوس). وقــد تنكــر بــراك ومعــه الســكرتير

العسكري لرابين، داني يتوم، بهيئة رجلي أعمال، وحلقا إلى أوروبا، ومن ثم إلى واشنطن، دون أن يتسرب أي نبأ إلى وسائل الإعلام الإسرائيلية.

كانت المصافحة بين براك ومعلم رسمية وسريعة. وقد استهل معلم- دبلوماسي قديم ومحترف ومن أشد المقربين من الرئيس الأسد- الاجتماع بخطاب قصير حول الموقف السوري الذي يقوم على مبدأ الانسحاب حتى خطوط الرابع من حزيران ١٩٧٦، لكنه لم ينطق ولو مرة واحدة، بكلمة سلام.

من جانبه، طرح براك النظرية الأمنية الإسرائيلية ، حيث تحدث عن نزع السلاح من مناطق واسعة على جانبي الحدود وعن منطقة فاصلة بعمق ١٢-١٥ كم في الحدود الشرقية لهضبة الجولان، تواجد أمني إسرائيلي في الجولان، إقامة محطات إنذار إسرائيلية في عمق الأراضي السورية، محطات إنذار سورية في الجليل، قوات دولية وعلى رأسها قوات أمريكية، للحفاظ على الأمن،وتسوية متعددة السنوات لبناء الثقة المتبادلة.

بدا السفير السوري شاحب اللون، وانتهى اللقاء بمصافحة أكثر فتورا وقد كان فضول الجانب الإسرائيلي شديدا لمعرفة طبيعة الرد السوري، وكانت هناك مخاوف إزاء إمكانية إلغاء لقاء رئيس هيئتي الأركان، بيد أن الأسد فاجأ الجميع هذه المرة، ولم يلغ الاجتماع.

توجه ايهود براك، داني يتوم ورئيس شعبة الاستخبارات، اللواء أوري ساغي ثانية إلى واشنطن، متنكرين بهيئة رجال أعمال بسطاء. كان الوفد السوري- رئيس هيئة الأركان الشهابي، السفير معلم ومترجمة سورية تعمل في ديوان الرئيس الأسد- بانتظارهم في (بلير هاوس).

بدأ الاجتماع، جلس براك والشهابي متقابلين. تبادلا النظرات، لم تكن بينهما أسرار. فكلاهما يعرف الآخر من الملفات الاستخبارية. وقد استكمل براك معلوماته عن الشهابي من السفير رابينوفيتش، الخبير الإسرائيلي في شؤون نظام البعث والرئيس السوري، كان الشهابي من أشد المخلصين للأسد، وقد كان في السابق ضابطا رفيع المستوى في استخبارات سلاح الجو السوري. وقبل ذلك

بعشرين عاما، حقق مع الطيارين الإسرائيليين الذين وقعوا في الأسر السوري، والذين بذل ايهود براك، كقائد لدورية هيئة الأركان، جهودا مضنية لإطلاق سراحهم.

استهل ايهود براك الاجتماع-وكان الوحيد الذي تحدث في الوفد الإسرائيلي- بالثناء على الرئيس حافظ الأسد وعلى استعداده للانضمام إلى ركب المسيرة السلمية. توجه إلى الشهابي واقترح أن يتحدثا كجندي إلى جندي.

أصغى الشهابي بذهول، عندما بدأ براك الحديث عن نزع السلاح من مناطق واسعة في هضبة الجولان وتقليص كبير في حجم القوة السورية بين دمشق وهضبة الجولان. لقد طرح براك نظرية لتقسيم سوريا إلى أجزاء، مناطق منزوعة السلاح، مناطق محددة القوات ومناطق محدودة التسلح.

بدا الشهابي قليل الصبر وقال: "إن الموقف السوري ينص على وجوب انسحاب إسرائيلي من هضبة الجولان إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧، ولن نتنازل عن سنتمتر واحد من الأراضي السورية".

ظلت الأجواء كدرة حتى الظهيرة، وقد تناول كل وفد طعام غدائه منفردا، بيد أن الجولة الثانية للمحادثات اتسمت بشيء من الهدوء. فقد طرح براك قضية محطات الإنذار كمركب أمني ضروري تحسبا لأي هجمة سورية مفاجئة، وقد استمع الشهابي ودون ملاحظاته.

وبهدف إضفاء شيء من المصالحة على أجواء الاجتماع، دعا الأمريكيون الضباط للقاء غير مخطط مع الرئيس الأمريكي، بيل كلينتون، حيث تحدث عن فرصة لإنجاز سلام تاريخي، سلام الشجعان.

انتهى اللقاء وقال الشهابي: "سنطلع الرئيس السوري على مجريات الأمور، وسنخبره بإمكانية استئناف المحادثات" شعر ايهود بالرضا، لكنه كان يعرف أنها الخطوة الأولى فقط على طريق صراع شاق، على كل متر في هضبة الجولان.

عاد الشهابي ومعلم إلى دمشق وأطلعا الرئيس السوري على أقوال براك بشأن نزع السلاح وتخفيض مستوى القوات السورية من دمشق وحتى الهضبة، فاستشاط غضبا.

وقد نقل وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر، الذي التقى الأسد بعد ذلك بوقت قصير، عن الأسد قوله: "يريد براك نزع السلاح وإبقاءنا دون جيش حتى الحدود التركية".

واحتجاجا على تلك الأقوال، قرر الأسد تجميد المحادثات، وعاد السفير معلم إلى دمشق لبضعة أسابيع تعبيرا عن عدم شعور الأسد بالرضى. بيد أن كريستوفر أعرب عن تقديراته بأن الأسد سيهدأ وسيستأنف المحادثات.

كان رابين راضيا عن المواقف التي طرحها ايهود براك. وفي إحدى لقاءاته معه، قبل أن ينهي مهامه كرئيس لهيئة الأركان، اقترح رابين أن يترأس براك-كمدني- الوفد الإسرائيلي الأمني. وقد أعجبت الفكرة براك، بيد أنه طلب من رابين التنازل عن الفكرة، كي لا يمس بشعور رئيس هيئة الأركان الجديد، أمنون ليفكين شاحك.

وهكذا، يكون براك قد أنهى ٣٥ عاما بالضبط من الخدمة في الجيش الإسرائيلي.

الفصل الحادي والعشـــرون

براك في حزب العمل

رابين رأى في أيهود وريثا له ورامون خلفا لبيرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلما اقترب موعد تسريح ايهود بـــراك مــن رئاســة الأركــان كلمــا ازدادت الشائعات حول انضمامه إلى حزب العمل ، وحول اعتزام رابيــن إقحامــه فــورا فــي قيادة الحزب . وكان هو أيضا يدرك أن هذا مــا ســيحدث فعــلا .

لقد تبلورت الفكرة ، بــادئ ذي بــدء ، لــدى اســحق رابيــن ، الــذي شــرع يتحدث خلال حواراته مع مقربيه عن ضرورة تدعيـــم الحــزب بقــوى خارجيــة لقــد بدأت اســتطلاعات الرأي العام في نهاية عام ١٩٩٤ بـــالميل لصـــالح نتنيـــاهو ، ممـــا جعل رابين يشعر أن هناك شيئا ما ناقص . وشعر أحيانـــا أنـــه معـــزول فـــي مواجهـــة شمعون بيرس ، واوري سابير، ويوســـي بيليـــن ، ممـــا يســـتدعي بـــأن يكـــون إلـــى جواره (رجل أمني قوي يدعمـــــه).

وكان براك مرشحا طبيعيا قادرا على تمكيـــن رابيـــن مـــن إنعـــاش الحـــزب ، وتعزيزه، والتأكيد على طابعه الأمنـــي، ومنـــح الجمـــاهير شـــعورا بـــالتجدد والأمـــل. كان رابين يقدر براك، ويقدر رئيس الأركان الجديد ، الـــذي تـــم تعيينـــه بعـــده "أمنـــون ليفكين شاحك ". أحب في براك قدرته التحليليـــــة، كمـــا أحـــب طبيعـــة تفكـــيره، وأدرك أن طبيعة تفكيره قريبة منه، لذا، قال: أريد هذا الرجـــل إلـــى جـــواري .

لقد كان رابين يدرك أنه يعد وريثـــا لـــه ، علـــى الرغـــم مـــن أن أيـــا مـــن زعماء الحزب السابقين لم يعد مثل هذا الوريث. وكـــان يـــدرك أنـــه لـــن يبقـــى هـــو وشمعون بيرس إلى الأبد. وقد قال لأحـــــد مقربيـــه .. ربمـــا نبقـــى ســـنة ، ســـنتين ، أربعا، لكننا لن نبقى للأبد، وسنضطر في مرحلـــة معينـــة، لإخـــلاء الطريـــق للقـــوى الجديدة. لذا يجب أن نهتم بإعداد الورثـــة، ولا يجـــب بـــأي حـــال أن نـــترك الحـــزب مشـــلعا .

كان الوريثان المرشحان همـــا: (ايـــهود بـــراك) و(حـــاييم رامـــون)، واعتقـــد رابين أن الدمج بين التجربة الأمنية، والهالة التي تحيـــط بـــبراك وبيـــن الشـــعبية التـــي يحظى بها رامون سيقدمان الرد الانتخابي اللازم للحـــزب. لقـــد كـــان بـــراك ورامـــون من وجهة نظره، هما رابين وبيرس للجيـــل الحزبـــي الجديـــد. وتشـــاور رابيـــن مـــع العديد من مقربيه بمن فيهم (جيورا عيني) – فجـــاءت النتـــائج إيجابيـــة. وقـــد جعلتـــه

المشاورات التي أجراها مع (عيني)- المقـــرب إلـى بـيرس. والوسـيط فـي حـل النزاعات التي كانت تنشب بينهما – يدرك أن هنــاك ضـرورة لإشـراك بـيرس فـي العمليـة .

وهكذا ، تم تحديد لقاء ثلاثي بين رابيــن وبـيرس وعينـي ، وطـرح رابيـن الأفكار آنفة الذكر، فوافق عليها عيني، وأيدهـا بـيرس بحمـاس. وهكـذا، تـم تمـهيد الطريق لإحضار ايهود براك إلى الحـزب. ولـم يبـق سـوى حـل المسـائل الفنيـة، والتحدث إلى براك نفســه .

حال تسريحه، قرر براك بعد التشاور مـع مقربيـه ألا ينخـرط فـي السياسـة فورا، بل أن يسافر مع عائلته إلى الخارج للتمتـع بوقـت مـا بعـد التسـريح، وبعـد خدمة عسكرية دامت خمسا وثلاثين عامــا. وفـي الأول مـن كـانون الثـاني ١٩٩٥، أنهى براك خدمته، وبدأت العائلة تستعد للسفر إلى الولايـات المتحـدة لقضـاء إجـازة طويلة وبعد أسبوعين من تسريحه دعي إلى مكتـب رئيـس الحكومـة اسـحق رابيـن سرا ، وهناك ، قال له رابين "نحـن نطلـب منـك أن تـدرس فكـرة الانضمـام إلـى الحزب . ستنضم إلى الحزب ،وتحصل على مكانـة وزيـر، وعضويـة فـي المجلـس الوزاري المصغـر، والمشـاركة فـي إدارة المفاوضـات. إن الاقـتراح الـذي أقدمـه إليك يأتي تأسيسا على رأيي ورأي شـمعون بـيرس، لقـد تحدثـا فـي هـذه القضيـة واتفقنا حولها. وآمل أن تتفق معنا فـي آرائنـا السياسـية والأمنيـة، أنـا أعتقـد أننـي اعرف آراءك وأقدرك حق قــدرك ".

قال براك : أنا موافق ، بيــد أن القـانون ينـص علـى ضـرورة أن يكـون هناك هامـش زمني فــاصل بيـن التسـريح مـن الخدمـة والانخـراط فـي الحيـاة السياسـية .

فقال رابين : أنا أعرف ذلك، سنرسل إليك شخصا مـا، وهـو سـيقوم بـترتيب كـل هذه الأمور معــك .

في أعقاب هذا اللقاء، توجه براك للقـاء شـمعون بـيرس، الـذي قـال لـه: " نعم، هذا رأيي أيضا نحن بحاجــة إليـك ".

أدرك براك، أن الأمور قد اتخـــذت فـــي نهايـــة المطـــاف منحاهـــا المؤكـــد. وبعد فترة وجيزة عقد احتفال بمناسبة تسلم شـــاحك رئاســـة الأركـــان وتســـريح بـــراك حضرته كل القيادة العسكرية، ورئيس الحكومة أيضا، وبينمـــا كـــان بـــراك يقـــف مـــع مجموعة من مقربيه، قال رابيـــن:" نريـــد أن ينضـــم بـــراك إلينـــا "، ثـــم اتجـــه إلـــى الصحفية (نيبا ليز) ، صديقته، وقال:"أرجو أن تذهبـــي الآن إلـــى ايـــهود وتقولـــي لـــه ألا يسافر إلى الولايات المتحدة ، وأن يبقـــى هنـــا".

قالت ليز: هل غـــدا مناســـب ؟؟ فقـــال رابيـــن : نعـــم، مناســـب ، أرجـــو أن تتوجهي إليه وتقولي لـــه: ألا يؤســـس لنفســـه أي عمـــل فـــي الولايـــات المتحـــدة، لا أستطيع أن ألتزم الآن بتعيينه في مكان معين، بيـــد أننـــا نريـــده .

ذهبت ليز في الساعة السادسة من مســـاء اليـــوم التـــالي إلـــى بـــراك، ونقلـــت إليه ما قاله رابين، فقال إنه مضطر للسفر إلـــى الولايـــات المتحـــدة، وقـــال شـــيئا مـــا عن العروض المقدمة له للالتحـــاق بمركـــز الأبحـــاث الاســـتراتيجي فـــي واشـــنطن، ووعد بالعودة في غضون عـــدة أشـــهر .

تحدثت ليز مع رابين هاتفيـــا ، فأرســـلها بعـــد أســـبوع مـــرة أخـــرى إلـــى براك، وحاولت أن تؤكد على برنامج زمني، بيد أنـــه اتضـــح لـــها أن بـــراك سيســـافر إلى الولايات المتحدة وســـيعود .

استدعى رابين عيني، وطلب منه أن يذهب ويفهم منه كـــل مـــا يريـــد، وقـــال له صراحة :"براك هو الوريث للجيل القادم ،وهو الزعيـــم الـــذي ســـيقود الحـــزب مـــع آخرين باتجاه الألفيـــن " .

وفي اللقاء بين عيني وبـــراك، أوضـــح لـــه عينـــي جميـــع الجوانـــب الفنيـــة لإنهائه الخدمة، وانضمامـــه إلـــى حـــزب العمـــل، والـــهامش الزمنـــي الفـــاصل بيـــن العمليتين. وقال له:"رابين وبيرس متفقـــان فـــي الـــرأي تجـــاهك، إنـــهما يعدانـــك كـــي تصبح جيل التواصل المستقبلي للحزب، وستكون أنت الركـــيزة التـــي ســـتقود الحـــزب قدما. أنت معد كي تصبح الزعيم القـــادم للحـــزب، وإذا ســـارت جميـــع الأمـــور كمـــا

يجب، فلا يوجد أي سبب يحول دون ذلك، هناك جيـل جديـد مـن الشـبان التواقيـن، ويجب أن تكون أنت سند بيرس ورابين فـي مواجهتـهم ".

لقد راقت هذه الأقوال لبراك ، وأدرك أنه سـيكون الثقـل المـوازي لرامـون وعوزي برعام وبن اليعيزر وشـوحط . وأن عليـه أن يسـاعد رابيـن وبـيرس فـي قص أجنحتهم . كما أدرك أن اتفـاق بـيرس ورابيـن حولـه، لـم يـأت لإعجابـهما بعينيه الجميلتين، بل لأنهما كانا بحاجة إلى دعم للحكومـة عـبر ضـم رئيـس أركـان قوي، وذي شخصية أمنية، لمواجهة الحسـم السياسـي الصعـب القـادم، أضـف إلـى ذلك، أن رابين كان يرغب في تعزيز الجنـاح الأمنـي الرئيسـي فـي مواجهـة تـأثير الحمائم المتزايد، والمتمثل في شمعون بـيرس ويوسـي بيليـن .

قبل سفره، أسـس بـراك بالتعـاون مـع شـقيق زوجتـه دورون كوهيـن ، شركة أعمال باسم (**Essence**) وطبع بطاقـات باسـمها .

وبعد أن أتم جميع الاتفاقيات والتفاهم بينـه وبيـن رابيـن بوسـاطة (عينـي) حزم حقائبه وزوجته، واتجه إلى الولايـات المتحـدة .

وهناك، اتجه إلى مركز الأبحاث الاسـتراتيجي فـي واشـنطن ، الـذي كـان رئيس الأركان الأميركي (باول) قد ساعده فـي العثـور علـى عمـل فيـه، وحصـل على مكتب خاص به، ومساعد للأبحـاث يدعـى دان مجـدر، وهـو شـاب يـهودي. ومن الجدير بالذكر أن مجدر هاجر إلـى إسـرائيل فيمـا بعـد، وتطـوع للعمـل فـي مكتب براك، وساعده في الفوز في الانتخابـات برئاسـة الحـزب .

أخذ براك العمل في المركز بجدية تامـة، واهتـم بصـورة خاصـة، بمجـال النفط فـي الشـرق الأوسـط ، ومـدى تـأثيره علـى السياسـات العالميـة ، وألقـى محاضرات ، وأعد دراسات وأبحـاث .



الفصل الثاني والعشـــــرون

مواجهة تليفزيونية مباشرة
دافع عن نفسه بجدارة واعتبره الرأي العام صادقاً

عاد براك وعائلته إلى إسرائيل بعد عدة أشهر قضاها في الولايات المتحدة ، فوجد كومة من الاقتراحات على مكتبه للانخراط في مجالات عمل مختلفة ، بيد أنه كان يرد كل جهة بالقول : إن من المتوقع أن يتغير وضعه قريبا ، مما يجعله غير مناسب لمثل هذا العمل.

أضف إلى ذلك، أن شركة (**Essence**) التي أقامها مع صهره، كانت تسير على ما يرام، رغم إدراكهما أنه سيضطر قريباً لإغلاقها لنفس السبب .

وخلال فترة الانتظار، سافر إلى الصين مع صهره للاتفاق على بعض المشروعات التي كان يبدي اهتماماً بها .

بدأت اللقاءات مع عيني تعود إلى السطح من جديد ، وقد اقترح عليه رابين خلالها تسلم منصب وزير الداخلية، إضافة إلى تعيينه عضوا في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في إدارة المفاوضات مع الفلسطينيين. بدأ براك يشعر بالإحباط إلى حد ما، فقد كان يتوقع تلقي عرض أفضل يمكنه من تجسيد تاريخه العسكري، وفي نفس الوقت كان يدرك أنه ليس في حوزة رابين، في الآونة الحالية ملفات وزارية أفضل، كي يعرضها عليه.

عقد براك اجتماعا تشاوريا مع مقربيه وصهره لاتخاذ قرار فيما، إذا كان عليه قبول المنصب المعروض عليه، أم أنه يتوجب إجراء مفاوضات متشددة رغم الخوف من أن تؤدي مثل هذه المفاوضات إلى الحيلولة دون التحاقه بالحزب ؟؟

وقال : لقد عرض علي رابين وزارة الداخلية وعضوية في المجلس الوزاري المصغر، والمشاركة في المسيرة السلمية ، وأنا أعتقد أن علي قبول العروض .

بيد أن المشاركين لم يكونوا جميعا متفقين في الرأي ، حيث قال له عيدو ديسنتيش – أحد المقربين لرابين " لا يجب أن تقبل، إن المنصب الملائم لك هو وزارة الدفاع، هناك مكانك الطبيعي، وفي هذا المنصب ، تستطيع مساعدة رابين على مواجهة الإرهاب، والمشاكل " .

وقال يوني كيرن – مدير مكتبه إيان شغله منصب رئيس الأركان : " وزارة الداخلية ستميع مكانتك كرئيس أركان سابق عسكري ، يجب أن تطالب بوزارة الدفاع " .

بيد أن براك كان يدرك أنه لا يستطيع رفض العرض الذي قدمه رابين، كما أنه درس طبيعة عمل وزارة الداخلية ،وقال : " أستطيع عمل الكثير من مكاني ، في هذه الوزارة، فسوف يصبح لدي تأثير قوي على قضايا قومية، وسأصبح قريباً من جميع الأمور، وسأشارك في المفاوضات السياسية، واعتقد أنه يجب علي قبول العرض " .

وبعد عدة أيام ، نقل لرابين ، عبر عيني ، رداً إيجابياً حول المناصب المعروضة عليه، وتم الاتفاق على أن يتسلم منصبه الجديد في نهاية شهر تموز أو مطلع آب، أي حينما تنتهي فترة الأشهر الثلاثة الفاصلة بين منصبه العسكري وتسلمه لأي مهمة جديدة .

حادثة " تسأليم "
تعكر الأجواء

لم يبق سوى إنهاء بعض الجوانب التقنية، وخصوصاً بالنسبة لشركته، وكان عليه السفر إلى الصين لإنهاء بعض الارتباطات، لكن في تلك الآونة بدأت الأرض تميد تحت قدميه .

كانت جريدة "يديعوت احرونوت" قد استكملت في تلك الآونة تحقيقها في قضية "تسأليم"، وبدأت تستعد لنشرها، وعلم براك بذلك، بيد أنه لم يولها اهتماماً، لأنه لم يكن يدرك ما الذي يخبئه له التحقيق .

كان يفترض أن يتم نشر النتائج في" يديعوت احرونوت"، وفي التلفزيون، بيد أن مسئولي التليفزيون قرروا، في أعقاب دراسة التحقيق، أن يجروا لقاءاً مع براك، ومع بعض مقربيه، وعدم نشر التحقيق. وقبل سفره،

وجهت إليه الصحيفة عدة أسئلة، بيد أنه لم يرد عليها، ووجه الأسئلة إلى الناطق العسكري، وسافر إلى الصين .

وإبان تواجده هناك، نشرت الجريدة التحقيق وأثارت هزة أرضية وموجة إعلامية هائلة .

فقد أفادت التحقيقات أن ايهود براك رئيس الأركان ،وأكثر الضباط الإسرائيليين استحواذا على أوسمة، متهم: بترك الجرحى في تساليم، والفرار من موقع الكارثة .

تلقى براك النبأ في الصين خلال الاتصال الهاتفي الذي أجراه معه كيرن. وبعد يومين تلقى بالفاكس، صورة عن تحقيق الصحيفة. وما كاد يقرؤه، حتى غلى الدم في عروقه، وقال لكيرن: يجب أن يرد الناطق العسكري على هذا النبأ فورا، أرجو أن تتصل بالناطق العميد عاموس جلعاد .

وسأل براك كيرن: هل تعتقد أن الأضرار التي ألحقوها بي جسيمة ؟؟ هل يجب أن أعود فورا ؟؟ فأجابه كيرن :"لا ، لا يجب أن تعود فورا، ينبغي إلا تبدو في حالة فزع".

بدأ براك، من الصين، بإجراء سلسلة من المشاورات : هل يجب أن يعود، كيف يجب أن يتعامل مع الصحيفة ؟؟ هل يشن عليها هجوما كاسحا ؟؟

ولم تقتصر الآثار على براك وعائلته، بل تجاوزتهما إلى حزب العمل، فقد بدأ بعض الشخصيات يلمحون لرابين أن براك ليس كنزا انتخابيا، وخصوصا في أعقاب ما نشر حول تساليم، ونصحوه بأن يغض الطرف عن إمكانية ضمه إلى الحزب .

اتصل براك برابين من الصين، وسأل فيما إذا كان يجب عليه العودة فوراً أم لا، فقال له رابين: افعل ما تراه مناسبا، وأنا شخصيا لا أرى أن هناك سببا لعودتك، فأنت تعرف الحقيقة .

اتصل براك برئيس الأركان أمنون شاحك وطلب منه أن يرد على الصحيفة خصوصا وأنه كان أثناء الحادث في تساليم . وبعد ثلاثة أيام أجرى

شاحك مقابلة تليفزيونية أكد فيها كذب رواية الجريدة، وقال إن براك لم يتخل في حياته عن جرحى ولم يفر من المكان أبداً .

لقد أظهرته الجريدة في صورة الضابط الرفيع الذي يقف على تلة بلا مبالاة ، يحملق في الجرحى والجنود الذين كانوا في حالة نزع . ثم يغادر المكان بلا مبالاة .

ولأول مرة ، يشعر براك أنه فقد السيطرة على أعصابه ونفسه، فجميع الدلائل تؤكد أنه بقي على أرض المعسكر ، حتى وضع الجرحى في الطائرات، بل إنه ترك طائرته لشاحك، وسافر في طائرة شاحك، كما أن هناك جدولاً زمنياً لموعد إقلاع الطائرات في هيئة الأركان، لكن كل ذلك دون جدوى .

لقد صفعه الواقع بشدة، فهو لم يكن معتاداً مثل هذه الهجمات الصحفية العميقة، لقد اعتاد طيلة حياته أن تكيل له وسائل الإعلام الثناء والمديح . لقد قلل من شأن الأضرار الجسيمة التي لحقت به، لذا لم يكن على استعداد لمواجهة ما حدث فيما بعد، وهنا يكمن خطؤه الجسيم .

غصت الصحف بصورة مماثلة، بشهادات وشهادات مناقضة من قبل الجرحى والأشخاص الذين تواجدوا آنذاك في المعسكر. وهكذا اتضح له أن هذه المشكلة لن تنتهي وحدها – ويجب عليه أن يهب للقتال بنفسه – وأن لا يوكل الدفاع عنه للزملاء والمؤيدين. فقرر العودة إلى إسرائيل مبكراً .

وإبان المشاورات التي أجراها بينما كان في طريقه إلى إسرائيل، تم اتخاذ قرار بأن يجري لقاءً تليفزيونياً مع القناة الأولى في برنامج (سيحات فعيدة) .

وفي المطار، كان بانتظاره عشرات الصحفيين بيد أنه من المتفق عليه، ألا يرد على أي أسئلة.

وفي استديو القناة الأولى ، كان بانتظار براك كبار شخصيات القناة : نسيم مشعل، ومدير عام القناة (مردخاي كرشنباوم) ، والمراسل العسكري الون بن دافيد ، أما براك ، فقد جاء بصحبة دورون كوهين ، ويوني كيرن .

بدأت المشاكل منذ دخول براك غرفة المكياج، فقد طلـــب أن يمنـــح لـــه حـــق الكلام أولاً كي يروي روايته دون أي مقاطعة، بيد أن طـــاقم التليفزيـــون رفـــض ذلـــك رفضاً باتاً، وقال له نسيم مشعل مدير البرنامج : أنـــا أمثـــل خمســـة ملاييـــن إســـرائيلي هنا ويوجد لديهم أسئلة يجب أن أوجهها إليـــك . ثـــارت ثـــائرة بـــراك ، وأراد مغـــادرة الاستديو ، بيد أن كيرن هدأ من روعه. وقـــال لـــه مشـــعل : أرجـــو أن تعتمـــد علـــي، سأتيح لك الفرصة للإعـــراب عـــن وجهـــة نظـــرك وروايـــة قصتـــك، ولدينـــا الوقـــت الكافي لذلـــك .

وعندما بدأ البرنـــامج، اتضـــح أن هـــدوء بـــراك كـــان انيـــا وســـطحيا، لقـــد تحولت المقابلة التي أجراها البرنامج في الثـــالث عشـــر مـــن أيـــار ١٩٩٥، إلـــى أحـــد أكبر العروض التليفزيونية التي شهدتها الشاشـــة الصغـــيرة فـــي حياتـــها. فقـــد تفجـــر براك أمام النظارة، في حين حرص مشعل على دس ســـؤال هنـــا ، وملاحظـــة هنـــاك. وبدا أن معركة براك خاسرة منذ البداية، فقد اندلع لسانه غضبـــا، وتحـــدث مـــن بطنـــه وقلبه، وصرخ، ووبخ، وحدق في الكاميرا، بعينين تقدحان جمـــرا، دفاعـــا عـــن حياتـــه

لقد وصفت وســـائل الإعـــلام المقابلـــة " بمســـرحية الرعـــب " وارتبـــط اســـم بـــراك أثرهـــا بالعدوانيـــة والعنـــف. بيـــد أن الجمـــاهير أحبـــت ذلـــك، وقـــد أثبتـــت الاستطلاعات التي جـــرت فيمـــا بعـــد بـــأن الجمـــاهير صدقـــت بـــراك. لقـــد أكـــدت الاستطلاعات أن براك صادق فـــي روايتـــه، ونفـــت الوصمـــة التـــي كـــادت ترتبـــط باسمه، وجعلت الطريق أمامه إلى الحكومـــة ممـــهدا .

الفصل الثالث والعشـــــرون

بـــــراك .. وزيـــــراً

امتنع عن التصويت لصالح الانسحابات الإضافية مخالفا رابين وبيرس

بدا أن براك سينخرط في الحياة السياسية بسهولة فقد كان هذا الرجل الملقب "برئيس الأركان " الأكثر سياسة في تاريخ إسرائيل يعرف غالبية الكوادر السياسية العاملة، عدا عن كونه مقربا إلى الكثير من السياسيين من جميع الأحزاب ، وكان يعرف شيئا ما حول البنية الداخلية وتركيبة دهاليز القوة في إسرائيل .

ورغم كونه عسكريا إلا أن تفكيره كان سياسيا ويتحلى بقدرة خطابية غنية، وكفاءة تحليل رائعة ومحبة خاصة للحوارات الفلسطينية الطويلة ، وتمكن ايهود براك من بناء علاقات واسعة مع العديد من السياسيين. وكان الوزراء قد اعتادوا الاتصال به والتشاور معه، وسؤاله عن رأيه في المجال الأمني .

وخلال الفترة التي سبقت انخراطه في حكومة حزب العمل، أجرى حوارا هادئا مع يوسي بيلين توطئة لانخراط الاثنين في إطار حكومة رابين .

وخيل لبراك ، أن بيلين يسعى إلى ضمه إليه وإلى حاييم رامون ، كي يقود الثلاثة ثورة الشباب والجيل الجديد في مواجهة جيل الوسط الذي بدأ يهرم ويشيخ، من أمثال شوحط وعوزي برعام وبن اليعيزر، على الرغم من أن براك أقرب في عمره إلى جيل الوسط من جيل الشبان .

لقد كان يوم تعيينه هو ويوسي بيلين وزيرين في حكومة رابين ، بمثابة يوم عيد لحزب العمل وقد كان براك يدرك، أن رابين سيعرض اسمه واسم بيلين على مركز الحزب.

كانت أول المهام التي يتوجب عليه إتمامها ، هي بلورة طاقم شخصي مقرب منه. وكان أول المعينين هو يوني كيرن ، فقد عينه براك مديرا لمكتبه وعين (يرون يعكبس)مستشارا رفيعا – وهو شاب متدين عمل ضابطا في شعبة الاستخبارات العسكرية إبان ترؤس براك للشعبة ، ثم حصل على رسالة الماجستير والدكتوراة في العلوم القضائية.

كان براك لا يزال غرا سياسيا، لذا كان يحتاج إلى مستشار سياسي كفء، قادر على إدارة دفة الأمور. وقد اختار لهذا المنصب شابا مغمورا يدعى

رولي بوندي بتوصية من عيني. ومن الجدير بالذكر أن بوندي لا زال مع براك حتى اليوم . وبقي منصب المساعد الشخصي، فمنحه لأمير تماري، وهو جاره، وحاصل على الليسانس في العلوم السياسية والحقوق . وقد أوصى به صهره .

وفي نهاية آب ١٩٩٥ تسلم براك منصبه وزيراً للداخلية. وبعد حوالي شهر، جمع جميع رؤساء البلديات والمدن والقرى في إحدى القاعات الكبيرة في تل أبيب ، وقرأ عليهم خطاباً مؤلفاً من أربع وعشرين صفحة ، حلل فيها فهمه ، ما يتعلق بوزارة الداخلية، وحل المشاكل والميزانيات، والمهام التي يلقي بعبئها على نفسه وعلى مكتبه، وأساليب العمل .

كان براك، وعلى عكس غالبية الوزراء، يدرك التفاصيل، وبوصفه رئيساً للأركان، في فترة إجراء المفاوضات السلمية، فقد كان مطلعاً على الكثير من الأمور، وإن لم يكن دائماً راضياً عن الخطوات المتبعة .

وقبل التصويت في الحكومة، عاش ليلة صعبة للغاية، فقد كان يدرك أنه لا يستطيع التصويت لصالح القرار. وقد اجتمع لهذا السبب في غضون الأسبوع الماضي مع بيرس ورابين ، ورغم أنهما كانا يدركان موقفه تمام الإدراك . إلا أنه أراد إعطاء نفسه فرصة أخرى . وخلال لقائه مع بيرس ، قال له : لن أستطيع التصويت لصالح الانسحابات الإضافية، وقد أبدى بيرس استياءً شديداً ،وثار بين الاثنين جدل شديد .

أما رابين فقد أصغى إليه حينما قال له ذلك بهدوء، ولم يعقب .

ولم يخف براك رأيه خلال الاجتماعات المغلقة، فقد أبدى معارضته لأسلوب الانسحابات السريعة . وقال إن تسليم الفلسطينيين غالبية مناطق الضفة الغربية والقطاع في غضون عام ونصف العام ، وقبل بدء مناقشة القضايا الصعبة المتمثلة في القدس ، وحق العودة ، والحدود الدائمة .. إلخ – يعتبر خطأ تكتيكياً جسيماً . "فمناطق الضفة الغربية هي أفضل ورقة مساومة في أيدينا وها نحن نتخلى عن هذه الورقة قبل أن تبدأ المساومة الحقيقية. واقترح إطالة مدة الانسحابات ، ونشرها على المدة الفاصلة حتى الانتهاء من النقاشات حول التسوية

الدائمة أو تقديم التسوية الدائمة ، بحيث يتم تنفيذها في نفس الوقـــت الــذي ستسـلم فيـه الأراضي ، أو خلال زمن قريـب منــها .

كان براك يدرك أن من الصعب إقناع شمعون بيرس ، بيــــد أنــه كــان يــأمل أن يجد أذنا صاغية لدى اسحق رابين ، الذي كان بينــهما لغــة مشــتركة معــه . لكــن آماله خابت ، حيث أصغى رابين إليه ، لكنه لــم يقتنــع .

لم يغمض لبراك جفن ليلة التصويت على القرار وكـــان يقـول لنفسـه : هـذا أول تصويت لي في الحكومة، ويجب علي أن أصــوت ضــد الرجليــن اللذيــن يقـودان المسيرة، وأدخلاني إلى الحكومة وفـــي نفـس الوقــت لا أسـتطيع التصويـت لصـالح القـرار .

وكان براك يدرك أن التصويت ضــد القــرار سـيعتبر بمثابــة تحـد لرابيـن وبيرس، بل وبمثابة خيانة لهما، لكنه وكلمــا قتـل الوضــع تمحيصــا ودراســة، كلمــا أدرك، أكثر فأكثر، أنه لا يستطيع أن يكذب علـــى نفســه .

بدأت الجلسة في التاسعة صباحا، وأعطي لــبراك حـق الكــلام فــي نهايتــها، فقام وألقى خطابا مطولا برر فيه موقفه ، وعندمــا راقــب وجــوه الــوزراء المرهقــة، لم يلاحظ تفهما لما يقول غير لدى يوسي ســريد ومــائير شــطريت .

وأجمل كلمته بالقول : لقد أصغيت إلـــى كلمــات الــوزراء، خــلال النقــاش، وأنا أدرك المزاج السائد وأعرف ماهية القرار الذي ســـتتخذه الحكومــة اليــوم، ورغــم ذلك لا أستطيع أن أصوت لصـــالح القــرار .

كان براك على قناعة بأن اسحق رابين يعــرف بأنــه يعــتزم التصويـت ضــد القرار أو سيمتنع عن التصويت . حينما وصلتــه ورقتــان صغيرتــان ، احداهمــا مــن مني حريش والثانية شوحط ، وقد كتب الاثنــــان لــه :" لا تصــوت ضــد القــرار، ولا تمتنع عن التصويت، أنت ترتكب خطأ جسيما، يجــب أن تؤيــد رئيــس الحكومــة " .

وحينما حلت لحظة التصويت امتنع بــراك وشــطريت عــن التصويــت علــى القرار، في حين وافق باقي الوزراء عليه. وبينمــا الحكومــة لا زالــت منعقــدة، خــرج رئيس الحكومة من غرفة الاجتماعات وطلب أن يحضــروا لــه جيــورا عينــي، وقــال

له: " أنظر ما الذي فعله بي ، في أول تصويت في الحكومة، فعـــل بـــي ذلـك ". فقـــال عيني : " دعني أتحدث معه ". وقد أدرك عيني أن عليـــه بـــذل قصـــارى جـــهده بغيـــة إطفاء الحريق ، الذي أوقده بـــراك.

بدا رابين شديد الغضـــب ، فـــهو لـــم يكـــن يتصـــور أن بـــراك يعـــتزم حقـــا الامتناع عن التصويت . لقد شعر أنه مس بـــه وخانـــه .

لم يتكلم رابين مع براك، ولم ينظر نحـــوه، بـــل اتجـــه إلـــى مكتبـــه مباشـــرة، بيد أن إيتان هابر همس لبراك: هل جننت ؟؟ فـــي أول تصويـــت تفعـــل ذلـــك ؟؟ فقـــال براك:" لا أستطيع التصويت ضد ضمـــيري، ورابيـــن يعـــرف موقفـــي ، لقـــد تحدثـــت معه ومع بيرس، ولم أستطع النوم طيلة الليل ،ولو أن رابين بعـــث لـــي بورقـــة يرجـــو مني أن أصوت لصالح القرار، لما استطعت رفض ذلـــك، بيـــد أنـــه لـــم يفعـــل ذلـــك، وأنا واثق من أنه يتفهمني، كما أن عدم تصويتي لن يضر بنـــا علـــى المـــدى البعيـــد ".

أثار امتناع براك ضجة إعلاميـــة كبـــيرة، حيـــث أشـــارت وســـائل الإعـــلام، إلى أن وزير الداخلية يعارض اتفاقيات أوسلو. وهكـــذا وجـــد بـــراك نفســـه فـــي حالـــة دفاع عن النفس، فقال : "كان في اتفاقيـــات أوســـلو حسـم تـــاريخي، وأنـــا أؤيـــد هـــذا الحسم من كل قلبي، بيد أنه يجب أن نتفهم التفـــاصيل فـــالخير والشـــر موجـــودان فـــي التفاصيل الصغـــيرة ".

لقد استخدم براك هذا التصويت في مرحلة لاحقة كـــي يوضـــح الفـــارق بينـــه وبين بيرس، فقال : إن بيرس لا يقف أمام التفـــاصيل الصغـــيرة، فـــهو يـــرى الـــهدف الاستراتيجي، يرى الحلـــم، والنبـــوءة، أمـــا أنـــا فـــأرى التفـــاصيل الدقيقـــة، وأتعـــامل وكأنني في ساحة قتال، علـــى النمـــط الرومـــاني- اليونـــاني القديـــم : قواعـــد محـــددة وتقدم صعب ،ومثابرة داخل حلبة محدودة، مـــع ضـــرورة النضـــال بشـــدة مـــن أجـــل الفوز. بيد أن كل ذلك لم يساعده في تسوية الأمـــور مـــع رابيـــن.

وبعد عدة أيام عمل عيني على عقد اجتمـــاع مصالحـــة بينـــهما. وبـــدا رابيـــن شديد الإرهاق بعد أسبوع متواصل من العمل. وأخذ يدخـــن ويشـــرب بشـــراهة، وبعـــد زجاجة البيرة الثانية التي تناولها براك معه، قال : " أنـــا آســـف جـــداً حقـــاً لمـــا ســـببته

لك ، فلا أود أبداً أن أغضبك أنا لست آسفاً على موقفي المبدئي، لكن لو أنك بعثت إلي ورقة صغيرة أثناء الجلسة لصوت معك ، لقد اعتدت خلال الجلسات التي جمعتنا معاً ، أن ترسل لي الأوراق وتوجهني، فلماذا لم تفعل ذلك هذه المرة أيضاً ؟؟".

فقال رابين : "يجب أن تعلم أنني لم أعمد في أي جلسة إلى إرسال بطاقة لوزير كي أقول له كيف يصوت ، فالوزراء يصوتون حسب ضمائرهم ".

وبعد ساعة من الحديث ، بدا أن الأمور تسير باتجاه المصالحة، بيد أن براك كان يدرك في داخله، أن رابين لا زال يحمل شعورا بخيبة الأمل والإحباط تجاهه، وقد ساعد في تكريس هذا الشعور، بعض مقربي رابين، الذين ما كانوا يضيعون فرصته دون التغني بخيانة براك .

وبوصفه وزيراً للداخلية أكثر براك من التجوال هنا وهناك، فقد كان يحب الاحتكاك بالمواطنين وسماع مشاكلهم عن قرب .

وفي أول جولة لبراك إلى بلدة راهط البدوية ذهب مع رابين، وهناك استقبل بالترحاب الشديد، ثم توجه الاثنان إلى أوفليم، وهناك استقبلهم حاخامات البلدة على أبوابها بالخبز والملح . ومن الجانب الآخر ، كان متظاهرو الليكود يقفون لهم بالمرصاد، حاملين الشعارات القائلة :"رابين خائن، رابين سافل " كانت تلك أول مرة يرى فيها براك هذه الأقوال واليافطات ضد رئيس الحكومة، رغم أنه كان يسمع من وسائل الإعلام أن متظاهري اليمين والليكود ينتظرون رابين في كل زاوية لإهانته وتوجيه أقذع السباب له .

وقد وجد متنفسا لمشاعر الغضب التي اجتاحته في الاجتماع الحزبي الذي عقد في تل أبيب في نفس الليلة، وقف ايهود براك على المنصة، وقال : " أي وقاحة تلك أن يصفوا رابين بالخائن، إن رابين هو أحد محطمي أسوار القدس عام ١٩٤٨ في الوقت الذي كان نتنياهو ما يزال في المهد، ورابين كرئيس للأركان وحّد القدس قبل أن يلتحق نتنياهو بالجيش، لا يجب أن نسمح لذلك بالحدوث، ولا يجب أن نغض الطرف عنه .

وتطرق براك إلى نظريته السياسية فتحدث عن حــق الإسـرائيليين فـي هـذه البلاد–بما فيها غالبية المستوطنات وقال إننا نعيش فـي مرحلـة يمكننـا فيـها التنـازل من موقف القوة والثقة الذاتيـة بـالنفس، مـن أجـل إنجـاز السـلام، والـذي سـيوفر لإسرائيل الأمن الشـامل .

وخلال الجولات التي كان يقوم بها فـي مجـالس المسـتوطنات كـان بـراك يستقبل بحفاوة كبيرة . وكان المستوطنون لا زالـوا يذكـرون العلاقـات المتينـة التـي أقاموها معه إبان توليه منصب قائد القطـاع الأوسـط ، وكـان بـراك يطـرح عليـهم نظريته الأمنية ، فيقولون له نحن نعرفك ونقـدرك لأنـك تقـول لنـا وتطـرح أمامنـا الأمور كما هي، ولا تحاول تجميـل الوقـائع .

كانت الزيارة للقدس مثـيرة بشـكل خـاص، وقـد اسـتقبله رئيـس البلديـة، ورئيس شركة تطوير القدس الشرقية ،وقام بجولة في نفـق القـدس. وقـد حـاول ايلـي سويا – مسئول اللواء والبلدية، ووزير الداخلية حاليـا – تجنيـد موافقـة بـراك لصـالح مشروعات مثل البناء في جبل أبو غنيم ورأس العامود وفتـح نفـق القـدس .

واصطحب مثـاي دان – ممثـل المليونـير اليـهودي ارفينـي موسـكوفيتش براك في جولة بالقدس الشرقية، مثلما يلاحظ . كما حـاول ايلـي سـويا إغـراء بـراك على الموافقة على البناء فـي رأس العمـود. وقـد تلـت هـذه المحـاولات محادثـات هاتفية من ميامي من المليونير نفسـه ، صـاحب الأرض .

لقد لاحظ براك فوراً المادة السياسـية المتفجـرة الكامنـة فـي هـذه القضيـة، ورغم ذلك، أثنى على مواصلـة أعمـال البنـاء فـي القـدس مـن ناحيـة، وواصـل التشاور مع اسحق رابين مـن الجـانب الآخـر، وقـد اتفـق الاثنـان بالتعـاون مـع المستشار السياسي لوزارة الداخلية، على إرجـاء مشـروع رأس العمـود إلـى إشـعار آخر .

كان نفق القدس مكتملاً، ويحتاج إلى عمل لمدة نصـف يـوم فقـط مـن أجـل فتحه، بيد أن الكادر السياسي لم يصادق على ذلك. ولـم يسـتطع بـراك إبـان الجولـة التي قام بها في النفق، أن يخفي تأثره الشـديد مـن ذلـك، وقـال: مـن المـهم أن يتـم

افتتاح هذا النفق للجماهير في أسرع وقت ممكن، إننا نخوض طريقا سبق أن خاضه آلاف اليهود وهم في طريقهم إلى الصلاة في الهيكل إنني أشعر بارتفاع معنويات تاريخي .

بيد أن المشاعر والجولات شيء، والواقع شيء آخر، حيث لم تعمد الحكومة إلى إشعال الضوء الأخضر خلال النقاشات التي أجرتها حول فتح المغامرة فقد قرر بيرس ورابين، وايهود ، الانتظار لموعد أفضل . وبشأن جبل أبو غنيم، كان الوضع أيضا مماثلا، فقد عرض ايلي سويا على براك خطة البناء لليهود في جبل أبو غنيم، وللعرب في رأس العامود، كما طرحت مسألة هدم المنازل غير المشروعة في القدس الشرقية. وقد أقر براك بالعمل على دفع المخططين – للعرب واليهود – إلى الأمام. كما طلب تقديم إنذار قبل اثنتين وسبعين ساعة من هدم أي منزل عربي غير شرعي وبالتعاون مع مساعده يعكبتس. وهكذا، وفي كل مرة كانوا يعتزمون هدم منزل عربي، كانوا يطرحون الأمر للتشاور لدى وزير الداخلية .

بذل براك جهودا مضنية جدا في وزارة الداخلية، ولم يكن يعلم أنه سيضطر لمغادرتها قبل مضي ستة أشهر على توليه . لقد أراد أن يترك بصماته على الوزارة، لذا، تجاوز الصغائر، وعكف على المشروعات الكبيرة والأفكار والقضايا الهامة. بيد أن جميع الجهود التي بذلها، لم تكن تعده لما كان سيحدث في الرابع من تشرين الثاني ١٩٩٥.

الفصل الرابع والعشـــــــرون

اليمين الإسرائيلي يقتل رابين
اغتيال رابين أذهل براك وحال دون تجسيد طموحاته

أخذت الأوضاع تتدهور تدهورا خطيرا، فكلما تقدمت عملية تنفيذ اتفاقيات أوسلو، كلما تصاعدت الأعمال الإرهابية التي تقوم بها حماس. مما حدا بنشطاء اليمين الإسرائيلي للخروج إلى الشوارع. وكانت المظاهرات التي تلاحق اسحق رابين أينما ولى وجهه، شديدة جدا، ومطلقة العنان. وأشد تلك المظاهرات كانت تلك التي يعقدها نشطاء اليمين المتطرف بالقرب من منزل رابين ظهر يوم الجمعة، بانتظار عودته، كي يكيلوا له السباب والشتائم والتهديدات.

وفي أعقاب المظاهرة التي شهدها براك في اوفكيم، قرر عدم السكوت، بل التحدث مع رابين، وقال لـ"كيرن" يجب أن يتحمل رابين المسئولية، لان هذه الأحداث، لن تنتهي بما يحمد عقباه.

ثم وقع حادث معهد(واينجيط)، فقد كان رابين في زيارة للمعهد، وهناك كان المتظاهرون بأعداد كبيرة في حين كان حراس رابين قلة قليلة، مما مكن المتظاهرين من الاقتراب من رابين إلى درجة مهددة ومخيفة. لقد اصطدم رابين عن كثب، بجماهير غاضبة حاقدة تطل الكراهية من عينيها، والتي أخذت تسبه وتشتمه.

حاول ايهود براك تنظيم مجموعات من مؤيدي الحزب لمرافقة رابين، أينما حل، للدفاع عنه، وقد اقترح عليه(كيرن) تشكيل مجموعة من خريجي الوحدات المقاتلة المؤيدين لحزب العمل لمصاحبة رابين في تجواله. فتحدث(كيرن) مع عومر بارليف-ابن رئيس الأركان السابق، وبالتعاون مع (بني كبلان) سكرتير مجلس عمال بيسان، حاولوا إخراج المشروع إلى حيز التنفيذ الفعلي، والذي اقترح أن يتم العمل على تجنيد وحدات حماية بواسطة الهستدروت. بيد أن وسائل الإعلام اكتشفت المحاولة، وجعلت منها رواية كبيرة، مما اضطر القائمين عليها لإلغائها.

في الثاني من تشرين الثاني-الموافق يوم الخميس- اجتمع ايهود براك ورابين في مكتب رئيس الحكومة، حيث كان على براك أن يسافر إلى الولايات المتحدة، للتشاور وقد خصص لها رابين ربع ساعة فقط.

استغرقت المقابلة بين رابين وباراك ساعة ونصف الساعة، تحدثا فيها عن كل شيء: المسيرة السياسية، الحزب، الحياة، وجميع المناحي الأخرى، وقد سجل براك خلال اللقاء، عدة ملاحظات على ورقة جاء فيها: داني يتوم لرئاسة الموساد، حاييم رامون يجب أن يعود إلى الحزب، ايتان بن الياهو قائدا لسلاح الجو.

وحينما طرحت القضية السياسية قال براك: أنه يشعر بالقلق الشديد جراء وضع الشارع، بيد أن رابين بدا أقل قلقا، وقال: لا أولي استطلاعات الرأي العام أي اهتمام، ولست قلقا من منافستي لنتنياهو على رئاسة الحكومة، وفي نفس الوقت أدرك أن هناك ضرورة لإجراء تغييرات داخل الحزب، لتنشيطه.

قال براك: اسحق، لقد وعدت الجماهير بصنع السلام، وها نحن قبل الانتخابات بسنة واحدة، والمفاوضات مع السوريين تراوح مكانها وليس من الواضح، فيما إذا كنا سنتمكن من استكمال المسيرة مع الفلسطينيين أم لا؟

وأضاف..."المفاوضات حول التسوية الدائمة ستبدأ في أيار ١٩٩٦، أي قبل ستة أشهر من الانتخابات، ولا شك في أن الفلسطينيين سيقدمون خلالها مطالبهم، بشأن القدس واللاجئين وغير ذلك وهذا الوضع غير صحي، فقد تجد نفسك قبل الانتخابات بستة اشهر، أمام طريق مغلق، مع السوريين، وأيضا مع الفلسطينيين، والإرهاب يتجول في ربوعنا حرا، وفي هذه الحالة، لا أدري ما الذي سيحدث".

سأل رابين، براك، ما الذي يقترحه عليه؟؟ فلم يتردد براك، وقال:" اقترح أن نتوقف، وأن نقول للجماهير الحقيقة الان، وليس في أيار ١٩٩٦، لان هذا التاريخ، سيكون قريبا جدا من الانتخابات، وسيبدو وكأنه مناورة، ولا شك أن الأمر لن يكون صعبا بالنسبة لك، نظرا للتاريخ العسكري الذي تحمله، أما بالنسبة لبيرس، فسوف يكون الأمر أصعب".

وأضاف.." يجب على الجماهير أن تفيق من حلم السلام السريع، ويجب عليك أن تقول لهم ذلك، أن تقول لهم: اعتمدوا علي، وأنك ستجلب لهم السلام في نهاية المطاف، بيد أن الأمور يجب أن تسير بصورة أبطأ، وأن تدافع عن أمن الدولة ولا تتخلى عنه، شريطة أن يكون الطريق طويلا وآمنا.

اقترح براك على رابين أن يعمل على إرجاء بدء مفاوضات التسوية الدائمة من أيار ١٩٩٦، إلى كانون الثاني ١٩٩٧، وقال له: ليس جيدا أن تبدأ المفاوضات قبل الانتخابات. إن هذه المفاوضات صعبة للغاية، ولا شك أن بدايتها ستشهد انفجارات، وهذه الانفجارات ستعكس نفسها على الانتخابات لذا ليس جيدا أن تبدأ المفاوضات قبل الانتخابات".

وتحدث براك عن ضرورة الوصول إلى الناخب الشاب، وجماهير المهاجرين الروس، وأكد ضرورة إعادة حاييم رامون إلى الحزب.

وافق رابين على غالبية مقترحات براك، أما بشأن القضية المركزية المتمثلة في تهدئة وتيرة المفاوضات ومخاطبة الجماهير فقد أصغى، ووعد بالتفكير في ذلك.

وفي نفس الليلة، سافر براك إلى نيويورك، حيث كان سيحل ضيف شرف، وخطيبا مركزيا على رابطة أصدقاء متحف المحرقة، في الولايات المتحدة وقد صحبه كيرن في رحلته.

وفي الرابع من تشرين الثاني، خرج الاثنان للتجول، ثم عادا في ساعات المساء، حيث دخل براك إلى غرفته لوضع اللمسات الأخيرة على الكلمة التي يعتزم إلقاءها، وفجأة دق جرس الهاتف، ومن الطرف الآخر جاءه صوت زوجته نافا: براك لقد أطلقوا النار على اسحق".

براك: أطلقوا النار على من؟؟

نافا: على اسحق، هل تصدق؟؟ وسمع براك البكاء في صوتها وهي تقول: أنا في الطريق إلى ليئا زوجته، فنحن لا ندري بعد ما حدث.

براك: وكيف حاله؟

نافا: لا أدري، إنه في الطريق إلى المستشفى، كما يبدو أهـم أطلقـوا عليـه النـار مـن مسدس. وما كاد ايهود بـراك يضـع السـماعة، حتـى دق جـرس الـهاتف، وجـاءه صوت داني يتوم-السكرتير العسـكري لرابـي، وصديـق بـراك الشـخصي:" ايـهود انتبه لقد أطلقوا النار على رابين، ثلاثة عيـارات مـن مسـافة قريبـة، والـذي أطلـق النار يهودي، الوضع صعب وخطير للغاية، وهو في طريقـه إلـى المستشـفى.

أخذ براك يدور في الغرفـة كأسـد سـجين، ويضـرب رأسـه بيـن الفينـة والأخرى متمتما: رابين؟ لماذا رابين؟ أنا لا أعرف الكثـير مـن النـاس الذيـن أطلقـت عليهم ثلاثة عيارات عن قرب ونجوا مـن المـوت.

فتح براك وكيرن التليفزيون وأخذا يراقبان بـث شـبكة(سـي إن إن) مـن تـل أبيب مباشرة،وفجأة شـاهد أحـد حـراس رابيـن الشـخصيين ينفجـر بالبكـاء، فقـال لكيرن: هذا هو، لقد قتـل رابيـن". وفـي نفـس اللحظـة دق جـرس الـهاتف، ومـن الطرف الآخر جاءه صوت يتوم قائلاً: لقد توفـي رابيـن، حـالاً سـيتم الإعـلان عـن ذلك، وقطع الاتصـال.

وفيما كان يفكر في الكلمات التـي سـمعها، ظـهر علـى شاشـة التليفزيـون وجه (ايتان هابر) أمام شاشة التليفزيون، وقال:" حكومـة إسـرائيل تعلـن بذهـول تـام ....".

وضع براك يديه على وجهه وقال لكـيرن: لمـاذا لـم تنجـح فـي مشـروع الحماية؟؟ لماذا لم تعد مجموعات لمرافقته وحمايته؟؟ لو أننـا فعلنـا ذلـك، لمـا نجـح القاتل في الاقتراب منـه.

اتصل براك (بليئا رابين)، التي عادت لتوهـا مـن المستشـفى تاركـة خلفـها جثمان زوجها:" (ليئا) قلبي يغص بالحزن والأسى، ونحـن نعيـش ألمـك".

فقالت: نعم، نعم أنا أعرف"، لقد بدا أنها لا زالت تحـت تـأثير الصدمـة.

ثم اتصل ببيرس:" شمعون لقد وقـع علـى رأسـك جبـل، العـبء كلـه الآن على كاهلك، وسنبذل كل ما في وسعنا لمساعدتك، (يوسـي بيليـن) هنـا فـي الفنـدق، وسنعود فوراً لمسـاعدتك".

بدا بيرس هائجاً، مسعوراً، وقال: سأعقد جلسة فورية للحكومة وستعد مراسيم الجنازة، ثم سنعمل على موازنة الوضع في إسرائيل".

وحال شيوع نبأ مقتل (رابين)، تدفقت قوات الأمن الأميركية إلى الفندق وأحاطت به، وأخذت تفتش الداخلين والخارجين. وقد أدرك (براك) أن الأمر لا يتعلق بإجراء أمني عابر، بل لقد تم بالترتيب مع جهاز الأمن العام الإسرائيلي، فقد خشي الجهاز أن تكون عملية الاغتيال جزءاً من انقلاب واسع في إسرائيل. وحتى (شمعون بيرس) الذي أصبح بمجرد وفاة رابين رئيساً للحكومة أخذ من قبل مسئولي جهاز الأمن العام رغم أنفه، ووضع في مكان آمن حتى تمر العاصفة. أما الأميركيون فقد احضروا (يوسي بيلين)، الذي كان هو الآخر ينزل في نفس الفندق، ووضعوه في جناح براك، وأغلقوا جميع مداخل ومخارج الجناح.

ولن ينسى براك طيلة حياته رحلة العودة إلى إسرائيل، فقد تجمع في الطائرة حشد كبير من الإسرائيليين والحزن يخيم عليهم، وبينهم (بيلين) و(براك). وفي طريقه طلب براك من يعكبتس أن يستوضح الوضع القانوني في أعقاب مقتل (رابين)؛ فاتصل (يعكبتس) بالمحامي (حاييم تصدوق)، الذي أوضح له أن الوضع القانوني الآن يتمثل في تعيين قائم بأعمال رئيس الحكومة، وتشكيل حكومة انتقالية، ثم إجراء انتخابات ...الخ.

وسأل يعكبتس: متى بالإمكان إجراء انتخابات". فقال المحامي: في غضون ستين يوماً. وحال هبوطه في المطار وجد براك بانتظاره زوجته ويعكبتس. الذي أعلمه بالوضع القانوني في أعقاب مقتل رابين.

أيد براك إجراء الانتخابات فوراً، وفي غضون شهرين. أو أقصى حد في غضون ثلاثة أشهر، للحصول على ثقة الشعب.

كانت العلاقة بين رابين وبين الملك الحسين وطيدة بشكل خاص. فقد عمل الحسين، الذي كان يقدر العسكريين جداً، على تنمية علاقات ثقة وتقارب فريدة من نوعها مع رابين. كان لديهما لغة مشتركة، وقضيا ساعات طويلة في

أحاديث خاصة. وكان الملك يثق برابين ويدرك أنه صاحب كلمة جادة، وفي إحدى اللحظات، قرر الملك أن يبرم مع رابين سلاماً حقيقياً وعلنياً.

وعندما تلقى الملك الحسين نبأ مقتل رابين، بلغ به الأسى والحزن الذروة. بل أن مقربيه لم يسبق لهم أن رأوه في مثل هذا الوضع من الحزن. لقد رفض تصديق النبأ، وأصيب بصدمة.

كان الحسين طيلة الوقت يخشى على حياته هو، فقد جرت عشرات المحاولات لا لاغتياله من قبل معارضيه المختلفين، بيد أنه تمكن في كل مرة، بطريقة أو أخرى، من النجاة، ولم يكن يعتقد أن بالإمكان وقوع حادث اغتيال في إسرائيل، وخصوصاً لاسحق رابين، رئيس الأركان المجيد، المولود في إسرائيل والذي يحظى بشعبية كبيرة، والشجاع، والمحبوب، والذي شق لأبناء شعبة طريق السلام.

وهاهي الرصاصات الثلاث التي أطلقها ييغال عمير تصيب منه مقتلاً، لقد شعر الحسين وكأنها أصابته هو، وأدرك أنه إذا كانت الرصاصات قد أصابت رابين، فإن أي شخص آخر قد يتعرض لها أيضاً، وأدرك أن الطريق إلى السلام، منذ الان، ستصبح أصعب.

وصلت العائلة الملكية إلى منزل ليئا رابين تحت حراسة متشددة جداً، وبينما وجد صعوبة بالغة في إخفاء دموعه، توجه الحسين إلى ليئا رابين وقبل وجنتيها، ثم جلس الملك والملكة في إحدى زوايا مكان الجلوس في الشقة الكبيرة، مرتبكين مهمومين، يراقبان ما يدور حولهما.

بدت ليئا تحت تأثير الصدمة، وكانت بين الفينة والأخرى تتمتم لنفسها ثلاثة عبارات، لقد أطلق عليه ثلاثة عيارات، وكان أحد المعزيين يتوجه إليها بين الفينة والأخرى ويهمس بشيء ما، وسط الأجواء الحزينة، أجواء الكارثة الثقيلة والصدمة والحزن العميق.

وفجأة لاحظت ليئا أن الملك والملكة جالسان في إحدى الزوايا مصدومين وخجلين، فقالت: " ليقدم لهم أحد شيئا ما يأكلانه"، فتذوق الملك والملكة

مما قدم لهما، في حين حاول براك ونافا التخفيف عنـــهما، قـــدر المســـتطاع. لقـــد بـــدا على وجه الملك، أن هذا الحادث كان أحد الأحداث القاســـية فـــي حياتـــه، وكـــان حزنـــه باديا للعيان، ويمسح بين لحظة وأخرى دموعه. لقد ثكـــل الحســـين أحـــد حلفائـــه واشـــد أصدقائه المقربيـــن.

قرر بيرس فـــي أعقـــاب مقتـــل رابيـــن أن يســـعى لتشـــكيل" حكومـــة ســـلام حقيقية" مثلما طلب منه أعضاء حزب ميرتس وأعضاء الكنيســـت مـــن اليســـار، وعـــدم إجراء انتخابات مبكرة وأمن بأن بمقـــدوره إحـــلال الســـلام، أو علـــى الأقـــل التوصـــل إلى اتفاق ما مع سورية قبل الانتخابات ولم يرغب فـــي أن يتـــم انتخابـــه رئيســـا علـــى دماء رابين المسفوحة. لقد حلم بشرق أوسط جديد، وحلـــم بلقـــاء درامـــي مـــع الرئيـــس الأسد، وحلم بالسلام الشامل والكلي. لقـــد اراد أن يفـــوز بالانتخابـــات لأول مـــرة فـــي حياته، بقواه الذاتيـــة، لـــذا لـــم يســـتطع الالـــتزام أمـــام المفـــدال، بتجميـــد المبـــادرات السياســـية.

كان براك يدرك في أعماقه أن قرار بيرس خـــاطئ- رغـــم أنـــه لـــم يجادلـــه. كانت هناك ضرورة لتشكيل حكومة جديـــدة، والســـؤال الـــذي كـــان يقـــض مضـــاجع ايهود براك هو: هل سيعينه بـــيرس وزيـــرا للدفـــاع، أم ســـيحتفظ بـــالمنصب لنفســـه؟ كان يبدو ظاهريا، أن تسليم ملـــف وزارة الدفـــاع إلـــى بـــراك، هـــو مســـألة طبيعيـــة، فبراك كان رئيسا للأركان، وبالتالي، فإن بمقدوره إعفاء بـــيرس مـــن عـــبء العمليـــات الإرهابية والجانب الأمني ويتيح له الفرصة لقيادة المســـيرة الســـلمية. وقـــد أيـــد عـــدد من أعضاء الكنيست، وعلى رأسهم عـــوزي برعـــام، الفكـــرة، كمـــا شـــرعت وســـائل الإعلام بالإشارة إليه، وأخذ مقربو بـــراك يتحدثـــون عنـــه، أمـــا بـــراك، فقـــد حـــاول الحفاظ على هدوئه التـــام.

وبعد عدة أيام مـــن الاغتيـــال، التقـــى بـــيرس وبـــراك فـــي مكتـــب رئيـــس الحكومة، وبدا بيرس منهمكا ومتوترا وحزينـــا، وقـــال لـــبراك :" لقـــد بقيـــت وحيـــدا، صدقني إنني افتقد اسحق جدا، لقد كنت على اســـتعداد للتخلـــي عـــن منصـــب رئيـــس الحكومة برضًا تام. لقد سلمت بشراكتنا، كنـــا نعيـــش فـــترة جيـــدة وتعاونـــا، وعملنـــا

معا، لقد تعلمنا كيف يقدر كل منا الآخر، وفجـــأة يحـــدث ذلـــك. فـــي أعقـــاب جميـــع النزاعات التي وقعت بيننا، وبعد جميع الرواسب، أدركنـــا أننـــا نســـتطيع، معـــا فقـــط، أن نجلب السلام، وأننا بحاجة أحدنا إلـــى الآخـــر.

والآن، لم يعد موجـــوداً. بعـــد عـــدة أيـــام ســـأعلن عـــن تشـــكيل الحكومـــة الجديدة، وقبل أن أعلن عنها أرغب في ســـماع رأيـــك".

كان براك يدرك أن بيرس لازال متردداً بشـــأن وزارة الدفـــاع، ولـــم يرغـــب في ممارسة ضغوط عليـــه، لانـــه آمـــن بأنـــه ســـيتخذ قـــراره بـــهذا الشـــأن لأســـباب موضوعية، فقال:" أنا أدرك جســـامة المســـئولية التـــي تتحملـــها، ولا أحســـدك عليـــها، ولا أعتزم ممارسة أي ضغوط عليـــك، وكـــل قـــرار تتخـــذه ســـأقبله، وزيـــر الدفـــاع، وزير الخارجية، لا، أجد غضاضة في ذلك، لكن قبـــل أن تتخـــذ قـــرارك أود أن أقـــول لك عدة أشـــياء.

ألمح براك خـــلال حديثـــه أن تســـليمه وزارة الدفـــاع، ســـيعتبر بالنســـبة لـــه بمثابة خطوة طبيعية جدا في ظل الأوضـــاع الحاليـــة، رغـــم أنـــه أكـــد قبولـــه للقـــرار الذي سيتخذه بيرس أيا كان."وقبل أن تتخذ قـــرارا: فكـــر فـــي الفـــترة التـــي ســـتخوض غمارها، ونحن ســـنخوض مرحلـــة قاســـية جـــدا، وســـتقع عمليـــات صعبـــة للغايـــة. وسترى حافلات تتفجر، وربما منازل تهوي فـــي عمليـــات (الإرهـــاب)، بـــل أن الامـــر لم يكن سهلا على اسحق، لقد مزقته العمليات، ومزقت قلبـــه، فـــي حيـــن كـــان أقـــوى منك على الصعيد الجماهيري في مواجهة هذه الأحـــداث. وأنـــا علـــى اســـتعداد لتحمـــل هذا العبء، ولدي الخلفية الأمنية المطلوبـــة، ولا أتـــردد للحظـــة فـــي الوقـــوف أمـــام الجماهير، في مثل هـــذا الوضـــع. والان الوضـــع رهـــن بـــك، فيمـــا إذا كنـــت تريـــد الاقتداء باسحق رابين، وتتسلم وزارة الدفاع، إلى جـــانب منصبـــك كرئيـــس للحكومـــة، أو تقتدي باسحق شـــامير وتكتفـــي بمنصبـــك كرئيـــس للحكومـــة، ولا شـــك أن هنـــاك ميزة في الاحتفاظ بوزارة الدفاع، حيـــث ســـيمكنك الإشـــراف دون وســـاطات الجـــهاز الأمني مما سيساعدك في تنفيذ الاتفاقيات مـــع الفلســـطينيين".

ومن الجانب الآخر لن تتمتع بالمزايـا التـي تمتـع بـها شـامير فـي حينـه، حيث لم يكن عليه الوقوف في وجه المسـتوطنين مثـلا.

لقد قال براك ما ينبغي قولـه، كـانت أحاسيسـه مختلطـة ومتضاربـة، فمـن ناحية، كان تواقا جدا لتولي منصب وزير الدفاع، فـي هـذا المنصـب، سـيجد نفسـه، لانه نما وترعرع في هذا المجال، ويعرف جميع خباياه، أضـف إلـى ذلـك، أن توليـه هذا المنصب، سيتيح له مواصلة بناء نفسـه علـى الصعيديـن السياسـي والجمـاهيري. ومن الناحية الأخرى. أدرك براك، أن المنصب قد يصبح بالنسـبة لـه مصيـدة قاتلـة، فهو يدرك أن الفترة القادمـة ستشـهد عمليـات انتحاريـة خطـيرة، وبوصفـه وزيـرا للدفاع، سيتوجب عليه أن يدفع الحساب، إزاء كـل مـا سـيحدث.

وفي نفس الوقت، كان براك يدرك أنه لـن يحظـى بمنصـب وزيـر للدفـاع، وأن بيرس سيتوق لهذا المنصب لانه يريـد الاقتـداء برابيـن، وارتـداء ردائـه، كـي يحظى بالتقدير الذي تاق إليه طيلـة حياتـه.

إن الرجل الذي أسهم أكبر الإسهامات فـي بنـاء أمـن إسـرائيل، يبـدو فـي نظر الإسرائيليين كسياسي ليـس إلا.

وقبل يوم من إعلان بيرس حكومته، قال لـبراك: أنـه يعـتزم تعيينـه وزيـرا للخارجية، فشكره براك، رغم الإحباط الذي شعر بـه، وقـال لـه: "أرجـو الا ينـدم أي منا على هذا التعييـن".

الفصل الخامس والعشرون

براك وزيرا للخارجية
أيهود بدا غرا سياسيا في مواجهة أحداث حساسة

قدم رئيس الحكومة شمعون بيرس حكومتـــه الجديـدة أمـام أعضـاء مركـز الحزب في قاعة" أوهل-شم" في تـل أبيـب وقـرأ أسـماء الـوزراء وسـط مظـاهر الحداد العميقة على اسحق رابين: بيلين وزيـر فـي مكتـب رئيـس الحكومـة، ايـهود براك وزير للخارجية حاييم رامون وزيـرا للداخليـة.

وفي نفس الليلة، أعلن مكتب رئيـس الحكومـة عـن تعييـن (أوري سـابير)- عراب اتفاقيات أوسلو،منسـقا أعلـى لمحادثـات السـلام، وخاضعـا مباشـرة لمكتـب رئيس الحكومـة.

بدأت الشائعات تفيـد بـأن أوري سـابير مطلـع علـى الأمـور أكـثر مـن رئيسه- ايهود براك، وأن الأمور بشأن اتفاقية السـلام، سـتمر عـبر سـابير وبـيرس، وتتجاوز براك، لذا عمد براك إلى قطع الشك باليقين، وطلـب مـن سـابير البقـاء فـي منصبه كمدير عام لوزارة الخارجية، واعـدا إيـاه بالتعـاون فيمـا بينـهما، وأنـه فـي حاجة إليه، في هذا المنصب، فوافق سابير علـى ذلـك.

وخلال المقابلة بينهما، قال له سابير: أود أن أوضح لـك شـيئا، أنـا سـأكون خاضعا لك ولرئيس الحكومة، وأعدك أنـك سـتكون أول مـن يطلـع علـى مجريـات الأمور. فوافق براك على أن يصدر هو، وليـس بـيرس كتـاب تعييـن سـابير منسـقا أعلى لمحادثات السلام. وهكذا، أكد بـراك، علـى الصعيـد الرمـزي، مسـئوليته عـن سابير، وعن المسيرة السلمية، رغم أن سابير كان في الحقيقة يعمـل مـع بـيرس.

وعاد براك للاجتماع ببيرس، وطلب هذه المـرة أن يطلـع علـى المعلومـات السرية، التي يزود بها الجهاز الأمنـي رئيـس الحكومـة، فوافـق بـيرس علـى ذلـك على أن يتلقى براك هذه المعلومات مباشرة من شـعبة الاسـتخبارات العسـكرية، كـي لا يخضع لرغبات مسئولي مكتـب بـيرس. وعـد بـيرس، بإطلاعـه علـى الصـورة بأكملها وأوفى بوعـده.

وخلال مراسيم تسليم براك وزارة الخارجية بـدا بـيرس حميمـا مـع بـراك، وسأله عن طبيعة الانتخابات التي سيتم إجراؤها، وسـأله بصـورة مفاجئـة: مـا رأيـك

أن تتولى الحملة الانتخابية"؟وهكذا ولـــدت فـــي هـــذه اللحظـــات الفكـــرة التـــي أثـــارت خلافات جمة بين براك وحاييم رامـــون.

لقد قبل بـــراك المهمـــة، وقـــال لبـــيرس: سأســـعد بذلـــك، وليســـت لـــدي أي مشكلة. بيد أنه اكتشف حال اقتراب موعد الانتخابات أن حاييم رامـــون قـــد تســـلم هـــذا المنصـــب.

لم تمض سوى ثلاثة أيام على توليه منصبـــه الجديـــد، حتـــى كـــان عليـــه أن يحضر مؤتمر برشلونه. وهي المهمـــة التـــي كـــانت تبـــدو مســـتحيلة. فـــالمؤتمر هـــو مبادرة من مبادرات الاتحاد الأوروبـــي، وهـــي ترمـــي إلـــى عقـــد لقـــاء بيـــن وزراء خارجيـــة حـــوض البحـــر المتوســـط: أوروبيـــن وعـــرب وإســـرائيليين ومســـيحيين ومسلمين ويهود. والمؤتمر هو أحد الأحداث العالميـــة النـــادرة، التـــي يمكـــن أن نعـــثر خلالها على وزراء خارجية من سورية ولبنان وإسرائيل حـــول طاولـــة واحـــدة، وهـــم جميعا يجلسون مع بعضهم البعض، متظاهرين بأن جميع الأمور علـــى مـــا يـــرام.

وقد أعلم مسئولو وزارة الخارجيـــة بـــراك، بـــأن الوزيـــر الســـابق- شـــمعون بيرس- كان يعكف على إعداد خطاب مؤتمـــر برشـــلونه اشـــهرا طويلـــة. فقـــد كـــان يعتبر هذا المؤتمر، بمثابة فرصة لا تعوض لدفع الشرق الأوســـط إلـــى الأمـــام باتجـــاه الشـــرق الأوســـط الجديـــد، ولإقامـــة اتصـــالات مـــع وزيـــري الخارجيـــة الســـوري واللبنـــاني.

كان براك غرا جاهلا في الشئون الخارجيـــة، والدبلوماســـية- ولـــم يـــدر مـــا الذي يجري الحديث حوله وكيف ولمـــاذا ورغـــم ذلـــك قـــرر أن يمثـــل إســـرائيل فـــي المؤتمـــر.

وحال توليه منصبه عقد براك اجتماعـــا لكبـــار مســـئولي الـــوزارة حضـــره: أوري سابير المدير العام، ونائبه ايتـــان بـــن تســـور، ومديـــر شـــعبة أوروبـــا ميكـــي بابلي، وسرعان ما تلاشت الشكوك التي كانت تمـــلأ قلـــوب هـــؤلاء المســـئولين تجـــاه قدرة بـــراك.

وفي برشلونه قابل ايهود براك ياسر عرفات لأول مرة. لقد تعرف على عرفات قبل ذلك عبر عمله كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية. وخلال المفاوضات، كان أمنون شاحك هو الذي يحتك بالفلسطينيين، أما براك فقد حافظ على بعد معين من عرفات.

دعا ملك إسبانيا جميع وزراء الخارجية إلى مقره لحضور حفل استقبال لهم. وقد قدم جميع الوزراء في السيارات المعدة، باستثناء اثنين، قدما في سيارات مصفحة، وتحت حماية مشددة: عرفات وبراك.

كان القصر لا يزال خاليا من الضيوف عندما وصل براك، فتجول في جنباته متأملا الصور المعلقة، وفجأة شاهد بيانو في إحدى زوايا القاعة وبدأ يعزف. وفجأة، لاحظ أن حارسه الشخصي يبدي عدم ارتياح، فسأله عن الأمر، فقال الحارس: يجب أن تدرك أن عرفات سيصل إلى القاعة بعد قليل. وقبل أن يكمل الحارس كلامه، كان عرفات يقف إلى جوار البيانو.

ألقى عرفات السلام، وقال: لقد سمعت عنك الكثير، وأنا سعيد بلقائك، وآمل أن تتاح لنا فرصة للحوار.

صافح براك عرفات وقال: أنا أيضا سمعت عنك الكثير، وقبل زمن طويل من استقبالك في القصور الأوروبية، لقد تتبعتك كعسكري وكرئيس لجهاز المخابرات. وأنا سعيد للقائك في الوقت الذي أصبح كل شيء وراء ظهورنا، ورغم أنني أدرك أن أمامنا خلافات صعبة، ولحظات قاسية.

حاول براك طيلة الجلسات إجراء اتصال مع وزير الخارجية السوري، دون جدوى، فقد كان الشرع يتهرب منه ويتجاهله، ويحرص على عدم إجراء أي اتصال مباشر معه، وكان وزير الخارجية الهولندي يتولى أعمال الوساطة بنيهما.
جرى اللقاء الأول بين براك وعرفات في جناح عرفات. وقد جرت اللقاءات التمهيدية للمقابلة بين مساعدي براك، وعرفات، وعلى رأسهم مروان كنفاني. وقد وصل براك إليها بصحبة كيرن، ويعكبتس وايتان بن تسور، في حين أحيط عرفات بمساعديه ومن بينهم أبو مازن وكنفاني.

وخلال اللقاء الذي استغرق حوالي ثلاث ساعات، عقد عرفات وبراك اجتماعا مغلقا استغرق حوالي ساعة. وفي حوالي الساعة الخامسة صباحا عقد الاثنان مؤتمرا صحفيا. لقد اتضح لبراك أن (الشيطان) لم يكن سيئا إلى هذا الحد الكبير، الذي كان يظنه.

لقد بلغ براك الذروة خلال مؤتمر برشلونه عندما ألقى كلمته الختامية أمام الحضور، فقد وجه نظرة مباشرة إلى وزير الخارجية السوري، ودعاه إلى استئناف الحوار بين الدولتين، وأن يتحدث معه بصورة مباشرة، ودون أي شروط مسبقة. حول السلام، وأن يوقف الدائرة الدموية، وقال: "إسرائيل تمد يد السلام إليكم".

شهدت فترة خدمة براك في وزارة الخارجية عدة قضايا مثيرة، من بينها، افتتاح مكتب المصالح التونسي. وقد أدار براك المحادثات مع وزير الخارجية التونسي الحبيب بن يحي، بوساطة أميركية فاعلة. وفي كانون الأول ١٩٩٥، وإبان الزيارة الرسمية التي قام بها إلى بودابست، اجتمع براك مع بن يحي. وقد عقد الاجتماع في جناح براك في فندق(فوروم) في العاصمة الهنغارية، وتم خلاله الاتفاق على عملية فتح ممثليات متبادلة، والاتفاق على توقيع الاتفاق خلال شهر كانون الثاني في واشنطن.

وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٩٩٦ استضاف وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر وزيري الخارجية الإسرائيلي والتونسي.

كانت الوثائق معدة سلفا، ومن الواضح للطرفين أن الاجتماع هو اجتماع مراسيم رمزي، سيوقع الوزيران في نهايته على الاتفاق، ويتصافحان أمام عدسات أجهزة التصوير.

وعندما جاء دور بن يحي لإلقاء كلمته، كاد الحاضرون أن يغمى عليهم، فقد فتح بن يحي المفاوضات من جديد، وكأنه لم تجر طيلة اشهر مناقشات واتصالات، وكأن سيئا لم يحدد سلفا، وتحدث عن شهر رمضان وعن الصيام، وعن المشاكل العديدة التي تحول دون فتح المكتب التونسي في تل أبيب.

لقد تم الاتفاق على أن يفتتح البلدان ممثلين في آن واحد، بيد أن بن يحي قال في حقيقة الامر: أن بلاده لا تستطيع فتح المكتب في تل أبيب، أو بمعنى آخر قال: هناك صفقة متفق عليها، لكن لا توجد بضائع للتبادل.

وفي ساعات ما بعد الظهر، بدأ روس أعمال الوساطة بين الطرفين، وفي نهايتها تم التوصل إلى تسوية، تنص على استكمال الطرفين الإجراءات الخاصة بفتح المكتبين حتى الخامس عشر من نيسان.

أوفت إسرائيل بتعهدها، وقام ممثلها بفتح المكتب الإسرائيلي في تونس في الخامس عشر من نيسان، في حين تأخرت تونس في فتحه، ولم يصل ممثلها إلى إسرائيل الا بعد حوالي شهر من الموعد المذكور. وتم فتح المكتب في نهاية المطاف قبل وقت قصير من الانتخابات الإسرائيلية، التي جرت في التاسع والعشرين من أيار ١٩٩٦.

وفي الثامن من أيار – ثلاثة أسابيع قبل الانتخابات الإسرائيلية- استضاف براك في جناحه في واشنطن وزير الخارجية العماني يوسف بن علوي. وقد أعرب بن علوي عن قلقه على الرئيس السوري حافظ الأسد، وقال أنه مريض ويتعاطى كمية كبيرة من (الكورتيزون)، وأن ذاكرته بدأت تخونه، وفي لحظة ما، سينسى كل شيء، وتذهب جميع تفاهماتكم معهم أدراج الرياح[٤].

تواصلت الاتصالات الإسرائيلية في تلك الآونة مع الكويت والبحرين. وعلى عكس سلطنة عمان وقطر – اللتين أقامتا علاقات مباشرة مع حكومة اسحق رابين وبيرس- فقد فضلت الكويت والبحرين إقامة علاقات سرية.

وكان هناك على جداول الأعمال لقاء محتمل بين براك وولي العهد البحريني، إضافة إلى العديد من اللقاءات التي أجراها ممثلو هاتين الدولتين مع ممثلين إسرائيليي

الفصل السادس والعشــــرون

-الصراع على الرئاسة-

العمليات الانتحارية تمزق شعبة بيرس

وتمهد الطريق أمام براك لزعامة حزب العمل

منذ أن خسر براك قيادة الحملة الانتخابية لصالح حاييم رامون، وهو يشعر بعدم الارتياح للتصورات الانتخابية الحزبية، لقد اعتقد أن من الضروري مهاجمة نتنياهو جبهويا، قبل أن يحظى بانتشار جماهيري.

وفجأة، بدأت العمليات الانتحارية التي شنتها حركة حماس في قلب إسرائيل، وقد تمكنت أول هذه العمليات من تدمير حافلة على (خط ١٨) في القدس. وأسفرت عن مقتل، وجرح عشرات الأشخاص، وأخذت الصحف ووسائل الإعلام تنشر صور الرعب على صفحاتها الأولى.

بدا شمعون بيرس مهموما، إثر الحادث، وقد اتصل به براك قبل أن يغادر بيته إلى مكتبه، وطلب منه عدم الذهاب إلى مكان الحادث، وقال له : "شمعون لا يوجد ما يجب عليك أن تذهب من أجله، فحتى إسحق رابين، ما كان ليذهب إلى هناك في مثل هذه الحالات ولأنه إذا ما ذهبت الآن، فسوف تحدد نمطا يصعب عليك، في المستقبل عدم العمل به، وأول ما يجب عليك عمله، هو تجميد المحادثات السياسية حتى إشعار آخر، وأن تفعل ذلك الآن فورا، وقبل أن تفحص أو تدرس شيئا، فنحن لا نتحدث عن السلام في الوقت الذي تقع في العمليات الانتحارية، فالجماهير لن تتحمل إجراء مفاوضات، في الوقت الذي تتناثر فيه الجثث اليهودية، يجب أن تعقد اجتماعا طارئا لجميع الجهات الأمنية، وأن تعطي انطباعا بوجود حالة طوارئ، وتعلن عن إغلاق المناطق، وتتخذ خطوات أخرى لإعطاء الجماهير انطباعا، بأنك تعالج القضية".

لم يقبل بيرس الاقتراحات التي قدمها إليه براك، وذهب صبيحة نفس اليوم، إلى مكان العملية، وقد كانت هناك حاجة لتخصيص قوة أمن كبيرة جدا، للفصل بينه وبين المتظاهرين الهائجين، الذين أطلقوا الشعارات المعادية والشاحبة لشمعون بيرس.

وقد اختلق شمعون بيرس آنذاك المقولة المعروفة : "سنواصل السلام وكأن الإرهاب غير موجود أو سنحارب الإرهاب وكأن السلام غير قائم".

كان بيرس يصـــر علـــى مواصلـــة المســـيرة الســـلمية وعـــدم منـــح حمـــاس جائزة، وعدم صب الحب في طاحونة الإرهاب بتجميـــد المســـيرة الســـلمية.

وبعد أن أفاق بيرس من الصدمـــة، أمـــر كبـــار وزرائـــه بـــأن يعـــدوا خطـــة فصل عن الفلسطينيين فقد كان يدرك أن عليه إقنـــاع الجمـــاهير الإســـرائيلية بـــأن لديـــه حلا، لقد كان يعارض طيلة حياته، الفصل عن الفلســـطينيين ويؤمـــن بدمـــج الأجـــهزة وبالتعاون في "الشرق الأوســـط الجديـــد" أمـــا الآن- وأمـــام الجثـــث الممزقـــة، وتدنـــي شخصيته في نسب اســـتطلاعات الـــرأي العـــام، فقـــد أدرك أن عليـــه تغييـــر اتجاهـــه، فطلب من ايهود براك جمع الوزراء، وعرض خطـــة فصـــل.

وقعت العملية الانتحارية الأولى، يـــوم الأحـــد الموافـــق الخـــامس والعشـــرين من شباط ١٩٩٦، وفي الثـــاني مـــن آذار ١٩٩٦، عقـــد بـــراك اجتماعـــا فـــي مكتبـــه حضره حاييم رامون وبنيامين بن اليعـــيزر ويوســـي ســـريد وموشـــيه شـــاحل ويوســـي بيلين ، وقد احضر وزير الداخلية شاحل- الذي كان أحـــد أشـــد أنصـــار الفصـــل بيـــن إسرائيل والفلسطينيين- خطة فصل متكاملة ومطبوعة وتنتظـــر فقـــط التوقيـــع، بيـــد أن الحاضرين رفضوها رفضا مطلقا، فلـــم يكـــن أي منـــهم علـــى اســـتعداد لمنـــح شـــاحل شرف القول بأنه تنبأ بما سيحدث وأعد العـــدة لمواجهتـــه.

وفي نهاية الجدل الـــذي نشـــب بيـــن الحـــاضرين، تـــم الاتفـــاق علـــى قيـــام المجموعة، ببلورة خطة فصل مفصلة يتم حفظها ســـرا، وفـــي صبيحـــة اليـــوم الثـــاني يعقد شمعون بيرس اجتماعـــا للحكومـــة، ويتـــم إبعـــاد الصحفييـــن والتعتيـــم بصـــورة متكاملة على النقاشات، وتتواصـــل الاجتماعـــات والنقاشـــات حتـــى ســـاعات المســـاء، دون تسريب أي شيء، ثم يعقد بيرس مؤتمرا صحفيا، يعلـــن فيـــه عـــن الفصـــل بيـــن الجانبين، كحل للإرهاب، وتعلن الحكومة أنـــها تـــأمل فـــي علاقـــة حســـن جـــوار مـــع الفلسطينيين، بيد أنها معنية بالفصل التام بيـــن الجمـــاهير.

ويقوم بيرس بتعيين طاقم وزاري لتطبيق الخطة، فـــي أســـرع وقـــت ممكـــن، مما سيؤدي إلى تهدئة روع الجماهير، وعودة بيرس للســـيطرة علـــى الوضـــع.

كان الاعتقاد السائد، أنه لن نقع أي عمليات أخرى حتى الانتخابات، كما أن خطة الفصل ستكون بمثابة مهدئ فعال، يساعد بيرس في إعادة تحسين وضعه، وقد سأل الوزير بن اليعيزر : ما الذي سيحدث إذا ما عارض عرفات هذه الخطة؟ فقال براك يجب أن نعد بندا مناسبا للرد على هذا الرفض في الخطة نفسها، وفعلا تم صياغة بند ينص على أن "تنفيذ خطة الفصل سيأتي متوافقا مع جميع الاتفاقيات التي وقعت عليها إسرائيل، بما فيها اتفاقيات أوسلو.

وفي حوالي الساعة الثالثة صباحا، تمت بلورة خطة الفصل التي يجب على حكومة إسرائيل أن تصادق عليها، على النحو التالي :

١- أن العمل من أجل بلورة واقع تعايش سلمي بأمن وسلام بين إسرائيل والفلسطينيين يجعل الحكومة تتخذ قرارا ينص على العمل للفصل بين الجماهير الإسرائيلية والفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٢- على طول مساحات الفصل، ولغرض الرقابة والسيطرة على وسائط النقل، والمشاة والبضائع العابرة من الضفة الغربية وغزة إلى إسرائيل والعكس، يتم إقامة معابر منظمة.

٣- ضمان صورة مناسبة لعبور وسائط النقل والبضائع وفقا للتصاريح الخاصة بذلك.

٤- بذل الجهود للحيلولة دون الدخول غير المشروع لوسائط النقل، والأشخاص من المناطق الواقعة بين المعابر.

٥- تعزيز الوضع الأمني في القدس عبر تعزيز الجهات الاستخبارية وتعزيز الشرطة في المدينة.

٦- المصادقة على ميزانية لتنفيذ القرار بقيمة ٢٤٧ مليون شيكل على سنتين، ويقوم رئيس الحكومة ووزير المالية ووزير الداخلية، بتحديد مصادر التمويل.

٧- يتم تنفيذ القرارات المذكورة مع احترام الاتفاقيات الدولية التي وقعت عليها إسرائيل بما فيها اتفاقيات أوسلو.

٨- يقوم وزير الأمن الداخلـــي، وبالتنســـــيق مـــع الجـهات المختصـــة بـــالعمل على تنفيذ القـــرار.

وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف، توجه بـــراك إلـــى مـــنزل بـــيرس، الـــذي قرأ الخطة ووافق عليها، ثم أخذها براك بعد أن أعلمه بمـــا ســـيتم غـــدا خـــلال جلســـة الحكومة، وتوجه إلى فندقه في القدس، واســـتلقى ليـــأخذ قسـطا مـــن النـــوم قبـــل بـــدء جلسة الحكومـــة.

ما كاد براك يغمض عينيه، حتى ســـمع صـــوت انفجـــار كبـــير فـــي مركـــز المدينة، لقد وقع انفجار اخر بعد أســـبوع بـــالضبط مـــن الحـــادث الأول، وفـــي نفـــس حافلات الخط ١٨ ومرة أخرى، في ساعات الصباح البـــاكر، ومـــرة أخـــرى عشـــرات القتلى والجرحى وأعضـــاء بشـــرية متنـــاثرة، وهيجـــان جمـــاهيري وغضـــب عـــارم، قوض الانفجار الثاني نظرية بيرس حـــول إمكانيـــة الســـير إلـــى الأمـــام، وأدرك أنـــه يخوض حربا، ويجب أن يزيل القفازات من يديـــه، لـــذا أمـــر بفـــرض الإغـــلاق التـــام على الضفة وغـــزة، لقـــد أدرك أن المنظمـــات المتطرفـــة، تســـعى لإهـــارة حكومتـــه وتخريب المسيرة السلمية، في الوقت الـــذي وقـــف عـــاجزا دون حـــول أو قـــوة، فيمـــا الكوارث تتوالى فوق رأســـه.

عرض شارون اقتراحا على بـــيرس بيـــن الانفجـــارين، ينـــص علـــى توليتـــه وزارة الدفاع، كانت الفكرة مثيرة للاهتمـــام، أن يتـــم تشـــكيل حكومـــة وحـــدة وطنيـــة إزاء الوضع الأمني المتدهور، ويقوم شارون، عـــبر وزارة الدفـــاع، بمعالجـــة الوضـــع الأمنـــي.

وقد سأل احد الأشـــخاص المشـــاركين فـــي الاتصـــالات الســـرية شـــارون : وماذا نفعل مع نتنياهو؟؟ فقال شارون : دعوه لي، أنا ســـأتدبر الأمـــور معـــه.

استدعى بيرس ايهود بـــراك، وقـــال لـــه : شـــارون اقـــترح أن نوليـــه وزارة الدفاع، خذ يوسي بيلين وحاييم رامون، وتشاورا، وعودوا إلـــي بعـــد الظـــهر بـــآرائكم. طرح بيلين مزايا وعيوب ضم شارون إلى الحكومـــة كوزيـــر للدفـــاع، فوجـــد الثلاثـــة ان العيوب أكثر من المزايا، وجاء ردهـــم ســـلبيا.

وبينما الإسرائيليون لا زالوا يلعقون جراحــهم وقــع الحــادث الثــالث، والــذي كان أشد وأخطر من الحادثين السابقين، فقد وصل الانتحــاري هــذه المــرة إلــى قلــب تل أبيب، وفي شارع ديزنغوف عشية عيد المساخر، وبــدا أن الرعــب والفــزع الــذي أخذ بتلابيب الجماهير الإسرائيلية هو أكبر من القــدرة علــى التحمــل.

اتصل يوسي بيلين بايهود براك، وقال لــه : تعــال نجلــس مــرة أخــرى أنــا وأنت وحاييم رمون لنتدارس الأمر من جديــد، وألمــح إلــى أنــه يرغــب فــي إعــادة النظر بقضية تعيين شارون وزيــرا للدفــاع.

اتصل براك بجيورا عيني، وقال له : إن يوســي يقــترح عليــه الاجتمــاع بــه هو وحاييم رمون، فسأله عيني، هل بــيرس يعــرف بذلــك؟؟ فقــال بــراك "لا، إنــه لا يعرف"، فنصحه عيني بعدم الذهاب قائلا : تخيــل أن بــيرس ســيعلم أنكــم تجتمعــون من وراء ظهره، وسيفكر بما ســتقولونه وحدكــم".

أخذت الجماهير تتجمع في مظاهرات عضويــة وهــي تصــرخ بمــلء الفــم : لا نريد سلاما، نريد حربــا.

اتصل بيرس ببراك، وقال له أنه يريــد أن يــراه علــى انفــراد، فذهــب إليــه براك، وبدا أن هناك اتهاما يحلق في جو الغرفة، ويتعلــق بعــدم تعييــن بــيرس لــبراك وزيرا للدفاع، وبدا أن بيرس نادم على ذلك، بيــد أن الأوان كــان قــد فــات، لقــد فقــد بيرس مرة واحدة، المكانة والإجماع الكبــير الــذي التــف حولــه فــي أعقــاب مقتــل رابين.

لقد حطمت الانفجــارات الشــعور بالســلام والأمــن، وحولــت بــيرس بيــن عشية وضحاها إلى عدو الجمــاهير.

انضم إلى المقابلة رئيس الأركــان ورئيــس شــعبة الاســتخبارات العســكرية وضباط آخرون، وحاولوا بلورة خطة، أمنية ما، كان مــن الواضــح للجميــع ضــرورة عمل شيء ما، لكن لا يوجد من يدري مــا هــو.

وفي حوالي الساعة الخامسة والنصــف، عقــدت الحكومــة جلســتها، ونقلــت شبكات التلفزيون في بث حي الأحداث الدرامية التــي تحــدث.

فجأة بدأت أجهزة الإرسال الموجودة بحوزة عدد من الصحفيين في إصدار ذبذبتها، وأفادت أن حاييم رامون وبراك ويوسي بيلين عقدوا اجتماعا في مكتب رامون، وخططوا لمؤامرة ضد بيرس، يجبرونه خلالها، على تعيين براك وزيرا للدفاع، فسارع المراسلون إلى بث هذا النبأ على الهواء مباشرة، مما أشاع جوا من الثورة والتمرد والانقلاب داخل الحكومة الإسرائيلية.

قدم آفي بينهو، مستشار رئيس الحكومة لشئون الإعلام وهمس في اذان بيرس بالنبأ الشائع، فالتفت بيرس إلى براك، وقال بغضب : ما هذا؟؟

- براك : لا توجد لدي أي فكرة عما تتحدث عنه.
- بيرس: إذا أخرج إلى الصحفيين وكذب النبأ..
- براك : لقد سمعته لتوي، قل لمن سربه أن يكذبه لا علاقة لي به أبدا.

لم يدرك براك بوصفه غرا سياسيا حقيقة ما يحدث، لم يدرك أن من سرب النبأ يقصد الإيحاء إلى بيرس بأن براك يسعى للإطاحة به.

وفي النهاية خرج بينهو إلى الصحفيين وأكد أن الخبر عار عن الصحة تماما.

كانت الأيام التي تلت الانفجارات الثلاثة شديدة المرارة، فقد قام الجهاز الأمني الإسرائيلي بأمر مباشر من بيرس بتشديد قبضته على الفلسطينيين، واصبح الإغلاق محكما، ووصل الوضع في الضفة إلى حافة الجوع. بدأت العملية الانتخابية تدخل مرحلة سريعة جدا، وعاد براك للمطالبة باتحاد إجراءات متشددة في مواجهة نتنياهو، لقد أقلقه الخط المعتدل الذي انتهجه مسئولو الحملة الانتخابية.

وفي الحادي عشر من نيسان، شن الجيش الإسرائيلي حرب "عناقيد الغضب"، على أرضية قيام حزب الله بقصف مستوطنات الشمال بالكاتيوشا كانت تلك الحرب شبيهة بحرب "يوم الحساب" التي قادها براك، إبان توليه منصب رئاسة الأركان.

وعادت المناظر المألوفة إلى الظهور، من جديد، طائرات سلاح الجو الإسرائيلي تهاجم القرى اللبنانية، وآلاف اللاجئين يتدفقون شمالا، والحكومة اللبنانية تستغيث طلبا للنجدة، ودول العالم تشجب إسرائيل.

بيد أن العملية انهارت في أعقاب قيام الجيش الإسرائيلي بقصف معسكر الأمم المتحدة في قرية (قانا) ومقتل مائة شخص من اللاجئين، وإصابة العشرات بجراح، وهكذا، شاهد بيرس مرة أخرى عمله يذهب أدراج الرياح، وفقدت إسرائيل مبرراتها لشن الحرب على الصعيد العالمي، كما فقد بيرس أصوات الناخبين العرب في إسرائيل.

ورغم ذلك، أمل أن يكون نجح في تحسين صورته الأمنية، حيث أخذ يتجول، إبان الحرب وبين وحدات الجيش، وهو يرتدي سترة عسكرية زرقاء، وكان يأمل أن يحظى بفترة راحة من العمليات، لأنه كان يدرك أن الانفجار القادم سيقضي على أي فرصة أخرى بالفوز في الانتخابات.

وفي الثامن والعشرين من أيار، أي قبل يوم واحد من التوجه إلى صناديق الاقتراع توجه براك إلى (بني براك) واجتمع هناك مع مقربي الحاخام أليشيب كبير الحاخامات الحراديم وقال لهم : لقد أتيت إليكم نظيف اليدين، غدا الانتخابات وبالتالي لا أستطيع أن اكسب شيئا من هذه الزيارة، بيد أنني أؤكد بها على أن بيننا حوارا، وآمل أن يتواصل بعد الانتخابات. وظهر نفس اليوم وصل بعكبتس الى مكتب براك في تل أبيب، وأحضر معه نتائج الاستطلاع الذي أجراه (حانوخ سميث) الليلة الماضية، وكانت النتائج تشير الى أن نتنياهو حصل على ٥١,١% في حين حصل بيرس على ٤٨,٥% كان هذا الاستطلاع أول استطلاع لمكتب براك الذي يشير الى فوز نتنياهو، وقد حدث ذلك عشية الانتخابات.

وصل براك الى مركز الحملة الانتخابية الذي يديره حزب العمل، وبدلا من أن يجد عملا منظما وجد كومة من الناس، غالبيتهم قدموا لقتل الوقت. وفي داخل المكتب الرئيسي، بدا (موشيه شاحل) رئيس يوم الانتخابات وكأنه نصف نائم، في حين كان بيرس يتصل بصورة نصف هستيرية برؤساء البلديات

والمجالس المحلية العربية، في محاولة لدفعهم للتصويت، كانت التقارير تشير الى وجود نسب ضئيلة من المصوتين العرب، مما يعني هزيمة ساحقة لبيرس، لقد وصلت حالة اليأس ببيرس إلى الدرجة التي جعلته يتصل بالعرب الذين يعرفهم، وكاد أن يتوسل إليهم لإنقاذه.

عاد براك الى فندقه، فقد أدرك أنه لم يعد هناك ما يمكن عمله، وهناك شاهد ، مع كورن وبعكبتس، النموذج الانتخابي للقناة الأولى والثانية، واللذين أكدا على تفوق طفيف لبيرس.

توجه براك الى مركز الحملة الانتخابية فوجد زعامة الحزب كلها هناك، سعداء بالنتائج التي عرضها التلفزيون، وفي حوالي منتصف الليل بدأ الفارق بين الاثنين يتقلص.

ذهب براك للنوم، وفي الساعة الخامسة والنصف، وصل الى الفندق روني بوندي، وقال له لم يعد هناك أي أمل لقد فاز نتنياهو.

وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا اجتمع براك مع بن اليعيزر وشوحط لتناول وجبة الإفطار كانت الأجواء صعبة للغاية، ووجوه الزعماء الثلاثة عابسة، وفجأة قال شوحط وبن اليعيزر، "براك، لقد انتهى الأمر، يجب أن تمسك بزمام الأمور"، كان الاثنان يدركان معنى الهزيمة التي مني بها بيرس، إن الهزيمة تعني أنه انتهى، والأمور لن تسير دون نضال "جميع العيون سترنو إليك ويجب عليك ان تأخذ الأمور، بيديك، ويجب أن تدرس أيضا إمكانية تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، أدرس ما الذي يفكر فيه نتنياهو بهذا الصدد".

وهكذا تشكل التحالف الأول بعد الانتخابات بين ايهود براك وبن اليعيزر وشوحط، وقد وقفا الى جانبه في المسيرة التي قادته الى رئاسة الحزب.

عقد اللقاء الجدي الأول بين بيرس وبراك بعد أسبوع من الانتخابات في منزل بيرس، وقد استهل بيرس الحديث قائلا : ايهود أنا أدرك مغزى ما حدث، سنضطر للامساك بالأعنة وقيادة الحزب في مواجهة نتنياهو، أما أنا فسأجد ما أفعله، لا أعتزم البقاء في البيت، سأحاول مواصلة العمل من اجل السلام، وأمل

أن تنجح في معالجة نتنياهو، إن هذا الرجل لا يفقه شيئا مما يفعل، وسرعان ما سيجد نفسه خاضعا لشارون الذي سيتحول الى أقوى شخصية في الحكومة، لقد جلب له ارئيل شارون أصوات الحراديم، لذا فإنه مدين له بالفوز، وأنا، رغم ذلك، أتوقع له أن يتحطم.

فقال براك : بيرس، أنت مخطئ، أنت تعرف ارئيل شارون، والجهاز القديم للعمل، أما أنا فأعرف القانون الجديد والانتخاب المباشر، لقد قرأت عنه بصورة موسعة، وكذلك نتنياهو يعرفه حقا نتنياهو لا يتمتع بخبرة على صعيد إدارة الدولة، لكن لديه قدرة جيدة على صعيد استخدام القوة الممنوحة له شرعيا ولا أعتقد أن شارون أو أي جهة أخرى تستطيع إيقافه، فالقانون يمنحه قوة غير محدودة بل إن نتنياهو سيحاول بادئ ذي بدء، إبعاد شارون نظرا لكونه قويا.

عاد بيرس الى الوضع الحزبي، فقال : أنا أدرك مغزى ما حدث، وسأنقل إليك عصا القيادة يجب العثور على أسلوب لنقلها إليك بسرعة، وسأعمل على تقديم جميع المساعدات التي تطلبها مني.

عاد براك الى منزله، في ساعات الفجر الأولى وقال لزوجته : تبدو الأمور جيدة جدا فهو يعتزم نقل القيادة لي بإرادته الحرة بيد أن زوجته رفضت تصديق ذلك.

وبعد عدة أيام اجتمع براك بعدد من مقربيه فاتضح له أن بيرس تراجع عن فكرة تسليمه زمام الأمور، وأنه بدأ يتحدث عن إرجاء الانتخابات التمهيدية الداخلية (البرايمرز) لرئاسة الحزب، وعن ضرورة العمل على ترميم الحزب، والانضمام الى حكومة وحدة وطنية، لقد أدرك براك، أن بيرس لن يترك منصبه بإرادته ويجب أن يريه الطريق.

اجتمع عضو الكنيست دان مريدور ليكود قبل يوم واحد من الانتخابات بنتنياهو، وقال له : إذا فزت غدا يجب أن تشكل حكومة وحدة وطنية فوافق نتنياهو.

وفي صبيحة يوم الفوز استدعي نتنياهو مريدور وقال له : اذهب الى براك وتحدث معه حول تشكيل حكومة وحدة وطنية فسأله مريدور، فيما إذا كان جادا؟؟ فقال نتنياهو أنا جاد جدا، تحدثوا حاليا حول الشروط والنية، لكن ليس عن الوزارات. اجتمع مريدور ببراك وبعد أن حصل براك على موافقة متحفظة من بيرس وناقش صورة تشكيل حكومته وحدة وطنية وبنيتها واتفقا على أن تكون مختلفة عن حكومة الوحدة الوطنية السابقة.

عاد مريدور الى نتنياهو وأعلمه بالتقدم الذي حدث على صعيد مباحثاته مع براك فقال له نتنياهو : "جميل واصل التفاوض"، وقد اجتمع مريدور، بهذا الخصوص، مع شوحط وبيلين وحينما عاد الى نتنياهو أبدى حماسا بالغا لما آلت اليه الأمور.

وبعد حوالي أسبوع، اكتشف مريدور، أنه يدور في حلقة مفرغة، فقد كاد نتنياهو يستكمل تشكيل حكومته، دون أن يشير الى حزب العمل، واتضح له أن نتنياهو كان يستغله في عملية تضليل لأشغال حزب العمل، ولم يفكر أبدا في تشكيل حكومة وحدة وطنية.

اجتمع براك وبيرس عدة مرات في محاولة لتحديد تاريخ متفق عليه لانتخاب رئيس للحزب ولبلورة الإجراءات وفي نهاية هذه الاجتماعات بقي بيرس جريحا ومهانا، وهو منذ ذلك اليوم يحتقر براك، ويرفض سماع اسمه، ترى ما الذي حدث خلال هذه اللقاءات؟؟

حاول بيرس في البداية، المساومة على تاريخ لانتخاب رئيس الحزب الجديد، وذكر عام ١٩٩٩ ثم تراجع الى كانون الثاني ١٩٩٨، بيد أن براك وانطلاقا من القوة، أفهمه أنه لا يوجد ما يمكن الحديث حوله، هناك قانون للحزب، وسنعمل وفقا له، يجب أن نعيد ترميم الحزب ولا وقت لدينا.

وفي نهاية المطاف تم الاتفاق على انتخابات داخلية مبكرة في الثالث من حزيران ١٩٩٧.

ثم نشب جدل جديد، تم الاتفاق في نهايته على أن تحدد فترة انتقالية بعد الانتخابات يكون هناك الحق للرئيس القديم وبالتشاور مع الرئيس الجديد، اختيار الوزراء الذين سيشاركون في حكومة الوحدة الوطنية إذا ما تشكلت مثل هذه الحكومة.

لقد التقى بيرس وبراك لإجمال الإجراءات والاتفاق عليها، ويطلق المطلعون على خفايا تلك المقابلة اسم (المحادثة الصعبة)، وهي التي تركت بيرس جريحا حتى اليوم.

طالب بيرس إن تمتد الفترة الانتقالية انفة الذكر لمدة ستة أشهر، من شهر حزيران موعد انتخاب الرئيس الجديد، وحتى كانون الأول بيد أن براك عارض ذلك فتنازل بيرس حتى تشرين الثاني، بيد أن براك عارض حتى وصلت الأمور الى أيلول، ثم بدأ الجدل حول الأيام، فاقترح براك الخامس عشر من أيلول، بيد أن بيرس أراد ان يحدد اليوم بنهاية شهر ايلول، نظرا لان عيد راس السنة صادف نهاية أيلول، وأراد بيرس أن يقضي العيد وهو يحمل شعورا بامكانية تشكيل حكومة وحدة وطنية.

رفض براك ذلك رفضا باتا، فقال له بيرس لا اعتقد ان عدة ايام هي مسألة مهمة، فقال براك: إذا لم يكن مهما فلماذا لا تتنازل وإذا كان مهما لك، فلماذا لا يكون مهما لي أيضا؟!

بيرس : "أنت تجادل على مسالة هامشية وتافهة على عدة أيام؟!

براك : شمعون، هذه ليست مسألة شخصية أنت تعرف أنني اكن لك احتراما كبيرا، بيد أنه يجب وضع حد للوضع في مرحلة ما، ويجب عمل ذلك، وهذه مسألة مبدئية بالنسبة لي، ولست على استعداد للتنازل.

وانتهت المقابلة حتى هنا، وبيرس يشعر أنه جريح ومهان إهانة لا تغتفر.

قال له عيني : لقد بالغت مع بيرس.

براك : لم أبالغ، لقد كان من الضرورة وضع خط أحمر في لحظة ما، ولو لم أفعل ذلك، لوجد شيئا آخر.

وهكذا تم الاتفاق على أن يظل بيرس حتى الخامس عشر من أيلول بالصفة التي أشرنا إليها آنفا.

وفي اليوم نفسه، دعا بيرس مسئولي الحزب كي يعلمهم بما تم الاتفاق عليه، بينه وبين براك، بيد أنه استدعى براك قبلهم بساعة، وهناك بدا الجو هادئا، وبدا بيرس مسلما بالأمر وراضيا، وجرت المقابلة على احسن وجه، وفي الثالث من حزيران تم انتخاب براك رئيسا لحزب العمل بأغلبية ضئيلة تزيد قليلا عن ٥٠% من أصوات أعضاء الحزب، وفي المكانة الثانية جاء يوسي بيلين وفي المكانة الثالثة شلومو بن عامي، وفي المكانة الرابعة أفرايم سنية.



الفصل السابع والعشرون

- معركة حياته -

براك ارتكب أخطاء جسيمة وخيب ظن حزب العمل

في أوج أزمة الخليج استدعي رئيس الحكومة نتنياهو، براك لإطلاعه على الأوضاع، وفي أعقاب المقابلة، وجد براك خارج قاعة الاجتماعات، عددا كبيرا من الصحفيين والمصورين بانتظاره، كي يلقي كلمة ما، أو يدلي بحديث، وبدأ يتكلم وهو قريب جدا من أجهزة التصوير التلفزيونية، ويحملق فيها، وفجأة اقترب منه شاي بزاك مستشار رئيس الحكومة للشئون الإعلامية – وهمس في أذنه بشيء ما، وتراجع الى الخلف، لقد قالا له : لا تقترب الى هذا الحد من الكاميرات، لأن صورك ستخرج الى الشاشة بشعة كعين السمكة.

ولا نجد أدق من هذا الوضع كي يشهد على وضع أهود براك، في نهاية عام من تسلمه مقاليد الرئاسة في حزب العمل، إن الرجل الذي كان أمل الحزب في تحقيق الانتصارات في المستقبل، بقي مصلوبا على المدرج، ولم يستطع التحليق أبدا.

لقد ارتكب سلسلة من الأخطاء الجسيمة، وأدلى بالعديد من التصريحات الفاشلة، وارتكب أعمالا خاطئة، مما حوله الى هدف للهجمات والانتقادات من الداخل، والخارج، لقد توقع أعضاء حزبه أن يقودهم الى عودة سريعة للسلطة، بيد أن هذا لم يحدث، وبدلا من ذلك، حصلوا على استقالات من قبل موظفي وعمال الحزب، وتصريحات بائسة في البرنامج التلفزيوني الذي حضره مع جدعون ليفي، حينما قال : لو كنت شابا فلسطينيا لالتحقت بمنظمة ارهابية، وسلسلة من التعيينات الفاشلة، والعقبات، بل لقد كان بمقدور شخص كسكرتير الحزب رعنان كوهين أن يتحداه في أوج الأزمة ويخرج من المعمعة بسلام.

ترى ما الذي حدث لايهود براك؟ ولماذا لم ينجح في التحليق؟؟؟ واين اختفت الامال الكبيرة التي جالت في قلوب مؤيدي الحزب عندما حظي براك برئاسة الحزب؟؟

لقد سيطر براك على الحزب بصورة تذكرنا بالأسلوب الذي سيطر فيه بنيامين نتنياهو على حزب الليكود، بالإصرار، والتخطيط الدقيق، واستغلال الأوضاع، والقسوة، والوحشية، لقد كان يدرك أن الهزيمة في الانتخابات أهارت

الحزب وخلقت فراغا، وأدرك أنه إذا لم يحتل هذا الفراغ، فسيحتله شخص اخر، فاندفع قدما، مستغلا نقاط الضعف لدى الخصم، ونجح في مسعاه وحينها اكتشف براك حزب العمل، والفوارق القائمة بينه وبين الليكود.

فحزب العمل على عكس حزب الليكود الذي يمكن السيطرة عليه بسهولة نسبية، حزب مفرق ديموقراطي بصورة خاصة، ذو مؤسسات كثيرة، وبيروقراطية الى حد كبير، يستحيل السيطرة عليها من قبل شخص وحيد، وعلى وجه الخصوص عندما يتعلق الأمر بغر سياسي كايهود براك، والذي لا يوجد الى جانبه حتى شخصية كافيجدور ليبرمان يشد أزره.

وأول سقطات براك تمثلت في رسائل الإقالة التي بعث بها الى موظفي الحزب، هذه القضية التي خرج منها مهانا وجريحا، ومعترفا بأنه ارتكب خطأ.

وعندما تسلم براك رئاسة الحزب، اكتشف وضع الحزب المالي، والذي كان مأساة في حد ذاته، كانت العجوزات الحزبية تتضخم شهريا بمعدل ١,٢ مليون شيكل، ونفقاته تصل الى ٣,٧ مليون شيكل شهريا، مقابل دخول لا تزيد عن ٢,٥ مليون شهريا، ووجد ديونا متراكمة تربو على مائة مليون شيكل اخذة في النمو والزيادة، وأدرك أنه لا يستطيع العمل في هذا الوضع.

وفي أعقاب المشاورات التي أجراها، اتفق الجميع على ضرورة عمل شيء ما عاجل، يجب بتر قسم من اللحم الحي، وعندما طلب من مسئولي الحزب المساعدة في تقليص النفقات، تهربوا منه ولم يلق أذانا صاغية.

قام براك بتشكيل لجنة لفحص الوضع المالي للحزب واقترح الحلول، ولم يجد أمامه إلا أن يقبل عمالا من الحزب، وقبل أن تنتهي اللجنة من وضع تقريرها النهائي، ومن مكان تواجده آنذاك في باريس أصدر أوامر الإقالة للعمال، لقد تصرف كعسكري وليس كسياسي، كان في الجيش يعرف أنه يجب أن يحافظ على روحية المبادرة، وأن الجبهة التي توجه الضربة الأولى تحظى بالنصر، لقد سمع أن العمال سيقدمون التماسا الى المحكمة لاستصدار أمر يمنعه من إقالتهم، فقرر استباقهم، وأصدر أوامر الإقالة، ولو أنه انتظر حتى تنشر اللجنة نتائج

الفحص، لحظي، في حالة إصدار أوامر الإقالة بالتـــأييد، علـــى أســـاس أن هـــذا الحـــل هو المخرج الوحيد، بيد أن هذا لم يحدث، لقد تلقـــى نصـــائح غـــير مناســـبة واضطـــر في نهاية المطاف للاعتراف بخطئـــه.

لقد ورث العجز من سلفيه بيرس ورابين، بيـــد أنـــه رفـــض توجيـــه أصـــابع الاتهام عليهما، وتحمل وحده جميـــع الانتقـــادات.

إن أزمة إقالة العمال تعكس بصـــورة جيـــدة مشـــاكل ايـــهود بـــراك، منـــذ أن خاض غمار السياسة، فهو عديم التجربـــة، مـــتردد، فـــي الوقـــت الـــذي لا ينفـــع فيـــه التردد، وباتر حينما لا يجب البـــتر، ويصغـــي أكـــثر ممـــا ينبغـــي للنصـــائح الســـيئة، ويحيط نفسه أكثر مما ينبغي بأناس غير محـــترمين، ويفتقـــرون الـــى التجربـــة، وهـــو جنتلمان في عالم مـــن المخـــادعين، ويحـــاول أن يشـــق طريقـــه فـــي غابـــة السياســـة الكثيفة، وهو يرتدي قفازا أبيض بدلا من التسلح بســـكين بـــاتر قـــاطع.

وعلى الصعيد الإعلامي، فقد استبدل مستشـــاريه الإعلاميـــين مثلمـــا تســـتبدل أوراق الشجر في الخريف، وهـــو لا يولـــي أهميـــة كبـــيرة للاستشـــارات الإعلاميـــة، لأنه لا يدرك، حتى الآن، القـــوة الهائلـــة التـــي تتمتـــع بـــها وســـائل الإعـــلام فـــي المجتمع العصري، وهو يؤمن بأن فـــي مقـــدوره الفـــوز بالانتخابـــات بقـــوة الجوهـــر وليـــس بقوة التلفزيـــون.

لقد كان على براك أن يســـتقي العـــبر، فيتخـــذ مـــن شـــمعون بـــيرس قـــدوة، فيوسي بيلين وآفي جيل، وأوري سابير، كانوا جميعا وســـائل ناجعـــة، مؤهلـــة، وكفـــؤة ومخلصة تفرش الطريق أمام بيرس فـــي العـــالم الدبلوماســـي والسياســـي، ولـــم يقـــم أي منهم بتدبير المكائد لـــه، أو يعمـــل علـــى إحباطـــه، بـــل بذلـــوا قصـــارى جـــهدهم لإنجاحه، وإعلاء شـــأنه.

ورغم أن الكثيرين يعتقدون أنه تـــوأم لنتنيـــاهو إلا أنـــه فـــي الحقيقـــة يختلـــف عنه، وهناك أيضا جوانب مشـــتركة بينـــهما، فـــهما خريجـــا دوريـــة الأركـــان وهمـــا شكاكان، ومركزيان في تعاملهما، بيد أن براك قضى حياتـــه كلـــها فـــي الجيـــش، فـــي حين قضى نتنياهو معظم حياته أمـــام التلفزيـــون.

ونتنياهو إنسان ميكانيكي أتوماتيكي كالإنسان الالي، وهو الة إعلامية رهيبة وفذة، ولا يمكن أن يضبط وهو غير مستعد، ولا يمكن إحراجه علنا، وهو يتحدث بلباقة، ويقول لكل شخص ما يود أن يسمعه، ويضفي جوا من الضبابية على الأشياء حينما يرغب في ذلك، ويخطط مسبقا لكل إيماءة وحركة، وكل كلمة يتفوه بها.

أما براك، فهو إنسان خجل، منطو، على نفسه، منغلق، ولا يميل للكشف عن شخصيته ويكثر من الملاطفة.

وعندما سأله المراسل : ماذا كان سيفعل لو أنه كان شابا فلسطينيا؟؟ لم يتردد ورد ردا حقيقيا، وهو الأمر الذي ما كان يحدث أبدا لنتنياهو، وبراك لماح، ويدرك الأمور فورا، بيد أنه يتخذ القرار أحيانا بصورة بطيئة، وهو يكثر من التشاور، والارتباك، والتخبط، وإشراك الدنيا بأسرها في قراراته، في حين تؤدي زيادة المعلومات في بعض الأحيان الى تشويش الوقائع الاستراتيجية.

وبراك على عكس نتنياهو، على استعداد للضحك على نفسه، وبراك مثل رابين يحب الحزب فعندما يكون في الحزب، لا يكون حقيقيا ويشبه عصفورا في قفص.

وعلى عكس نتنياهو، فإن براك لا يجتاز المقابلات التلفزيونية بصورة طبيعية ويرفض بشدة اتخاذ دورات بهذا الصدد، وهو يدرك الثمن الباهظ الذي يدفعه جراء ذلك، بيد أنه يؤمن بأنه قادر على الانتصار، بالصدق والمصداقية التي يحملها.

وهناك نوع من السذاجة في شخصيته، فهو لا يعد بما لا يستطيع تنفيذه، ويقول ما يشعر به فعلا.

وعندما ينظر براك الى الخلف يمكنه أن يبتسم فقد وصل الى قيادة الحزب في وقت قياسي وهو في موقف الانطلاق الى المكانة التي تاق إليها توقا شديدا وبراك المعروف بعدم تأثره تحت الضغط، يحاول ضبط نفسه، بحيث لا يتأثر، وهو يحاول تعلم الكثير عن الحركة، واستقاء العبر، وتجنيد مؤيدين وهو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بانتظار الزلة القادمة لنتنياهو، وهو لا زال الأمل الكبـــير لحــزب العمــل فــي العــودة الى السلطة في إسرائيل في عام الألفين، أو حتى قبـــل ذلــك.

الفصل الثامن والعشـــرون

براك في منتصف حياته

يبلغ ايهود براك من العمـــر ٥٦ عامـــا، وهـــو الآن يواجـــه أكـــبر التحديـــات في حياته : الصراع على قيادة الدولـــة.

لقد مرت ثلاث سنوات منذ أن دعاه اســـحق رابيـــن وشـــمعون بـــيرس أخـــر عمالقة حزب العمل، للانضمام الى الحزب، لا سيما وأنـــهما وجـــدا فـــي شـــخصيته مـــا كانا يبحثان عنه فـــي شـــخص الزعيـــم القـــادم للحـــزب مـــن عميـــق التفكـــير، الفـــهم التاريخي، الاتزان، الشعور بالمسؤولية، وحســـن القيـــادة.

لقد عمل رابين وبيرس مع براك منذ ســـنوات طويلـــة، رابيـــن – منـــذ أيـــام دورية هيئة الأركان، عندما كـــان ايـــهود ملازمـــا صغـــيرا، وبـــيرس – منـــذ عمليـــة إطلاق سراح رهائن (سابينا) وعندما كـــان وزيـــرا للمواصـــلات.

وفي غضون أقل من ثلاث سنوات، شـــغل بـــراك منصـــب وزيـــر الداخليـــة، ووزيـــر الخارجيـــة، انتخـــب للمركـــز الأول فـــي الانتخابـــات الداخليـــة الحزبيـــة (البرايمرز)، وانتخب زعيمـــا للحـــزب ومرشـــحا لرئاســـة الحكومـــة بأغلبيـــة كبـــيرة، تفوق ما حظي به رابين ونتنياهو فـــي الســـابق.

وقد احتفظ براك في استطلاعات الرأي العام التـــي تجـــري منـــذ عـــدة أشـــهر بالتفوق الواضـــح علـــى بنيـــامين نتنيـــاهو، وفـــي اللحظـــات الحاســـمة، كالاحتفـــالات بمرور خمسين عاما على قيـــام الدولـــة اليهوديـــة، كـــانت اســـتطلاعات الـــرأي العـــام تشير الى تساوي النسب بينهما، وكمـــا يبـــدو، فـــإن الجمـــهور يمنـــح بـــراك، أفضليـــة واضحة مقابل نتنياهو، أو مقابل أي مرشـــح آخـــر فـــي الســـاحة السياســـية، فـــي كـــل اســـتفتاء ثقـــة أو مصداقيـــة، بيـــد أن الاســـتطلاعات لا تحســـم الانتخابـــات فـــوزا أو خسارة، لذا يدرك براك أنه ما يزال في منتصـــــف الطريـــق.

وللحقيقة، اعتاد براك حتـــى اليـــوم الفـــوز فـــي المنافســـات السياســـية التـــي خاضـها ليس هذا فحسب، بل اعتاد الفـــوز فـــي كـــل حياتـــه، فـــهو شـــخصية تتمتـــع بالذكاء وسرعة البديهة، تجيد التعلم من الأخطاء، وإصلاح مـــا ينبغـــي إصلاحـــه.

في بعض الأحيان، يميل بـراك الى استعادة ذكرياته في دورية هيئة الأركان، الجيش، الحروب، العمليات، ذكريات الأصدقاء والقادة، ذكريات النصر وذكريات الألم لفقدان الأصدقاء.

وإذا ما تمكن براك من الفوز في انتخابات عام ٢٠٠٠، أو قبل ذلك، فسيكون أسرع زعيم يصل الى مكتب رئيس الحكومة، منذ دخوله الحياة السياسية في تاريخ إسرائيل، فاسحق شامير انتخب بعد سبع سنوات من دخوله الحياة السياسية، نتنياهو بعد ثماني سنوات من عودته من الأمم المتحدة، أما اسحق رابين فقد انتخب بعد حرب تشرين ١٩٧٣، فيما وصل بيرس الى مكتب رئيس الحكومة، في إطار حكومة الوحدة الوطنية التي تشكلت عام ١٩٨٤.

ويثق براك بأنه يبني خطا سليما وجازما، وهو لا يخشى القيام بخطوات لم يخطها سابقوه، أو ربما لم يجرؤوا على ذلك، كطلب العفو من أبناء الطوائف الشرقية على المعاناة القاسية التي عاشوها في الخمسينات، المعارضة الشديدة لقانون التهويد وقانون العفو العام، رغم الضغوطات الكثيرة التي مورست عليه.

كذلك، يبدو موقف براك على المسار السياسي، أكثر وضوحا وحدة من سابقيه فهو يتحدث عن فصل طبيعي بين الإسرائيليين والفلسطينيين مع الحفاظ على خطوط حمراء، تسوية مؤلمة، لكن يفرضها الواقع، من وجهة نظره.

في أيار ١٩٩٨، بادر براك الى طرح مشروع لتجنيد المتدينيين الورعين (الحراديم) في الجيش الإسرائيلي كانت خطوة شجاعة، لم يجرؤ أحد من زعماء حزب العمل في السابق على طرحها، وهو يثق بأن القانون المقترح، سيحظى في نهاية المطاف، ليس فقط بقبول الجمهور العلماني، بل بقبول المتدينيين الورعين (الحراديم)، الذين سيرون فيه منفذا للخروج من الضائقة: ومسح الوصمة التي التصقت به كمجتمع فقير.

لا شك في أن براك يدرك طبيعة الانتقادات الموجهة إليه من داخل الحزب وخارجه، وخلافا لشمعون بيرس، وكما كانت الحال عليه بالسبة لرابين، لم يتجاهل براك الانتقادات، ولم يتهرب من مواجهة واقع صعب، لكن وضع

الحزب اليوم، أفضل بكثير مما كان عليه في السبعينيات والثمانينات، عندما دمر كل معسكر رابين ومعسكر بيرس الآخر، الأمر الذي ألقى بالحزب الى المعارضة.

يحب براك المقولة التالية : "يختار الإسرائيليون الزعيم بالقلب والعقل معاء، وثلاثة أسئلة فقط ستحسم الاختيار :

- بمن أثق.
- على من اعتمد في قيادة الدولة.
- من أكثر اهتماما مني كمواطن وإنسان، من يشعرني بالاحترام وأشعر بأنه يخدمني أكثر مما أخدمه.

ويثق براك بأن الإجابات عن الأسئلة الثلاثة، ستحوله في وقت قريب جداء من جندي (رقم -١) الى زعيم من الطراز الأول.

الكتب الصادرة عن دار الجليل

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١-	عمود النار ، الأسطورة التي قامت عليهاالسرائيل		غازي السعدي
٢-	الأستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	عبد الرحمن ابو عرفة	
٣-	حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الأسرائيلية ، تموز ١٩٨١	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٤-	الكتاب السنوي ١٩٨١ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة .	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٥-	الكتاب السنوي ١٩٨٢ ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال	
٦-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبد الحق وغازي السعدي	
٧-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وادانة	غازي السعدي	
٩-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) اهداف لم تتحقق	غازي السعدي	
١٠-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل انصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحرب المضللة	زئيف شيف و ايهود يعاري	غازي السعدي
١٢-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤-	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥-	رسائل من قلب الحصار من ابو عمار الى الجميع		
١٦-	يوميات من سجون الاحتلال ـ زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	

١٧-	المثلث الايراني : العلاقات السرية الاسرائيلية ـ الأمريكية الايرانية في عهد الشاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨-	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩-	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠-	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣- ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١-	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧- ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢-	غوش ايمونيم ـ الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣-	عش العصفور ـ قصة للأطفال	منير الهور	
٢٤-	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات	د . احمد صدقي الدجاني	
٢٥-	أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك	الدكتور احمد العلمي	
٢٦-	حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧-	الأحد الأسود: تصور امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني	حسن اسماعيل مشعل	
٢٨-	خارطة فلسطين ـ وهي خارطة تمثل سهـول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطيـن (ملونة)		
٢٩-	بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠-	بروتوكولات حكماء صهيون ـ المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١-	الاردن وفلسطين ـ وجهة نظر عربية	د . سعيد التل	
٣٢-	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	د . فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣-	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشة	
٣٤-	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥-	الموساد ، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ ، ايلي لانداو اوري دان	
٣٦-	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب	نبيه الجزائري
٣٧-	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د . كامل قعبر	
٣٨-	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د . كامل قعبر	
٣٩-	الكتاب الأسود عن يوم الأرض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠-	في سربية الصحراء	سميح القاسم	

٤١- الخيار النووي الاسرائيلي — شاي فيلدمان — غازي السعدي

٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الأراضي المحتلة — سليم ابو غوش
شهادات مشفوعة بالقسم

٤٣- نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد خالد الحسن
وبريجنيف

٤٤- قراءة سياسية في مبادرة ريغان — خالد الحسن

٤٥- فلسطينيات — خالد الحسن

٤٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني للتحرك المشترك — خالد الحسن

٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) يعقوب الياب — غازي السعدي
جرائم الأرغون وليحي ١٩٣٧- ١٩٤٨

٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٢) — غازي السعدي
مجازر وممارسات ١٩٣٦- ١٩٨٣

٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) د . حمدان بدر
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل

٥٠- ملصق يوم الأرض — سليمان منصور

٥١- ملصق جمل المحامل — سليمان منصور

٥٢- ملصق قبة الصخرة - صورة تبرز معالمنا التاريخية
والدينية في القدس

٥٣- فلسطين تاريخا ونضالا — نجيب الأحمد

٥٤- فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيـور المحامي وليد الفاهوم
نفي ترتسا

٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضـوء بشير البرغوثي
اسرائيل عسكر وسلاح (١)

٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر
القانون الدولي — محمد الرفاعي

٥٧- الجذور - وثيقة الأوقاف الاسلاميـة — فتحي فوراني

٥٨- فلسطين .. الأرض والوطن (١) قرية الدوايمة موسى عبدالسلام هديب

٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية — أريه شليف — غازي السعدي
وجهة نظر إسرائيلية

٦٠- تشريقة بني مازن — د . عبداللطيف عقل

٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة — لجنة الحقوقيين الدوليين
القانون من أجل الانسان

٦٢- صورة العربي في الأدب اليهودي (١) — الدكتورة ريزا دومب — عاطف عطاري

٦٣- الشخصية العربية (٢) في الأدب العبري الحديث غانم مزعل
١٩٤٨- ١٩٨٥

٦٤-	فلسطين أرض وتاريخ	د . محمد النحال	
٦٥-	القدس ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦-	القضية الفلسطينية في القانون الدولي .. والوضع الراهن	د . جابر الراوي	
٦٧-	شوكة في عيونكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨-	حرب الاستنزاف	د . محمد حمزة	
٦٩-	القرار ـ ألفان وإثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغير	
٧٠-	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١-	أزمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢-	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣-	دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي . والعرب في الفترة ١٨٧٨- ١٩٤٨	أريه . ل . افنيري	بشير البرغوثي
٧٤-	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجماعية		
٧٥-	سميح القاسم ـ قصائد ـ شخص غير مرغوب فيه		
٧٦-	القضية الفلسطينية	أكرم زعيتر	
٧٧-	فلسطين الأم وابنها البار ـ عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨-	عرب التركمان ـ أبناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩-	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠-	نادية برادلي ـ الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١-	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور	
٨٢-	تقرير الأرض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والأبحاث	
٨٣-	الوجه الحقيقي للموساد	د . وجيه الحاج سالم وانور خلف	
٨٤-	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥-	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦-	شخصيات صهيونية (٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧-	شخصيات صهيونية (٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨-	شخصيات صهيونية (٤) شارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩-	شخصيات صهيونية (٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠-	شخصيات صهيونية (٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي

٩١- شخصيات صهيونية (٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢- شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣- شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤- شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي الى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥- شخصيات صهيونية ١/١١ مذكرات اسحق رابين - القسم الأول		دار الجليل
٩٦- شخصيات صهيونية ٢/١١ مذكرات اسحق رابين - القسم الثاني		دار الجليل
٩٧- شخصيات صهيونية ١٢ مذكرات ناحوم غولدمان		دار الجليل
٩٨- ششخصيات صهيونية ١٣ مذكرات اسحق شامير		دار الجليل
٩٩- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
١٠٠- من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩- ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
١٠١- الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
١٠٢- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
١٠٣- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٤- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل
١٠٥- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشاة	تتان روعي	دار الجليل
١٠٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٧- دراسات في تعليم الكبار	د . عدنان أبو عمشة	
١٠٨- وجه قبيح في المرآة	بروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٩- تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١١٠- الاعلام الفلسطيني	د . حسين أبو شنب	

١١١-	النزاع العربي - الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١١٢-	تحت السياط	فاضل يونس	
١١٣-	الغضب	اكرم النجار	
١١٤-	جلسات في رغدان	د . يوسف هيكل	
١١٥-	منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرئيل	بدر عقيلي
١١٦-	اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٧-	تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د . عبدالقادر يوسف	
١١٨-	صرخة في وجه العالم (اليوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٩-	الاستخبارات والأمن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١٢٠-	الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١٢١-	ربيع الحياة	د . يوسف هيكل	
١٢٢-	قبس من تراث المدينة والقرية الفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١٢٣-	اشتعالات حمدان - مجموعة قصصية	اكرم النجار	
١٢٤-	الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		احمد بركات
١٢٥-	آه يابلدي - رواية	اكرم النجار	
١٢٦-	معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٧-	من القمع الى السلطة الثورية	قدري أبو بكر	
١٢٨-	أيام الصبا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د . يوسف هيكل	
١٢٩-	معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس وعمر شاهين	
١٣٠-	صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل		بدر عقيلي
١٣١-	قمع شعب شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		بشير شريف البرغوثي
١٣٢-	جليلة .. وهج في جذور الانتفاضة - رواية	اكرم النجار	
١٣٣-	اسلحة وإرهاب وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة ابحاث		دار الجليل
١٣٤-	حدود (أرض اسرائيل)	موشيه رافر	بدر عقيلي
١٣٥-	هذه قضيتك ياولدي	سليم عبدالعال القزق	
١٣٦-	حرب سيناء ١٩٥٦ - تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٧-	المثلث الايراني - الكتاب الثاني - دراما العلاقات الايرانية - الاسرائيلية - الامريكية	شموئيل سيجف	دار الجليل
١٣٨-	الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	

١٣٩- النظرية العسكرية الاسرائيلية ـ دفاع وهجوم	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٤٠- الأمن القومي العربي ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي	العميد محمد يوسف العملة	
١٤١- سياسة اسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٤٢- دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٤٣- الهجرة اليهودية حقائق وارقام	د . عمران ابو صبيح	
١٤٤- انتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤٥- جواسيس المخابرات الاسرائيلية تاريخ .. وجغرافيا	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
١٤٦- ' دولة ' اسرائيل ـ زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٧- الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٨- بقايا من خبز وكتاب	اكرم النجار	
١٤٩- اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٥٠- المثلث المحتوم الولايات المتحدة ـ اسرائيل والفلسطينيون	احمد عزالدين بركات	
١٥١- الاستيطان الاسرائيلي جغرافيا وسياسيا	بروفيسور أليشع إيفرات	دار الجليل
١٥٢- حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد ابو صالح ورشاد المدني	
١٥٣- انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٤- موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١) القدس مدنها وقراها	فائز أبو فردة	
١٥٥- انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	احمد بركات العجرمي
١٥٦- الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦) سلاح الدروع	حشافيا أريبه	دار الجليل
١٥٧- بولارد قصة جاسوس	برنارد ر. هندرسون	دار الجليل
١٥٨- أبو عجاج العينبوسي الدكتور الثائر	عيسى خليل محسن	
١٥٩- قناع القناع	محمد نورالدين شحادة	
١٦٠- الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ـ وتأثيراتها البيئية ـ	د . عادل احمد جرار	
١٦١- دولة مجدو	عبدالله عواد	
١٦٢- الشّبح	عبدالله عواد	
١٦٣- طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين ـ وثيقة اسرائيلية ـ	بني موريس	دار الجليل
١٦٤- الاستشراق وابحاث الصراع لدى اسرائيل	ابراهيم عبدالكريم	
١٦٥- دليل المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (١٩٦٧- ١٩٩١)	د . عمران ابو صبيح	

١٦٦- حرب في الخليج (ابعاد على اسرائيل)	تقرير طاقم مركز الأبحاث الاستراتيجية الاسرائيلي : يافه	بدر عقيلي
١٦٧- فلسطين في سيرة البطل عبدالحليم الجيلاني	د. حسن صالح عثمان	
١٦٨- ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في اسرائيل	يوسف أرجمان	دار الجليل
١٦٩- الادب العربي في جزر البليار	د . عبدالرزاق حسين	
١٧٠- الشرق الاوسط الجديد	شمعون بيرس	دار الجليل
١٧١- الاعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود	غازي السعدي	
١٧٢- اسلحة الدمار الشامل	وليام بورروس وروبرت ويندرم	دار الجليل
١٧٣- المفصل في تعلم اللغة العبرية بمعلم وبدون معلم	بدر عقيلي	
١٧٤- القاموس العلمي / عبري - عربي	امين ابو عيسى	دار الجليل
١٧٥- مكان تحت الشمس	بنيامين نتنياهو	محمد عودة الدويري
١٧٦- احاديث في العلم والقيم	يشعياهو ليفوفيتش	سلمان الناطور
١٧٧- فلسطين بلا هوية	صلاح خلف	دار الجليل
١٧٨- الحوار الفلسطيني - الامريكي	د. محمد ربيع	دار الجليل
١٧٩- دوائر القمر	عبد الرزاق حسين	دار الجليل
١٨٠- قرية جزو	يوسف النجار	دار الجليل
١٨١- الانقلاب السياسي في اسرائيل الاسرار والخفايا	اورلي ازولاي	بدر عقيلي
١٨٢ - مشكلة الاراضي في النزاع القومي بين اليهود والعرب منذ وعد بلفور	جاك كنو	محمد عودة الدويري
١٨٣ - الموساد في العراق انهيار الامال الاسرائيلية والكردية	شلومو نكديمون	بدر عقيلي
١٨٤ - دولة فلسطين الوضع القانوني	سالم أحمد قواطين	
١٨٥ - اسحق رابين اغتيال سياسي	د. أمنون كابليون	بدر عقيلي
١٨٦ - نايف حواتمة يتحدث	عماد نداف	
١٨٧ - سوبخي قصة للشبيبة عن الحب والمغامرات	عاموس عوز	دار الجليل

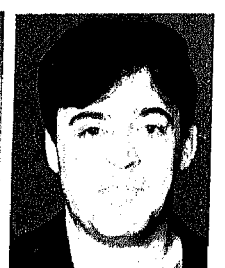
١٨٨ ـ البستان	بنيامين تموز	دار الجليل
١٨٩ ـ سورية واسرائيل من الحرب الى صناعة السلام	البروفيسور موشيه ماعوز	ليا وهيب
١٩٠ ـ اتفاقيات أوسلو الاتفاقيات الاسرائيلية الفلسطينية حول الضفة الغربية وقطاع غزة		دار الجليل
١٩١ ـ الحرب الاقتصادية (١٠٠) سنة من المواجهة الاقتصادية بين اليهود والعرب	يوفال اليتسور	محمد الدويري بدر عقيلي
١٩٢ ـ انثولوجيا الوجه الآخر قصص عبرية مختارة		دار الجليل
١٩٣ ـ المسيرة ..... خفايا أوسلو.... من الألف الى الياء	أوري سبير	بدر عقيلي
١٩٤ ـ أوسلو ..... والسلام الآخر المتوازن	نايف حواتمة	
١٩٥ ـ ايهود براك... الجندي الأول رئيس الوزراء الاسرائيلي المحتمل	بن كسبيت وايلان كفير	بدر عقيلي ونور البواطلة



طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ هاتف ٤٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦

أيهود براك .. الجندي الأول

رئيس الوزراء الإسرائيلي المحتمل

ايلان كفير   بن كسبيت

هذا الكتاب

يضع الجنرال أيهود براك تحت المجهر ، استعداداً للانتخابات القادمة ، حيث ظلت إنجازاته العسكرية طي الكتمان ، باعتبارها سراً لا يمكن أن يجتاز مقص الرقيب .

يعتبر أيهود براك عسكرياً من الصف الأول ، يرصد الكتاب بعضاً من إنجازاته ، والعمليات التي قادها أو خطط لها ، إضافة إلى ترجمة حياة الرجل ، بمراحلها المختلفة والمراكز التي تبوأها من خلال سجل عسكري حافل ، يرى فيه اليهودي المحقون بالخوف صمام أمان وأمن .

يتزامن صدور هذا الكتاب ، مع الاستعدادات الإسرائيلية لخوض الانتخابات المبكرة ، المقررة في ١٧ أيار ١٩٩٩ ، ولأن براك يعتبر قطب الرحى، ومنافس نتنياهو الأول ، كرئيس لحزب العمل المعارض ، فإن الضرورة تقضي باطلاع جمهور القراء العرب ، على مسيرة حياة رجل ربما يكون رئيس وزراء إسرائيل القادم، وقد كنا فعلنا ذلك ، قبيل الانتخابات الماضية عام ١٩٩٦ ، حيث نشرنا كتاب «مكان تحت الشمس» لنتنياهو ، الذي تنبأنا فيه باحتمالات نجاحه ، الأمر الذي يكسب كتاب براك أهمية خاصة ، ذلك أننا نحن العرب ، بتنا ننتظر نتائج الانتخابات الإسرائيلية على أحر من الجمر ، أو ربما نضرع إلى الله ، أن يكون رئيس الوزراء القادم ، حمامة وليس صقراً .

المؤلفان :

بن كسبيت : عمل في السابق مراسلاً لجريدة معاريف في نيويورك ، ويعمل حالياً محرراً سياسياً في الصحيفة ، يقدم برنامجاً صباحياً في التلفزيون الإسرائيلي ، ومقرب من الزعامة .

ايلان كفير : كان مراسلاً صحفياً لـ «معاريف» و«حداشوت» ، يعمل اليوم مخرجاً إعلامياً .

ويصنف المؤلفان من كبار الصحفيين الإسرائيليين ، والعمل المشترك الذي يجمعهما يعتبر تحفة رائعة جديرة بالقراءة .

وكتاب (أيهود براك) ، هو العمل المشترك الثالث للاثنين حيث أصدرا عام ١٩٩٦ كتاب «الانتحار» الذي يتحدث عن قصة حزب العمل منذ مقتل رابين ، وحتى فقدانه السلطة ، وفي عام ١٩٩٧ صدر لهما كتاب «نتنياهو .. الطريق إلى القوة» ، كما شاركا في العام ذاته ، في إعداد البوم (إسرائيل - ٥٠) .

هل سيكون أيهود براك رئيس وزراء إسرائل القادم ؟ ربما .

فمن هو هذا الجنرال الذي انتزع كرسي رئاسة حزب العمل . وهل هو خليفة رابين حقاً ؟ الكتاب كفيل بالرد ويستأهل القراءة المتأنية .

بدر عقيلي ونور البواطلة من أسرة الدار ، وهما ينقلان مادة الكتاب من العبرية إلى «الضاد» ، يضعان بين يدي المواطن العربي ، كتاباً يجمع بين أمانة الترجمة وصدق المشاعر الوطنية ، فجاء سلساً يشد القارىء إلى المتابعة من الألف إلى الياء .



عمان - ص.ب ٨٩٧٢ ، تلفون : ٥١٥٧٦٢٧ فاكسيميلي ٥١٥٣٦٦٨